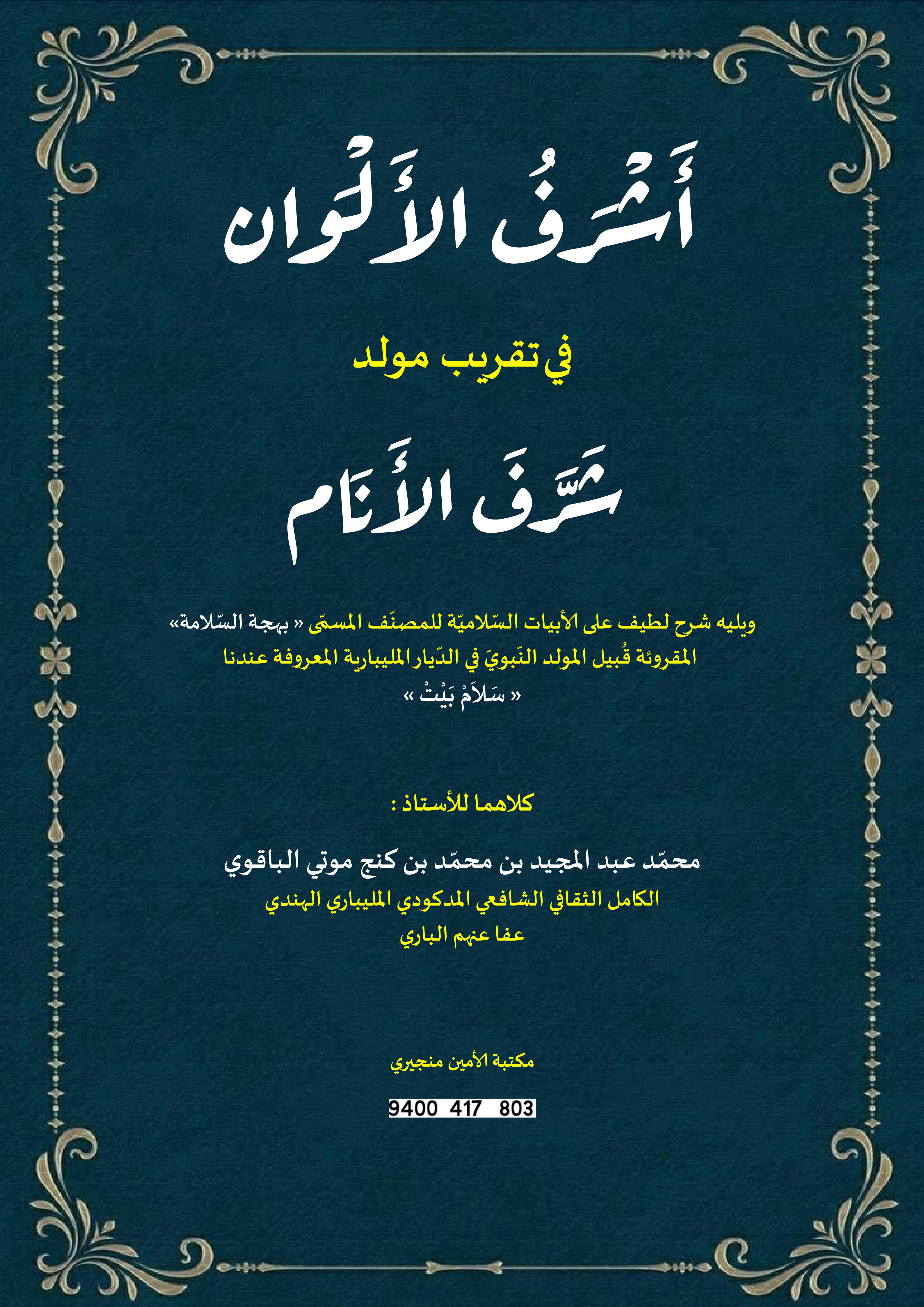


أَشْرَفُ الأَلْوان

في تقريب مولد

شَرَفَ الأَنَام

ويليه شرح لطيف على الأبيات السّلاميّة للمصنّف المسمّى « بهجة السّلامة»
المقروئة قُبيل المولد النّبويّ في الدّيار المليبارية المعروفة عندنا
« سَلاَمْ بَيْتْ »

كلاهما للأستاذ :

محمّد عبد المجيد بن محمّد بن كنج موتي الباقوي
الكامل الثقافي الشافعي المدكودي المليباري الهندي
عفا عنهم الباري

مكتبة الأمين منجيري

9400 417 803



إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

أَشْرَفُ الأَلْوان

في تقريب مولد

شَرَفَ الأَنَام

ويليه شرح لطيف على الأبيات السّلاميّة للمصنّف المسمّى « بهجة السّلامة»، المقروئة قُبيل المولد النّبويّ في الدّيار المليبارية المعروفة عندنا
« سَلاَمْ بَيْتْ »

كلاهما للأستاذ :

محمّد عبد المجيد بن محمّد بن كنج موتي الباقوي
الكامل الثقافي الشافعي المدكودي المليباري الهندي
عفا عنهم الباري

مكتبة الأمين منجيري
9400 417 803

الحبل المتين في بيان الإجازات

أسماء الشيوخ الذين أخذت عنهم الإجازة مباشرة ، فقد حصلت ولله الحمد والمنة على كثير من الإجازات العلمية في العلوم الشرعية من كثير من أهل العلم والمشايخ والصوفية ؛ منهم :-

١ . الشيخ الوليّ : مولانا أبوبكر المسليار الككّدفرمي المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصة : « الأسماء الحسنى ، وأسماء البدر ، ودلائل الخيرات ، وراتب الحدّاد » سنة : ١٤٠٨هـ. في مسجده الخاص في ككّدفرم ، رحمهم الله .

٢ . شيخ السادات : مولانا السيد امبج كويا الأيلكّادي المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصة : « الأسماء الحسنى ، وأسماء البدر » سنة : ١٤٠٧هـ ، في منزله الخاص في أيلكّاد ، رحمهم الله تعالى .

٣ . شيخ البركة : مولانا السيد يوسف الجيلاني المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصة : « الأسماء الحسنى ، وأسماء البدر ، وراتب الحداد » سنة : ١٤٠٩ هـ ، في غرفته الخاصة في ويلتور ، وهو عن شيخه الشيخ الصوفي محمّد المسيار الكرنكفاري وهو عن شيخه حضرة مولانا عبد الباري الباقوي الواضكضمي ، وهو القائد الأوّل للباقويّين في المليبار.

٤ . الأستاذ الصوفي : مولانا حسن المسيار الترنقالي المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصة حين فرغت من درسه في أمجفزا قريب تانور : « الأسماء الحسنى وأسماء البدروراتب الحداد والسبع المنجيات والموالد المعروفة في المليبار » سنة : ١٤١٢هـ ، وهو عن شيخه ، الشيخ الصوفي محمّد المسليار الكرنكفاري وهو عن شيخه حضرة مولانا عبد الباري الباقوي الواضكضمي ، رحمهم الله تعالى.

٤ . الأستاذ المصنِّف الصوفي : الشيخ مولانا أبو محمّد باوا المسيار الويلتوري المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصّة حين فرغت من درسه في أمجفزا قريب تانور : « الأسماء الحسنى ، وأسماء البدر ، وراتب الحداد ، ودلائل الخيرات ، وتصنيف الكتب » سنة : ١٤١٢هـ ، في منزله الخاص في ويلتور ، وهو عن شيوخ كثيرة ، فمنهم الشيخ الصوفي محمّد المسيار الكرنكفاري وهو عن شيخه حضرة مولانا عبد الباري الباقوي الواضكضمي، ومنهم الشيخ الككدفرمي المذكور ومنهم الشيخ بحر العلوم مولانا زين الدين بن علي حسن المخدومي الأدكغليّ المليباري الهندي ومنهم الشيخ الصوفي عبد الله المسليارالفاغيّ المليباري الهندي . قلتُ : إجازة تصنيف الكتب والرسائل إجازة منه لا من مشائخه، فهو المسند الأول لهذا الفقير.

٥ . الأستاذ المفتي الأعظم : مولانا العالم الربّاني/الشيخ أبوبكر بن أحمد الباقوي المليباري الهندي ، حيث أجازني مناولة إجازة عامة ، وخاصة : « الأسماءالحسنى ، وأسماء البدر ، ودلائل الخيرات ، وراتب الحدّاد ، والأذكار والإفتاء والتصنيف » سنة : ١٤١٤ هـ ، في جامعه في كارنتور، وهو عن شيوخ كثيرة ، فمنهم الشيخ السيد محمّد يسين الفاداني المكي ، والشيخ مولانا محمّد المسليار المعروف بالقطب ، والشيخ بوكركوتي المسليار المليباري ، والشيخ الوليّ الككّدفرمي المذكور والشيخ السيد أحمد مشهور الحداد اليمني والشيخ السيد محمّد بن علوي المكي المالكي والشيخ السيد إسمعيل الزيني المكي والشيخ بحر العلوم المخدومي المذكور والشيخ الولي مولانا سراج الدين الأيلكادي والشيخ الولي بَابُ المسليار الجفني وشيخ المحدثين شيخ حسن حضرة البابنشيري والشيخ ميران كوتي الكيفتيّ والشيخ السيد الولي أحمد المعروف بوكوي الفانكادي والشيخ أبوبكر حضرة التملنادي والشيخ ابوالسعادات أحمد كويا الشالياتي وغيرهم من الشيوخ الكرام رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم في الدارين.

٦ . قطب العالم : الشيخ رئيس الزاهدين القطب مولانا محمّد أبوبكر بن كنج ماحين كويا الباقوي المدووري بلدا ومرقدا ، المليباري الهندي ، حيث أجازني إجازة خاصة : « قراءة فاتحة الكتاب إلى حضرته في حياته ﷺ » سنة : ١٤٠٥هـ ، في غرفته الخاصة المباركة ، في إديغرا-كاليكوت- ، وبه وبهم أنال الدرجة العليا في البرزخ وفي دار الآخرة ، رضي الله عنّا وعنهم في الدارين.

٧ . الشيخ الوليّ : مولانا السيد محمّد علوي المالكي المكي رحمه الله ، حيث أجازني إجازة خاصة وعامة في بيته مكة المكرمة في موسم الحج : « إجازة قراءة الوظائف من كتابه أبواب الفرج » سنة : ١٤٢٢هـ

٨ . الشيخ الصوفي : مولانا السيد عفيف الدين البغدادي ، حفظه الله ، من سلالة الغوث الأعظم الجيلاني ، حيث أجازني إجازة عامة في مسجد جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية في موسم الزيارة : « الطريقة القادرية » سنة : ١٤٤٤هـ

٩ . الشيخ الصوفي : العالم عبد الله المسليار المعروف بإي .كى، حيث أجازني إجازة خاصة في بيته الخاص في برمبل بزار، قريب كاليكوت : « الطريقة القادرية » سنة : ١٤٢٥هـ

١٠- سند جامعة الباقيات بويلور وأساتذتها ، وسند جامعة المركز بكارنتور وأساتذتها : "حصلت الإجازة العالية للإفتاء والتدريس والتصنيف " منها ومنهم.

الفقير إلى الله تعالى : محمّد عبد المجيد بم محمّد الباقوي الكامل الثقافي المدكودي المليباري الهندي عفا عنهما الباري

مقدّمة الشّارح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي شرّف الأنام بصاحب المقام الأعلى المقام المحمود ، ومنح معارج الصعود بأكرم مولود حوى شرفاً وفضلاً ، ومنّ علينا برسوله الّذي قال الله تعالى له : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] ، وقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] ، وأيّ نعمة أفضل وأعظم من نعمة مولد النّبيّ ﷺ ؟!

أمّا بعد : فقد صنّف كثير من الأئمة في إثبات مولد النّبيّ واستحبابه ؛ فمنها هذه الرّسالة المشتملة على بيان مولد النّبيّ ﷺ وأحواله وصفاته ، وكَتَبها العلّامة الشّيخ أحمد بن القاسم المالكي ، المشهور بالحريري ، ويعرف رسالته بإسم مولد شرّف الأنام"، بالشكل الحسن من الموالد الشريفة. وهذه الرسالة قرءت في احتفالات ميلاد النّبيّ ﷺ في بلاد العرب والعجم منذ زمان المصنّف رحمه الله تعالى، ولهذا المولد الكريم شرف عظيم في ديارنا المليبار؛ فأردنا أن نقدّم هذا الشرح مع التحقيق والتصحيح .ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به المسلمين جميعاً ويوفّقنا لما فيه خير الإسلام وصلاح المسلمين وصلّى الله تعالى على حبيبه وصفيّه سيّدنا الكريم ومولانا العظيم محمّد الصادق الأمين وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه الصالحين وأتباعه المعزّزين إلى يوم القيامة.

والمولد النبويّ الشّريف هو يوم مولد رسول الإسلام محمّد بن عبد الله ﷺ ويكون في ١٢ ربيع الأول حسب بعض المصادر من كلّ عام. حيث يحتفل به المسلمون في معظم الدول الإسلامية وغيرها، باعتباره عيدًا وفرحًا بولادة نبيهم رسول الإسلام محمّد بن عبد الله ﷺ. وتبدأ الاحتفالات من بداية شهر ربيع الأول إلى نهايته، وذلك بإقامة مجالس ينشد فيها قصائد مدح النّبيّ ﷺ، ويكون فيها الدروس من سيرته، ويقدم فيها الحلوى والطعام. لكن السلفية وخاصة التكفيرية منها البعيدة كلّ البعد عن فهم الإسلام ومقاصده النّبيّلة السامية، وتعتبر الاحتفال بالمولد النبوي هو "سنّة في دين الإسلام، أنزل الله بها الكتاب والسنة ويعمله السلف والخلف من الأمة الإسلامية

وعليه نورد مجموعة من الأقوال وردت نصوص كثيرة للعلماء من أهل السنة الكبار حيث يجيزون فيها الاحتفال بالمولد النبوي، فمنهم: الإمام السيوطي، حيث قال: "عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النّبيّ ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النّبيّ ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف".

والشيخ ابن تيمية نفسه في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» قال: "فتعظيم المولد، واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم؛ لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ"، والشيخ ابن الجوزي،حيث قال عن المولد النبوي: "من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام"، والحافظ ابن حجر العسقلاني، حيث قال الحافظ السيوطي: "وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصّه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن السّلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنّها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدّها، فمن تحرّى في عملها المحاسن وتجنب ضدّها كانت بدعة حسنة، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أنّ النّبيّ ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون, ونجى موسى، فنحن نصومه شكرا لله، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دفع نقمة... إلى أن قال : وأيّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النّبيّ ﷺ،نبيّ الرّحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأمّا ما يعمل فيه: فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشّكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبويّة والزهديّة المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة". والشيخ السّخاوي،حيث قال عن نفس المولد المشهور في ديارننا: "لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث- الوصف- بعدُ، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن يعملون المولد ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصّدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم" .والشّيخ ابن الحاج المالكي، حيث قال: "فكان يجب أن نزداد يوم الاثنين الثاني عشر في ربيع الأول من العبادات والخير شكرا للمولى على ما أولانا من هذه النّعم

العظيمة وأعظمها ميلاد المصطفي ﷺ". وقال أيضا: "ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد". والشيخ ابن عابدين الحنفي، حيث قال: "اعلم أنّ من البدع المحمودة عمل المولد الشريف من الشّهر الذي ولد فيه ﷺ". وقال أيضا:"فالاجتماع لسماع قصّة صاحب المعجزات عليه أفضل الصّلوات وأكمل التّحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المعجزات وكثرة الصلوات". والحافظ عبد الرحيم العراقي، حيث قال: "إن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحبّ في كلّ وقت فكيف إذا انضمّ إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور رسول الله ﷺ في هذا الشّهر الشّريف ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها فكم من بدعة مستحبّة قد تكون واجبة". والحافظ شمس الدين ابن الجزري، حيث قال الحافظ السيوطي: "ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المسمى «عرف التعريف بالمولد الشريف» ما نصّه: قد رؤي أبو لهب بعد موته في النّوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النّار إلّا أنّه يخفّف عنّي كلّ ليلة اثنين، وأمصّ من بين أصبعي ماء بقدر هذا- وأشار لرأس أصبعه-، وأنّ ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشّرتني بولادة النّبيّ ﷺ وبإرضاعها له. فإذا كان أبو لهب الكافر الّذي نزل القرآن بذمّه جوزي في النّار بفرحه ليلة مولد النّبيّ ﷺ به فما حال المسلم الموحّد من أمّة النّبيّ ﷺ يسرّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته ﷺ، لعمري إنّما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنّات النعيمة". والإمام أبو شامة (شيخ النووي)، حيث قال: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يُفعل كلّ عام في اليوم الموافق لمولده ﷺ من الصّدقات، والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مشعرٌ بمحبّته ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكراً لله تعالى على ما منّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين". والشيخ الشهاب أحمد القسطلاني (شارح البخاري)، حيث قال: "فرحم الله امرءا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا، ليكون أشد علّة على من في قلبه مرض وإعياء داء". والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، حيث قال في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادي»: "قد صحّ أنّ أبا لهب يخفّف عنه عذاب النّار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة سرورًا بميلاد النّبيّ ﷺ". ومن المتأخرين: حسنين محمّد مخلوف شيخ الأزهر، حيث قال: "إنّ إحياء ليلة المولد الشريف وليالي هذا الشّهر الكريم الّذي أشرق فيه النّور المحمّدي إنّما يكون بذكر الله تعالى وشكره لما أنعم به على هذه الأمة من ظهور خير الخلق إلى عالم الوجود، ولا يكون

ذلك إلّا في أدب وخشوع وبعد عن المحرّمات والبدع والمنكرات. ومن مظاهر الشّكر على حبه مواساة المحتاجين بما يخفف ضائقتهم، وصلة الأرحام، والإحياء بهذه الطريقة وإن لم يكن مأثورا في عهده ﷺ ولا في عهد السّلف الصّالح إلّا أنّه لا بأس به وسنّة حسنة". والشيخ محمّد متولّي الشّعراوي، حيث قال: "وإكرامًا لهذا المولد الكريم فإنّه يحقّ لنا أن نظهر معالم الفرح والابتهاج بهذه الذّكرى الحبيبة لقلوبنا كلّ عام وذلك بالاحتفال بها من وقتها". والشّيخ المبشر الطرازي، شيخ علماء التركستان: حيث قال: "إنّ الاحتفال بذكرى المولد النّبوي الشريف أصبح واجبًا أساسيًا لمواجهة ما استجد من الاحتفالات الضارّة في هذه الأيّام" والعلّامة السيد محمّد علوي المالكي، حيث قال: "إنّنا نقول بجواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والاجتماع لسماع سيرته والصّلاة والسلام عليه وسماع المدائح التي تُقال في حقّه، وإطعام الطّعام وإدخال السرور على قلوب الأمة". والشّيخ محمّد سعيد رمضان البوطي،حيث قال: "الاحتفال بذكرى مولد رسول الله نشاط اجتماعي يبتغي منه خير دينيّ، فهو كالمؤتمرات والنّدوات الدّينية الّتي تعقد في هذا العصر، ولم تكن معروفة من قبل. ومن ثمّ لا ينطبق تعريف البدعة على الاحتفال بالمولد، كما لاينطبق على الندوات والمؤتمرات الدينية. ولكن ينبغي أن تكون هذه الاحتفالات خالية من المنكرات". والشّيخ عبد الله بن بَيَّه، حيث قال: "فحاصل الأمر أنّ من احتفل به فسرد سيرته ﷺ والتّذكير بمناقبه العطرة احتفالاً غير ملتبس بأيّ فعل مكروه من النّاحية الشرعية وليس ملتبساً بنيّة السنّة ولابنيّة الوجوب فإذا فعله بهذه الشروط التي ذكرت؛ ولم يلبسه بشيء مناف للشّرع،حباً للنّبي ﷺ ففعله لا بأس به إن شاء اللهُ وهو مأجور". والعالم نوح القضاة مفتي الأردن سابقاً، حيث قال:"ولا شك أن مولد المصطفي ﷺ من أعظم ما تفضل الله به علينا، ومن أوفر النّعم الّتي تجلّى بها على هذه الأمة؛ فحقّ لنا أن نفرح بمولده ﷺ ".والشيخ علي جُمْعَة مفتي مصر، حيث قال: "الاحتفال بذكرى مولده ﷺ من أفضل الأعمال وأعظم القربات؛ لأنّه تعبير عن الفرح والحبّ له ﷺ،ومحبة النّبيّ ﷺ أصل من أصول الإيمان"والعلّامة هبة الزحيلي، حيث قال:"إذا كان المولد النبويّ مقتصرًا على قراءة القرآن الكريم، والتذكير بأخلاق النّبيّ عليه الصّلاة والسلام، وترغيب الناس في الالتزام بتعاليم الإسلام وحضّهم على الفرائض وعلى الآداب الشرعية، ولايكون فيها مبالغة في المديح ولا إطراءٌ كما قال النّبيّ ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله»

وهذا إذا كان هذا الاتجاه في واقع الأمر لايُعدّ من البدع". والشيخ محمّد بن عبد الغفار الشريف، الأمين العام للأوقاف في الكويت، حيث قال:"الاحتفال بمولد سيّد الخلق عليه وعلى آله أفضل الصّلاة والتّسليم أمر مستحب، وبدعة حسنة في رأي جماهير العلماء". والعلّامة محمّد راتب النابلسي، حيث قال: "الاحتفال بعيد المولد ليس عبادة ولكنّه يندرج تحت الدعوة إلى الله، ولك أن تحتفل بذكرى المولد على مدى العام في ربيع الأول وفي أي شهر آخر، في المساجد وفي البيوت". والعالم الربّاني عمر بن حفيظ،حيث قال:"مجالس الموالد كغيرها من جميع المجالس؛ إن كان ما يجري فيها منّا لأعمال صالح وخير،كقراءة القران، والذّكر للرّحمن، والصّلاة على النّبيّ ﷺ ،وإطعام الطّعام للإكرام ومن أجل الله تعالى، وحمد الله تعالى، والثّناء على رسوله ﷺ، ودعاء الحقّ سبحانه، والتّذكير والتّعليم، وأمثال ذلك ممّا دعت إليه الشّريعة ورغبت فيه؛ فهي مطلوبة ومندوبة شرعاً".

فلم يكن الاحتفال بالمولد النبويّ الشّريف معروفاً بهذا الشّكل الجديد في عصر الصّحابة الكرام. ولكن لا يَلزم من عدم وجوده في عصر النّبيّ ﷺ أو في عصر الصّحابة كونه بدعة سيّئة أو منافياً للشّريعة، فالاحتفال بالمولد إن أُقيم على أساس أنَّه عبادة مشروعة، كالصّوم والصّلاة والعبادات الأخرى؛ فهو بدعة. وكذا لانسمّيه، عيدًا بمعنىً، بل يقال إحياء ذكرى؛ لأنَّه لايوجد سوى عيدين في الإسلام منصوصا، بل وارد مضمونا، فهو بهذه الحيثيّة عيد من الأعياد. وإن أقيم على أساس إحياء ذكرى مولد سيّد المرسلين ﷺ وإعادة ذكريات سيرته العطرة وخلا من المنكرات واختلاط الرجال بالنّساء والمبالغة في مدحه ﷺ كالنصارى فلا يعدّ من البدعة، بل هو من السنة النبوية، فقد بسطته في كتابي «الأدلة الباهرة في أسرار احتفال الميلاد النبوي»، ومع ذلك ينظر«مرقاة الأنوار» لهذَا الفقير. وهذا الشّرح الكريم إهداء إلى حضرة الشيخ العلّامة محمّد الباقوي بن شيخ كوتي، الكَرُوَمْبِيلِي، المليباري الهندي، طاب الله ثراهما، ونفعنا في الدارين آمين ياربّ العالمين.

[أئمّة السّنّة ممّن ألّفوا كتبا بخصوص مولد النّبيّ ﷺ]

ذكر العلامة السّيّد محمّد بن علوي المالكي المكيّ عددًا من العلماء ممّن ألّفوا في المولد النّبوي كتبًا، منهم: الحافظ عبد الرحيم العراقي (توفي ٨٠٨ هـ) له مولد باسم - «المورد الهني في المولد السني»، والحافظ ابن كثير:(توفي ٧٧٤ هـ) وله مولد طبع بتحقيق د.صلاح الدين المنجد، والحافظ السخاوي (توفي ٩٠٢ هـ) وله مولد باسم «الفخر العلوي في المولد النبوي»، والحافظ ابن الجوزي (توفي ٥٩٧ هـ) وله مولد باسم «العروس» وقد طبع في مصر، والحافظ أبو الخطاب عمر بن علي بن محمّد المعروف بابن دحية الكلبي (توفي ٦٣٣ هـ) وله مولد باسم «التنوير في مولد البشير النذير»، والإمام شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي (توفي ٨٤٢ هـ) وله مولد باسم «المورد الصاوي في مولد الهادي» و «جامع الآثار في مولد المختار» و «اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق»، والشيخ ملا علي قاري (توفي ١٠١٤ هـ) وله مولد باسم «المورد الروي في المولد النبوي» وهو مطبوع، والحافظ شمس الدين ابن الجزري (توفي ٦٦٠ هـ) إمام القراء وله مولد باسم «عرف التعريف بالمولد الشريف»، والشيخ علي زين العابدين السمهودي (توفي ٩١١ هـ) وله مولد اسمه «الموارد الهنيّة في مولد خير البريّة»، والحافظ محمّد الشيباني المعروف بابن الديبع (توفي ٩٤٤ هـ)، والإمام ابن حجر الهيتمي (توفي ٩٧٤ هـ) وله مولد كبير باسم «النعمة الكبرى على العالم» والمختصرات والمطولات من الموالد، والخطيب الشربيني (توفي ١٠١٤ هـ) وله مولد باسم «المولد الرّوي في المولد النّبوي»، والمحدّث جعفر بن حسن البرزنجي (توفي ١١٧٧ هـ) وله مولد باسم «عقد الجوهر في مولد النّبيّ الأزهر» وهو من أكثر الموالد انتشارا في البلاد الإسلامية، والشيخ أبو البركات أحمد الدردير (توفي ١٢٠١ هـ) وله مولد مطبوع في مصر، والشيخ عبد الهادي نجا الأيباري المصري (توفي ١٣٠٥ هـ) وله مولد مخطوط، والشيخ يوسف النبهاني (توفي ١٣٥٠ هـ) وله مولد باسم «جواهر النّظم البديع في مولد الشّفيع» طبع في بيروت، والشيخ عمر بن حفيظ وله مولد باسم «الضّياء اللّامع بذكر مولد النّبيّ الشّافع»، والشيخ نوح القضاة مفتي الأردن سابقا وله مولد باسم «مولد الهادي ﷺ» طبع في الأردن.

[حضور الرّسول ﷺ في مجالس الموالد أمر مجرّب، وأخذ الطّيب والثّياب الفاخرة في الموالد أمر مندوب]

[نوع العطر الّذي كان يتعطّر به النّبيّ ﷺ وسبب تعطّره]

فنبيّنا ﷺ هو خير أسوةٍ وأفضل قدوة، بما اشتُهر به من جمال الخَلق والخُلق، وحسن السمت وطيب الرائحة، وكانَ من شأنه وصفته التي عُرِف بها بين أصحابه: رائحته الطيّبة، فكان إذا صافحه أحد يعرف ذلك من أثر طيب يده التي صافح بها رسولَ الله ﷺ ، روى أنس بن مالك ﷺ قال :ما شممتُ عنبرًا قطُّ،ولا مسكاً ولا شيئاً أطيبَ من ريحِ رسول الله ﷺ (رواه مسلم). وكان صلوات الله وسلامه عليه يحب الطِّيب، ويأمر به خاصّة في يوم الجمعة، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: منِ اغتسل يومَ الجمعة فأحسنَ الغُسْل، وتطهَّر فأحسَنَ الطُّهور، ولبِسَ مِنْ أحسن ثيابه، ومَسَّ مَا كتَبَ الله له مِنْ طيبٍ أوْ دُهْنِ أهله، ثُمَّ أتى المسجد، فلم يَلْغُ، ولم يُفَرّقْ بينَ اثنينِ، غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأُخْرى (رواه الطبراني). فالطّيب والعِطْر سنّة نبويّة، وله في حياة النّبيّ ﷺ شأنٌ وأهمية، وهو من الأمور التي حُبِّبت إليه من أمور الدنيا، وأمر بها ﷺ ، فعن عائشة ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ كان يحب الطيب، ويأمر به. قال الشيخ ابن القيّم في تفسيره: "لمّا كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطيةُ القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويُفرح القلب، ويسرُّ النفس، ويبسُط الروح، وهو أصدق شيءٍ للروح، وأشدُّ مُلاءمةً لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة، كان أحد المحبوبين من الدُّنيا إلى أطيب الطَّيبين صلوات الله عليه وسلامه". وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حُبِّبَ إليّ من دنياكم: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصّلاة. (رواه النسائي). قال الإمام النيسابوري: مراده ﷺ أن يفهم السامع أنّ ما حُبِّب إليه من أمور الدنيا ليس يلهيه عن أمور الآخرة وطلبها، فأشار إلى أنّ الصّلاة -المتضمنة لمناجاته ربّه- تسمو على ما حبّب إليه من أمور الدنيا، فهي تشغله عن ذلك، لا أنّ الصّلاة ممّا حبّب إليه من أمور الدنيا فتأمّل". وعن أنس ﷺ قال: "كانت للنبي ﷺ سُكَّةٌ يتطيَّبُ منْها" (رواه أبو داود) ."سُكَّةٌ" بضمّ السّين المهملة وتشديد الكاف نوع من الطّيب عزيز، وقيل: وعاء يوضع فيه الطيب، والظّاهر أنّه المراد هنا. وقال الإمام ابن رسلان الشافعي: "يتطيّب منها" للجمع والأعياد ونحوهما،

فإن لم يجد تطيّب من طيب أهله، وفيه اتّخاذ الطّيب في البيت واستعماله وإن لم يظهر منه رائحة كريهة. اهـ «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان.

فالمولد النبوي من أعياد المسلمين، ومن أعظم المجالس عند أهل الإسلام ، فلذا يتّخذ النّاس في مجلس الموالد العطور، ولقوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. وفي «إعانة الطّالبين»: قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: (حكي) لي بعض من حضر سماط المظفّر في بعض المواليد فذكر أنّه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في الموالد أعيان العلماء والصوفيّة فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على الموالد ثلاثمائة ألف دينار.اهـ، وقال الإمام ابن رجب في شرح حديث لبّيك اللّهم لبّيك :وَالنِّسَاء وَالطّيب فهمَا قُوَّة للرّوح بِخِلَاف الطَّعَام وَالشرَاب فَإِنّ الْإِكْثَار مِنْهُمَا يقسي الْقلب ويفسده وَرُبمَا أفسد الْبدن. انتهى. وقال الشّيخ السّندي في حاشية سنن النّسائي: وَأمّا الطّيب فَكَأَنَّهُ يُحِبّهُ لكَونه يُنَاجِي الْمَلَائِكَة وهم يحبّونَ الطّيب، وَأَيْضًا هَذِه الْمحبَّة تنشأ من اعْتِدَال المزاج وَكَمَال الْخلقَة، وَهُوَ صلّى الله تعالى عَلَيْهِ وَسلّم أَشدّ اعتدالا من حَيْثُ المزاج. انتهى. وقد ورد في العود الهندي والريحان ما يدلّ على فضلهما، كما ورد عنه ﷺ ما يدلّ أنّ المسك خاصّة من أنواع الطّيب هو الأفضل، ففي «صحيح مسلم» أنّ رسول الله ﷺ ذكر امرأة من بني إسرائيل حشت خاتمها مسكاً، والمسك أطيب الطيب. قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث : وفيه أنّه أطيب الطّيب وأفضله، وقال الحافظ في «فتح الباري»: وروى أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس كان رسول الله ﷺ إذا مرّ في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك، فيقال: مرّ رسول الله ﷺ . وفي «منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول»: و أخرج ابن سعد في «الطبقات» ؛ عن إبراهيم مرسلا- وهو حديث حسن-: كان رسول الله ﷺ يعرف منه ريح الطّيب إذا أقبل، لأنّه كان رائحة الطيب صفته؛ وإن لم يمسّ طيبا، فكلّما مرّ على محلّ عبق طيبا؛ فكان الشّخص إذا شمّ ذلك الطيب عرف أنّه ﷺ مرّ من ذلك المحل؛ وإن لم ير ذاته الشريفة.اهـ، ولابن حيّان من حديث الوليد بن أبي رهم، عن يوسف بن أبي بردة، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: كان أحبّ الطيب إلى رسول اللَّه ﷺ العود.اهـ «طبقات ابن سعد»، وقال الإمام الرصّاع في «تذكرته»: وينبغي لك أن تزيّن الأولاد في ذلك اليوم

بأحسن زينتهم، وتدخل السّرور بما أمكن على معلّمهم وتزيّن المكاتب بما تجوز به الزّينة شرعا. إلى آخر ما أطال في كتابه «تذكرة المحبين». وقال أيضا في صفحة: إنّ الرّحمة نازلة عند ذكره ﷺ . وقال العلامة محمّد نووي الجاوي: قال العلماء: وينبغى إظهار التّجمّل والزّينة بالثّياب الفاخرة ليلة مولده الشّريف لأنّه ذخرنا في الآخرة فرحم الله امرأ اتّخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا. وقال المدابغي: فالاعتناء بوقت مولده الشّريف من أعظم القربات وذلك يحصل بإطعام الطّعام وقراءة القرآن وذكر القصائد النّبويّة إلى غير ذلك ممّا لا يشتمل على شيء من المحرّمات والمكروهات أوخلاف الأولى اهـ «فتح الصمد العالم». وقال الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه «الوسائل في شرح الشمائل» : ما من بيت أو مسجد أو محلة قرئ فيه مولد النّبيّ ﷺ إلّا حفّت الملائكة بأهل ذلك المكان وعمّهم الله بالرّحمة والمطوقون بالنور- يعني جبريل وميكائل وإسرافيل وقربائيل وعينائيل والصافون والحافون والكروبيون- فانّهم يصلّون على ما كان سببا لقراءة مولد النّبيّ ﷺ، قال : وما من مسلم قرئ في بيته مولد النّبيّ ﷺ إلّا رفع الله تعالى القحط والوباء والحرق، والآفات والبليات والنكبات والبغض والحسد وعين السوء واللّصوص عن أهل ذلك البيت، فإذا مات هوّن الله تعالى عليه جواب منكر ونكير، وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.اهـ

[قصّة يهوديّ الذي أسلم برائحة الرسول ﷺ]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمَا: كَانَ يَهُودِيٌّ بِالشَّامِ قَرَأَ التَّوْرَاةَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَنَشَرَهَا فَنَظَرَ فِيهَا فَوَجَدَ نَعْتَ الرَّسُولِ وَصِفَتَهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ فَقَطَعَهَا وَحَرَقَهَا، ثُمَّ فِي السَّبْتِ الثَّانِي وَجَدَهُمَا فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ فَقَطعَهَا وَأَحْرَقَهَا، وَفِي السَّبْتِ الثَّالِثِ وَجَدَهُمَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعًا، فَتَفَكَّرَ وَقَالَ: إِنْ قَطَعْتُهَا صَارَتِ التَّوْرَاةُ كلّهَا نَعْتًا لَهُ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ مَنْ محمّد؟ قَالُوا: كَذَّابٌ خَيْرٌ لَكَ أَنْ لَا تَرَاهُ وَلَا يَرَاكَ فَقَالَ: بِحَقّ تَوْرَاةِ مُوسَى لَا تَمْنَعُونِي مِنْ زِيَارَتِهِ، فَأَذِنُوا لَهُ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَسَارَ مَرْحَلَةً بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَقْبَلَهُ سَلْمَانُ وَكَانَ حَسِنَ الْوَجْهِ فَظَنَّ أَنَّهُ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَبَكَى سَلْمَانُ، وَقَالَ: أَنَا عَبْدُهُ قَالَ: أَيْنَ هُوَ فَتَفَكَّرَ سَلْمَانُ وَقَالَ: إِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ مَاتَ رَجَعَ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ حَيٌّ أَكُونُ كَذَّابًا، فَقَالَ لَهُ: تَعَالَ مَعِي حَتَّى نَدْخُلَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَأَصْحَابُهُ كلّهُمْ مَحْزُونُونَ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا محمّد ظَنًّا أَنَّهُ فِيهِمْ، فَهَاجَ الْبُكَاءُ مِنَ

الْأَصْحَابِ وَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ لَقَدْ جَدَّدْتَ جِرَاحَتَنَا لَعَلَّكَ غَرِيبٌ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَاتَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟ فَصَاحَ وَقَالَ: وَاحُزْنَاهُ وَاضَيَاعَ سَفَرِي يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَلَيْتَهَا وَلَدَتْنِي، وَلَمْ أَقْرَإِ التَّوْرَاةَ، وَإِذَا قَرَأْتُهَا لَمْ أَجِدْ نَعْتَهُ، وَإِذَا وَجَدْتُهُ لَيْتَنِي رَأَيْتُهُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ هُنَا يَصِفُ لِي نَعْتَهُ، فَقَالَ: نَعَمْ.قَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: عَلِيٌّ. قَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ اسْمَكَ فِي التَّوْرَاةِ فَقَالَ عَلِيٌّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَاطَوِيلًا وَلَاقَصِيرًا،مُدَوَّرَ الرَّأْسِ وَاضِحَ الْجَبِينِ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ، أَزَجَّ الْحَاجِبَيْنِ إِذَا ضَحِكَ خَرَجَ النُّورُ مِنْ ثَنَايَاهُ، ذَا مَسْرُبَةٍ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ، أَخْمَصَ الْقَدَمَيْنِ عَظِيمَ الْمُشَاشِ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا عَلِيُّ هَكَذَا نَعْتُهُ فِي التَّوْرَاةِ هَلْ بَقِيَ مِنْهُ ثَوْبٌ أَشُمُّهُ قَالَ: نَعَمِ اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ إِلَى فَاطِمَةَ، وَقُلْ لَهَا: ابْعَثِي إِلَيَّ جُبَّةَ أَبِيكِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَ سَلْمَانُ إِلَى بَابِ فَاطِمَةَ فَقَالَ: يَا بَابَ فَخْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَا بَابَ زَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَبْكِيَانِ، فَقَرَعَ الْبَابَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْيَتَامَى؟ قَالَ: أَنَا سَلْمَانُ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ عَلِيٌّ، فَبَكَتْ فَاطِمَةُ فَقَالَتْ: مَنِ الَّذِي يَلْبَسُ جُبَّةَ أَبِي فَقَصَّ عَلَيْهَا الْقِصَّةَ، فَأَخْرَجَتِ الْجُبَّةَ وَقَدْ خَيَّطَتْ مِنْهَا سَبَعَةَ مَوَاضِعَ بِاللِّيفِ فَأَخَذَهَا وَشَمَّهَا ثُمَّ الصّحابة، ثُمَّ أَخَذَهَا الْيَهُودِيُّ وَشَمَّهَا فَقَالَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرَّائِحَةَ ثُمَّ قَامَ إِلَى قَبْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: أَشْهَدُ يَا رَبُّ أَنَّكَ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ رَسُولُكَ وَحَبِيبُكَ وَصَدَّقْتُهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ قَبِلْتَ إِسْلَامِي فَاقْبِضْ رُوحِي السَّاعَةَ، فَخَرَّ مَيِّتًا فَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ وَدَفَنَهُ فِي الْبَقِيعِ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ آمِينَ. اهـ «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين» للسّمرقندي

قال الإمام المناوي في «شرح الجامع الصغير»: ٧١٠٩ - (كان يعرف) منه (ريح الطيب إذا أقبل) وكانت رائحة الطّيب صفته وإن لم يمس طيبا وكان إذا سلك طريقا عبق طيب عرقه فيه. وأمّا خبر "إنّ الورد من عرقه" فقال ابن حجر : كذب موضوع.اهـ «فيض القدير».

[الطّيب لا يُردّ]

ما عُرِضَ عليه ﷺ طيبٌ قطُّ فردَّهُ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال :مَن عُرِضَ علَيهِ طيبٌ فلا يرُدَّهُ، فإنَّهُ طيِّبُ الرِّيحِ، خفيفُ المَحمل (رواه أبو داود)، وفي رواية «مسلم» :من عُرِض عليه ريحان فلا يردّه، فإنّه خفيف المحمل طيب الريح. قال المنذري: "ويحتمل أن يراد بـ (الريحان) جميع أنواع الطيب، يعني مشتقاً من الرائحة".

وقال الإمام النّووي : وفي هذا الحديث: كراهة ردّ الرّيحان لمن عُرِض عليه إلّا لعذر". وقال الإمام ابن العربي :إنّما كان لا يردُّ الطيب لمحبّته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره، لأنّه يُناجي مَنْ لا نُناجي، وأمّا نهيه عن ردّ الطّيب فهو محمول على ما يجوز أخذه لا على ما لايجوز أخذه، لأنّه مردود بأصل الشّرع.

[حضور الرّسول ﷺ في مجالس الموالد أمر مجرّب]

فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « منْ رَآني فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي». وزاد مسلم: «فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ». وفي رواية : «فَقَدْ رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ» أخرجه ابن ماجة في «سننه». وبذلك يكون هذا الحديث قد ورد بثلاثة ألفاظ من طرق أخرى، فقد ورد مرة بلفظ: «فقد رآني في اليقظة»، ومرّة أخرى بلفظ: «فكأنّما رآني في اليقظة»، وفي رواية ثالثة بلفظ: «فقد رأى الحق»، وهناك روايات أخرى وردت بلفظ: «من رآني في المنام فقد رآني» دون لفظة في اليقظة، وقد روي عن أنس ﷺ قال: قال النّبيّ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَايَتَمَثَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» وقال الشيخ محمّد بن علوى المالكى في كتابه «الذخائر» (ص : ١٤٦): إنّ رؤيا النّبيّ ﷺ ممكن لعامّة أهل الأرض في ليلة واحدة ، وذلك لأنّ الأكوان مرايا، وهو ﷺ كالشّمس إذا أشرقت على جميع المرآيا ظهر في كلّ مرآة صورتها، بحسب كبرها وصغرها، وصفائها وكدرها، ولطافتها وكثافتها... الخ. كالشّمس في كبد السّماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا، وقال صاحب رسالة «الموقظة في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة» : هل يمكن الاجتماع بالنّبيّ والتلقّي منه في اليقظة ؟.. نعم يمكن ذلك ، فقد صرّح بأنّ ذلك من كرامات الأولياء الغزّالي والبارزي والتّاج السبكي والعفيف اليافعي من الشّافعيّة والقرطبي وابن أبي جمرة من المالكيّة . وقال الإمام ابن بطّال : قوله (فسيراني في اليقظة) يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحّتها وخروجها على الحقّ وليس المراد أنّه يراه في الآخرة لأنّه سيراه يوم القيامة في اليقظة فتراه جميع أمّته من رآه في النوم ومن لم ير منهم . وقال الإمام ابن التين : المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذٍ غائباً عنه ، فيكون بهذا مبشّراً لكلّ من آمن به ولم يره أنه لابدّ أن يراه في اليقظة قبل موته. وقال الشيخ ابن الحاج المالكي في «المدخل»: وقلّ من يقع له ذلك الأمر، إلاّ من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزّمان بل عدمت غالباً ، مع أنّنا لا

ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم . وقال الخطيب القسطلاني : فلا يمتنع من الخواصّ أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجّه على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشيء ممّا يقع لهم من الكرامات فضلاً عن التحدّث بها لغير ضرورة مع السّعي في التّخلّص من الكدورات والإعراض عن الدّنيا وأهلها جملة ، وكون الواحد منهم كالشيخ عبد القادر الكيلاني يودّ أن يخرج من أهله وماله وأنّه يرى النّبيّ. وقال الإمام الغزّالي: ومن أوّل الطريقة تبتدأ المكاشفات والمشاهدات حتّى أنّهم في يقظتهم (يعني أرباب القلوب) يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم ويقتبسون منهم فوائد ، ثمّ يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق. فقد بسطته في كتابي « الأدلّة الباهرة في أسرار احتفال الميلاد النبوي ».

[لماذا لم تظهر هذه الرؤية في صدر الإسلام الأوّل ؟]

أجاب الشّيخ الآلوسي في (تفسيره) فقال : وكانت الخوارق في الصّدر الأول .لقرب العهد بشمس الرّسالة . قليلة جداً وأنّى يرى النجم تحت الشعاع أو يظهر كوكب وقد انتشر ضوء الشمس في البقاع! فيمكن أن يكون وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ولم تقتض المصلحة إفشاءه ، ويمكن أن يقال : إنّه لم يقع لحكمة الابتلاء أو لخوف الفتنة أو فيما يهمهم أو ليهرع الناس إلى كتاب الله وسنته ﷺ لأنّ في القوم من هو كالمرآة له فيتسع باب الاجتهاد وتنتشر الشريعة وتعظم الحجّة الّتي يمكن أن يعقلها كلّ أحد أو لنحو ذلك . وأضاف رحمه الله فقال : وهذه الرؤية إنّما تقع للكاملين الذين لم يخلّوا وبين أحد من الأمة باتباع الشريعة قدر شعيرة ومتى قويت المناسبة بين رسول الله قوى أمر رؤيته إيّاه عليه الصّلاة والسلام ، وقد تقع لبعض صلحاء الأمّة عند الاحتضار لقوّة الجمعيّة حينئذٍ.

فعلم أنّ رؤيته ﷺ من الممكنات سيّما عند مولده ﷺ وأنّها جائزة شرعًا وعقلا ونقلا، فليس هنالك تكذيب بعد النّصّ الصّريح وأنّ رؤيته ﷺ تحصل في الدّنيا لا في الآخرة،لأنه ﷺ قال « فسيراني في اليقظة » ولم يقل سوف يراني . ومن المعلوم أنّ كلمة "سيراني" تستخدم في اللّغة للقريب عكس عبارة سوف ، وأنّه ﷺ أدرى النّاس بالعربيّة ولوأراد الآخرة لقال سوف يراني، يقول الشّيخ الآلوسي رحمه الله تعالى في «روح المعاني»: " قد وقعت رؤيته ﷺ بعد وفاته لغير واحد من الكاملين من هذه الأمّة والأخذ

منه يقظة " . اهـ ، ويقول الإمام ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى » : "أنكر ذلك جماعة وجوّزه آخرون وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لا يتّهم من الصّالحين ، بل استدلّ بحديث « البخاري »: « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » أي بعيني رأسه . اهـ ، وفي « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » له : " المراد : أنه يرى جسمي وبدني" . اهـ ، وفيه ايضا عن الإمام الزركشي : بأنّه ﷺ سراج ونور الشمس في هذا العالم ، مثال نور في العوالم كلّها، فكما أنّ الشّمس يراها كلّ من في الشّرق والغرب في ساعة واحدة ، وبصفات مختلفة ، كذلك هو ﷺ . تنبيه: حكى ابن أبى جمرة والمازرى واليافعى وغيرهم عن جماعات من الصّالحين، أنّهم رأوا النّبى ﷺ يقظة . وذكر ابن أبى جمرة عن جمع : أنّهم حملوا ذلك رواية : « فسيرانى في اليقظة » وأنّهم رأوه نوما فراؤه بعد ذلك يقظة، وسألوه عن تشويشهم من أشياء فأخبرهم بوجوه تفريجها فكان كذلك بلا زيادة ولا نقص . قال : ومنكر ذلك إن كان ممكن يكذب بكرامات الأولياء، فلا بحث معه، لأنّه يكذب بما أثبتته السنّة، وإلّا فهذه منها إذ يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالم العلويّ والسّفليّ. وحكيت رؤيته ﷺ كذلك عن أمثال الإمام عبد القادر الجيلانى كما في « عوارف المعارف » ، والإمام أبى الحسن الشاذلى كما حكاه عنه التاج بن عطاء الله، وكصاحبه الإمام أبى العباس المرسى ، والإمام على الوفائي ، والقطب القسطلاني، والسيد نور الدين الإيجي، وجرى على ذلك الغزّالي فقال في كتابه «المنقذ من الضّلال»: وهم؛ يعني: أرباب القلوب، في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء،ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد . انتهى اهـ . «أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل»، وقال الشهاب ابن حجر الهيتمي : أنّ القطب أبا العباس المرسي تلميذ القطب الأكبر أبي الحسن الشاذلي : حفظت عنه رؤية النّبيّ ﷺ يقظة مراراً لاسيّما عند قبر والده بالرافة ، ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمّد بن أبي الحمائل يرى النّبيّ ﷺ ثمّ يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول قال النّبيّ ﷺ فيه كذا فيكون كما أخبر لايتخلف ذلك أبداً فاحذر من إنكار ذلك فإنّه السمّ الموحي . قال النابلسي : وليس هذا بأمر عجيب ولا شأن غريب فإنّ أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولاتموت أبداً ولكنّها إذا فارقت الأجسام الترابية العنصرية تصورت في صورها كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي وفي صورة دحية الكلبي كما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ. اهـ وذكر الجندي في «شرح الفصوص» : "أنّ الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه كان بعد

موته يأتي إلى بيته يزور أمّ ولد له ويقول لها كيف حالك كيف أنت أخبرته بذلك وهو لايشك في صدقها".اهـ من كتاب « افضل الصلوات » للامام النّبهاني . وقال ابن حجر الهيتمي : ثمّ رأيت ابن العربي صرّح بما ذكرته من أنّه لا يمتنع رؤية ذات النّبيّ صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده؛ لأنّه وسائر الأنبياء أحياء ردّت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا ، وأذن لهم في الخروج من قبورهم ، والتصرّف في الملكوت العلويّ والسّفلي!! ولا مانع من أن يراه كثيرون في وقت واحد ؛ لأنّه كالشّمس . وإذا كان القطب يملأ الكون - كما قاله التّاج ابن عطاء الله - رحمه الله تعالى - فما بالك بالنّبيّ ﷺ !!! ولا يلزم من ذلك أنّ الرّائي صحابي؛ لأنّ شرط الصّحبة الرّؤية في عالم الملك، وهذه رؤية؛ وهو في عالم الملكوت، وهي لا تفيد صحبة، وإلّا! لثبتت لجميع أمّته لأنّهم عرضوا عليه في ذلك العالم ؛ فرآهم ورأوه ، كما جاءت به الأحاديث . انتهى كلام ابن حجر مقتطفا . وقال العفيف اليافعي في « روض الرّياحين » : أخبرني بعضهم أنّه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء وأكثر مايراهم ليلة الجمعة ، وليلة الاثنين ، وليلة الخميس . وعدّ لي جماعة كثيرة من الأنبياء ، وذكر أنّه يرى كلّ واحد منهم في موضع معيّن؛ يجلس فيه حول الكعبة ، ويجلس معه أتباعه من أهله وقرابته وأصحابه . اهـ « منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول » . وفي «الأسرار الربانيّة في مولد النّبيّ ﷺ » للعارف بالله تعالى السيّد محمّد عثمان الميرغني: فلمّا كان يوم الجمعة وقع في الخاطر تأليف مولد يتلى في بعض أخبار ولادة الحقيقة الأحمديّة ، وسطع الوارد بتسميته ب « الأسرار الرّبانية في مولد من وضع وهو مصحوب بالختان والدّرر الوهبيّة المجليّة الحقيّة في بعض أنباء من ظهر وعيناه مكحولتان » ، فرأيت في تلك اللّيلة النّبيّ صلى الله عليه و سلم رؤية منامية ، ورؤيته حقّ كما أورد عنه ثقات الرّواة بطرق الإحصان ، فأمرني أن أصنّف مولدا وأجعل إحدى قافيتيه هاء بهيّة، والأخرى نونا كما فعلت لأنها نصف دائرة الأكوان، وبشّرني أنه يحضر في قراءته إذا قرىء فسطّرت ليتشرّف به كلّما تلي حكاية نوميّة ، وأنّه يستجاب الدّعاء عند ذكر الولادة و عند الفراغ منه ، فنسأل الله الغفران ، فشرعت ، وأنا الفقير الرّاجي لأعلى المشاهد القرآنية ، لأنّه هو القصد المؤمّل بركة تلاوته على ممرّ الأزمان . اهـ « مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النّبيّ القدسي » . وفي « اليمن و الإسعاد بمولد خير العباد » ، تأليف الشريف العلاّمة المحدث الكبير سيدي محمّد بن شيخ الجماعة سيدي جعفر الكتاني الحسيني : ومن

فوائد الصّلاة أنّها تثمر لمن أكثر منها رؤية النّبيّ (عليه السلام) والاجتماع به في اليقظة أو المنام وأنّها تبلغه درجة القرب منه حتّى يصير يشاهده متى شاء ويسأله ويجيبه عمّا شاء وأنّها سلّم ومعراج وسلوك إلى اللّه إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا يرشده إلى اللّه و أنّها سبب في نزول الرّحمات الإلهيّة والنفحات القدسيّة الربانية . اهـ « مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النّبيّ القدسي » (ص : ٧٨). فثبت به ما قلناه .

[ترجمة المصنّف مختصرا]

قال الشيخ محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، في كتابه «النّور السّافر عن اخبار القرن العاشر» : "ووجدت بخطّ شيخنا الشيخ أبي السعادات الفاكهي المكّي قال : وجدت بخطّ شيخنا الحافظ وحيد الدّين عبد الرّحمن بن علي الديبع ما لفظه : الحمد لله مصنّف كتاب مولد النّبيّ ﷺ المفتتح بالحمد لله الذي شرّف الأنام بصاحب المقام الأعلى: هو الشّيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن قاسم المالكي البخاري الأندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحريري، وهذا المولد هو الفصل التاسع من كتابه الذي صنّفه في الوعظ والرّقائق، ووقفت على الجزء الأوّل منه يشتمل على خمسة وعشرين فصلا بعد طول البحث عن مؤلّف هذا المؤلَّف، وعدم معرفته عند أكثر العلماء وهذه فائدة تساوي رحلة. انتهى ما وجدته، قلت: وبذلك يعلم عدم صحّة نسبة هذا المولد إلى ابن الجوزي فإنّي سمعت كثيراً من النّاس ينسبونه إليه والله أعلم . انتهى .

[ابتداء الشّرح]

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) افتتح المصنّف ، كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملا بقوله ﷺ كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أقطع أو أجذم ، وقد أفردها بالتأليف من لا يحصى من العلماء وأبدى فيها وأبدع من لا يستقصى من النّبلاء ومع ذلك ما بلغوا معشار ما انطوت عليه من لطائف الأسرار ونكات التفسير إذ لا يحيط بتفضيله وجمله إلا اللّطيف الخبير ، كيف ذلك وقد قال الإمام عليّ كرّم الله وجهه : لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وقر سبعين بعيرا ، وفي رواية عنه لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . ولكن ينبغي التّكلّم عليها من جنس الفنّ المشروع فيه وفاء بحقّها وبحق الفنّ المشروع فيه . ومعنى الرّحمن : قال الإمام المحاسبي : برحمة النّفوس ، ومعنى الرّحيم قال : برحمة القلوب . (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي) يتضمّن معنى الحمد المدح والثّناء والشّكر، فهذا كلّه لله أي : هو المستحق به ولايصلح ذلك لغيره ؛ لأنّ وجوده كلّ شيء نعمة فلا منعم إلّا هو . (شَرَّفَ الْأَنَامَ) أي عَظَّمَ ، ومَجَّدَ الخلق (بِصَاحِبِ) متعلّق بشرّف ، ومعنى الصاحب : القائم على الشّيءِ من نبيّ ومدرّس وموظّف وسلطان ، فالمراد هنا الرّسول ﷺ كما يفسّره قوله الآتي(الْمَقَامِ الْأَعْلَى) قال الشيخ القاسمي : ما من رسول أرسل إلّا وقد كان أحرص على إيمان أمّته وتصديقهم برسالته منه على طعامه الّذي يطعم وشرابه الّذي يشرب وسكنه الّذي يسكن اليه ويغدو عنه ويروح عليه وقد كان نبيّنا ﷺ من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى قال الله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] وقال : ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس : ٩٩]، وفي الآيات ما يطول سرده ، مما يدل على أمانيه ﷺ المتعلّقة بهداية قومه ، وإخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه ، إلى نور ما جاء به .

(وَكَمَّلَ السُّعُودَ) أي أتمّ الله بيان أسباب السعادة حقّ الكمال. (بِأَكْرَمِ مَوْلُودٍ) معنى أكرم هو الشّخص الأكثر كرماً وعطاءً ، والأكرم أيضاً اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه الكريم الّذي لايوازيه كريم ولايعادله نظير . والمَوْلُودُ : الصَّغِيرُ لقرب

عهده من الولادة (حَوَى) أي جمع المولود (شَرَفًا) الشَّرَف إنّما هو في الأصل شَرَفُ المكان ، ومنه قولهم : أَشْرَف فلان على الشَّيء ، إذا صار فَوْقَه ، ومنه قيل : شُرْفَة القصر ، وأَشْرَف على التَّلَف إذا قَارَبَه، ثمَّ استُعْمِل في كَرَم النَّسَب ، فقيل للقرشي : شَرِيف . وكلّ من له نسب مذكور عند العرب : شَرِيف . ولهذا لا يقال لله تعالى : شَرِيف ، كما يقال له : عَزِيز . «نضرة النّعيم» (وَفَضْلاً) قال الإمام المناوي في شرح الحديث : (اطلبوا الفضل) أي الزّيادة من الإحسان والتّوسعة عليكم .

(وَشَرَّفَ بِهِ) أي شرّف الله به ﷺ (الْآبَاءَ وَالْجُدُودَ) مفعول شرّف ، أي شرّف الله بمحمّد ﷺ الأباء كلّه من عبد الله إلى آدم عليه السّلام من جهة الأب والأم ، فصار بعض الآباء الأنبياء وبعضهم الرّسل وبعضهم من ألو العزم ، فلذا يقول جمهور أهل السّنة والجماعة إنّ أباء الرّسول كلّهم على التّوحيد كما قرّر الإمام السيوطي في « الرّسائل التّسع » ، ونقلناه في كتابي « الدرّة المضيئة في النّصائح الوضيئة » ، فقد روى الإمام البخاري : « بُعِثْتُ من خيرِ قُرونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فقَرْنًا ، حتّى كُنتُ من القَرْنِ الّذي كُنتُ فيهِ » أي النّبيّ ﷺ اخْتارَه اللهُ مِن خَيرِ طَبقاتِ البَشَرِ ، طَبقةً بعْدَ طَبَقةٍ ؛ فكان ﷺ يَنتقِلُ مِن الأصْلابِ الشَّريفةِ إلى الأرْحامِ الشَّريفةِ ، حتَّى ظَهَر أخيرًا مِن البَيتِ الهاشِميِّ ؛ أشرَفِ بُيوتاتِ العرَبِ ، وأعْرَقِها نسَبًا ، وأعْلاها مَنزِلةً في جَزيرةِ العرَبِ كلِّها . وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النّبيّ ﷺ عن نفْسِه : « بُعِثتُ مِن خَيرِ قُرونِ بَني آدَمَ، قَرنًا فقَرنًا » ، والقَرنُ : أهلُ زَمانٍ واحِدٍ مُتَقارِبٍ ، « حتَّى كُنْتُ مِن القَرنِ الَّذي كُنتُ فيه » ، أي : أنَّه انْتُقِيَ منَ القُرونِ وأفضَلِها قَرنًا بعْدَ قَرنٍ ، حتَّى وصَل إلى الزَّمنِ الَّذي ظهَر فيه ووُلِدَ ، فانتقَلَ أوَّلًا مِن صُلبِ ولَدِ إسْماعيلَ ، ثمَّ مِن كِنانةَ ، ثمَّ مِن قُريشٍ ، ثمَّ مِن بَني هاشمٍ ، فالفاءُ في قولِه : (فقَرنًا) للتَّرتيبِ في الفَضلِ على سَبيلِ التَّرقِّي مِن الآباءِ مِن الأبعَدِ إلى الأقرَبِ فالأقرَبِ . ففي الحَديثِ : بَيانُ خَيريَّةِ النّبيّ ﷺ واصْطفائِه على سائر الخلق ، وهذا الحديث تفسير للحديث الآتي ، فقد رواه الإمام أبو نعيم في « دلائل النّبوّة » بلفظ « لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ فِي سِفَاحٍ ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عزّ وجلّ يُنَقِّلُنِي مِنْ أَصْلَابٍ طَيِّبَةٍ إلى أَرْحَامٍ طَاهِرَةٍ ، صَافِيًا ، مُهَذَّبًا ، لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ ، إِلَّاكُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا » ؛ فالحديث الثّاني حسن لغيره ، ولذا إستدلّ كثير من الأئمة بهذا الحديث على توحيد أباء الرّسول ، وأورده الأئمّة في الموالد الكثيرة كالمصنّف . (وَمَلَأَ) ملأ الشّيء : وضع فيه من

الأشياء قدر ما يأخذ (الْوُجُودَ) المفعول الأوّل لملأ، أي الكون والعالم (بِجُودِهِ عَدْلاً) مفعول ثان ، والجود الإلهيّ الّذي هو ينبوع الوجود على ما يقبله . والعدل معناه العادل وهو الّذي يصدر منه فعل العدل المضادّ للجور والظّلم . قاله الإمام الغزّالي في « الأسنى » .

(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ آمِنَةُ) قال الشّيخ ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » : وذكرنا أنّ عبد المطّلب تزوّج هالة وزوّج ابنه عبد الله بآمنة في مجلس واحد فولد حمزة وولد رسول ﷺ فأرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح . وقد فصّل الدياربكري في قصة حملها : فلمّا كانت الليلة الّتى أذن الله عزّ وجلّ للنّور المحمّديّ أن يخرج من عبد الله إلى آمنة.. اهتزّت الملائكة فرحا وذلك ليلة الجمعة في شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى كذا في « المنتقى » وفي « سيرة اليعمرى » حملت به آمنة في أيّام التّشريق عند الجمرة الوسطى انتهى وفي « المواهب اللّدنّيّة » زعموا أنّه وقع عليها يوم الاثنين أيّام منى في شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى قال أبو أحمد الحاكم : كان سنّه اذ ذاك ثلاثين سنة وكذا في « سيرة مغلطاى » : فحملت برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمر الله خازن الجنة أن يفتح أبواب الجنان تعظيما لنور محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، وهبط جبريل بلوائه الأخضر ونصبه على ظهر الكعبة وفي « المواهب اللّدنية » ولمّا حملت آمنة برسول الله ﷺ .. ظهر لحمله عجائب ووجد لايجاده غرائب؛ فذكروا أنّه لمّا استقرّت نطفته الزكيّة ودرّته المحمّدية في صدفة آمنة القرشيّة .. نودي في الملكوت ومعالم الجبروت أن عطّروا جوامع القدس الأسنى وبخّروا جهات الشّرف الأعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصّفاء لصوفية الملائكة المقرّبين أهل الصدق والوفاء ، فقد انتقل النّور المكنون إلى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصّها الله تعالى القريب المجيب بهذا الصدر المصطفي الحبيب ؛ لأنّها أفضل قومها حسبا وأنجب وأزكاهم أصلا وفرعا وأطيب . وقال سهل بن عبد الله التّسترى فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ : لمّا أراد الله خلق محمّد ﷺ في بطن أمّه آمنة ليلة رجب - وكانت ليلة جمعة - أمر الله تعالى تلك اللّيلة خازن الجنان أن يفتح الفردوس ، ونادى مناد في السّموات والأرض ألا إنّ النّور المخزون الّذى يكون منه النّبىّ الهادى في هذه اللّيلة يستقرّ في بطن أمّه الّذى فيه يتمّ خلقه ويخرج إلى النّاس بشيرا ونذيرا (فَلَمْ تَجِدْ لِحَمْلِهِ أَلَمًا) أي كما تجد النّساء من قيئ وغيره (وَلاَثِقَلاً) لبطنها، وفي « الصفوة » روى

عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته قالت : كنّا نسمع أنّ آمنة لمّا حملت برسول الله ﷺ ... كانت تقول ما شعرت أنّي حملت ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النّساء إلّا أنّي أنكرت رفع حيضتي وأتاني آت وأنا بين النّوم واليقظة أو قالت بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت فكأنّي أقول ما أدري قال إنّك حملت بسيّد هذه الأمّة ونبيّها كذا ذكر ابن اسحاق في كتاب « المغازي » .

(وَوَضَعَتْهُ ﷺ) قال علماء السّير: ووضعته أمّه وهو مستقبل القبلة ، واضعا يديه على الأرض ، رافعا رأسه إلى السّماء ، مختونا ، مسرورا – أي : مقطوع السّرّة - ، ليس عليه شيء من قذر الولادة . ولمّا سقط النّبيّ ﷺ على يديّ، سمعت قائلا يقول : يرحمك الله ، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب، حتّى نظرت إلى قصور (الشّام). « حدائق الأنوار »، وفي « شفاء السقيم » منقولا : فعن صفيّة بنت عبد المطّلب أنّها قالت : كنت قابلته حين ولد فرأيت فيه ست علامات ، الأولى : رأيته حين سقط على الأرض وقع ساجدا ، والثانية : لمّا رفع رأسه.. قال بلسان فصيح : لا إله إلّا الله إنّي رسول الله . والثالثة : رأيت البيت مستضيئا من نوره قد غلب ضوؤه ضوء السّراج . والرّابعة : أردتّ أن أغسله فهتف بي هاتف : يا صفيّة لا تتعبي نفسك فإنّا أخرجناه مغسولا طاهرا طيّبا . والخامسة : أردتّ أن أعرف أذكر أم أنثى فوجدته مختونا مسرورا . والسادسة : أردتّ أن ألفّه في لفافة فوجدتّ على ظهره خاتم النبوّة بين كتفيه . وروى الطبراني في «الأوسط» وابن عساكر من طرق عن أنس ﷺ : أنّ النّبيّ ﷺ قال : « من كرامتي عليّ ربّي أنّي ولدتّ مختونا ولم ير أحد سوأتي » . صحّحه الضّياء المقدسي في « المختارة » ، وحسّنه مغلطاي ، ورواه أبو نعيم بسند جيّد عن ابن عباس . (مَخْتُونًا) أي مقطوع السّرة (مَكْحُولاً) عبارة « مولد إنسان الكمال » للعارف بالله سيّدي السيّد محمّد بن السيّد المختار الشّنجيطي التّيجاني : ووضع ﷺ مختونا مقطوع السري مكحولا من غير اكتحال . وعبارة « مولد الديبعي » للإمام الحافظ عبد الرّحمن بن الديبع الشّيباني : وولد ﷺ مختونا بيد العناية ، مكحولا بكحل الهداية ، فأشرق بهائه الفضا ، وتلألأ الكون من نوره . اهـ وهذا المعنى هو الأحسن بمقامه ﷺ . (فِي خِلَعِ الْوَقَارِ) يقال : خلع عليه خلْعة ؛ ألبسه ثوبًا أو أعطاه منحةً . و (الوقار) بفتح الواو والقاف ؛ أي : الحلم و الرّزانة . والإضافة بيانيّة . وعبارة « إسعاف الراغب الشّائق بخبر ولادة خير الأنبياء

وسيّد الخلائق » للشّيخ العلّامة السيّد محمّد بن جعفر بن إدريس الكتاني : وأخرج أحمد أيضا والبخاريّ في « تاريخه » والبغويّ وغيرهم ، وصحّحه الحاكم عن ميسرة الفجر ، قال : قلت : يا رسول الله متى كنت - وفي رواية : كنت نبيّا ؟ - فقال : « وآدم بين الروح والجسد » بمعنى أنّ الله تعالى خلق حقيقته الّتي هي أصل الحقائق قبل تكوين شيء من الخلائق ثمّ صورها على شكل خاص من نور وخلع عليها خلع الكمال والفتوّة والنّبوءة والظّهور ، فكان ﷺ نبيّا أمينا وآدم عليه السّلام لم يزل طينا ، بل لم تكوّن طينته ولم تخرج للوجود ماهيته ولاحقيقته ، ولذا كان عليه الصّلاة والسّلام سيّد الأكوان ، ودرّة صدفة الوجود، ونخبة الأعيان. اهـ (وَالْمَهَابَةِ) أي السّكينة والحرمة (يُجْلَى) أي يظهر ، وهذه الجملة حال ثالثة من الهاء في وضعته .

(وَوُلِدَ) من الولادة (نَبِيُّنَا محمّد ﷺ بِوَجْهٍ) أي مع وجه شريف (مَا يُرَى) ما نافية (أَحْسَنُ مِنْهُ) أي لم تر الخلائق أحسن منه (وَلاَ أَحْلَى) يقال : أحلاه ، وجده حلوا (بِنُورٍ) أي ولد ﷺ مع حقيقة النور المحمّدي ، يظهر من وجهه و من سائر أعضائه النّور الّذي أعطاه الله له (كَالشَّمْسِ) مثال للنّور لا التّشبيه (بَلْ هُوَ) ﷺ (أَضْوَأُ وَ أَجْلَى) وهو أكمل ضوءً ، والحسن الوجه من الشمس . والأَجلَى : الحَسَنُ الوجهِ (وَثَغْرٍ) معطوف على نور، والثَّغْرُ : المبسم ثمّ أطلق على الثّنايا وإذا كسر ثغر الصّبي، فمراد المصنّف كأنّه ﷺ يبتسم عن ثغر لؤلؤ (فَاقَ) أي أعلى الرسول (دُرًّا) مفعول فاق ، والدرّ : اللؤلؤ العظيم الكبير(وَلُؤْلُؤًا) أي درّا وهو يتكون في الأصداف من رواسب أو جوامد صلبة لماعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية الدّنيا من الرخويات ، واحدته لؤلؤة (بَلْ هُوَ أَعْلَى) من العلوّ (وَأَغْلَى) أي أزيد .

(وَأُسْرِي بِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ) الإسراء : هو إذهاب الله جسد نبيّه محمّدا ﷺ من المسجد الحرام بمكّة إلى المسجد الأقصى بمدينة القدس في جزء من اللّيل ، ثمّ رجوعه من ليلته . وفي الكلام حذف ، يدلّ عليه قوله الآتي ، أي : ليلة الإسراء والمعراج ، وهو إصعاده ﷺ بجسده من بيت المقدس إلى السّموات السبع ، وما فوق السبع ، حيث فرضت الصّلوات الخمس ، ثمّ رجوعه إلى بيته ﷺ . (وَتَمَلَّى) تملّى عمره : طال عمره واستمتع به ، فالمعنى : أنّه ﷺ استمتع بالنّظر إلى وجهه الكريم ، والواو للحال ، والجملة حاليّة من الهاء في "به" .

(وَجَعَلَ دِينَهُ) أي جعل الله دينه ﷺ (عَلَى الدَّوَامِ مُسْتَعْلِيًا) مفعول ثان لجعل ، يقال عَلا النَّهارُ : ارْتَفَعَ ، كاعْتَلَى واسْتَعْلَى ، فصلاحيّة دين الإسلام لكلّ زمان ومكان أمر مسلَّم به عند العقلاء فضلاً عن شهود الأدلّة الشرعيّة عليه ، فهو خاتمة الأديان ، وهو الّذي ارتضاه الله للأنام، قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] (لاَ مُسْتَعْلَى) أي لا المرتفع بالتكبّر والترفّع ، بل الإسلام غالية في كلّ أزمة ، فإذا ورد بعض الطغيان على الإسلام لأرتفع الإسلام من كلّ الوجوه ، لأنّ الدهريّين والملحدين تشنّعوا الإسلام منذ زمن النّبيّ ﷺ إلى زماننا هذا ، فصاروا من الهالكين ، والإسلام وأهله باقون غاليةً، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجر: ٩] (وَذِكْرُهُ عَلَى مَمَرِّ الأَيَّامِ) أي جعل الله تمديحه على مدى الزمان متكرّرة في أسبوع وسنة . والممرّ : مصدر ميميّ (يُكَرَّرُ) في كلّ أسبوع كيوم الاثنين وفي كلّ سنة كربيع الأول (وَيُتْلَى) أي يقرأ مولده الشريف ومدحه .

(أَشْرَقَتْ لِمَوْلِدِهِ) أي أضاءت عند مولده ﷺ (الْحَنَادِسُ) أي الظّلمات ، جمع حِندِس ، والحِنْدِسُ : اللّيلُ الشديد الظلمة ، والمعنى : أشرق العالم ليلة ولادته ﷺ ، ولا ينافيه ولادة النّبيّ ﷺ نهارا بُعيْد طلوع فجر يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأوّل كما قرّر وصحّح به الإمام ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية ، لكن المشهور خلافه ، وعبارة «اليمن و الإسعاد بمولد خير العباد» : وظهرت إذ ذاك ليلة مولده في العالم آيات وخوارق وإرهاصات تمهيدًا لنبوّته وإعلاما بظهوره وعزّته ، منها إخبار كثير من الجنّ والأحبار من اليهود و الرّهبان من النّصارى و الكهّان من العرب بأنّه ولد اللّيلة النّبيّ المختار المقرب نبيّ آخر الزّمان الذي ينسخ دينه الأديان (شَرْقًا وَغَرْبًا وَوَعْرًا وَسَهْلاً) أي في المشرق والمغرب والأماكن كلّها ، ومعنى الوَعْرُ : المكانُ الصُّلب . أو المكانُ المخيف ، والسّهل خلاف الوعر .

(وَخَرَّتْ لِمَوْلِدِهِ الأَصْنَامُ) أي سقطت الأصنام من مكانها إلى الأرض عند مولده ﷺ (مِنْ أَعْلَى الْمَجَالِسِ خُضُوعًا وَذُلاً) أي صارت الأصنام مقلوبة إلى الأرض ، إطاعة للرّسول ، وإشارة لخضعه ﷺ ، فكانت الأصنام كلّها ذليلة لجنابه ﷺ (وَارْتَجَّ) أي تحرّك واهتزّ (إِيوَانُ كِسْرَى) من أحد قصور كسرى ، وعبارة « البيان والتعريف » : وانشقّ

لهيبته حين ولد إيوان كسرى (وَهُوَ جَالِسٌ) وهو في ذلك القصر (فَعَدِمَ الْقَوْمُ) أي توقّف جنود كسرى وقومهم كمن توقّف من مسّ البرق (نُطْقًا وَعَقْلاً) بسبب هذه المصيبة وصار بعضهم أمواتا وجنونا ، والنّطق تمييز (وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ وَتَبَدَّدَ مُلْكُهُمْ) تروي كتب الآثار أنّه كان لفارس نار عظيمة ، مشتعلة لألف سنة ، يقيم عليها عمّال مخصوصون ، مهمتهم تزويدها بالحطب ووسائل إشعالها ، فحدث ليلة ميلاده ﷺ ، أن انطفأت هذه النيران ، وصاحب انطفاءها اهتزازة شديدة في إيوان كسرى سقط على إثرها من الإيوان أربع عشرة شرفة ، وانحسرت مياه بحيرة ساوة ، تلك البحيرة الّتي كانت تستمدّ ماءها من غير نهر ولامطر ، وكانت لاتنضبّ أبدًا (جَمْعًا وَشَمْلاً) أي عمّت البلوى جموعا وأفرادا ، وبعض الجنود قتلوا بسب الأهوال ولم يطقهم بعد ذلك أن يجمع الملك كماقبلُ،فصاروا من الهالكين .

(وَزُخْرِفَتِ الْجِنَانُ) أي زيّنت جنّات عدن بأنواع التزيّن ، بدليل ما رواه الحاكم عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى عليه السّلام : يا عيسى آمن بمحمّد ، وأمر من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمّد ما خلقت آدم ، ولولا محمّد ما خلقت الجنّة والنّار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه : لا إله إلا الله محمّد رسول الله ، فسكن . قال الحاكم : صحيح الإسناد ، وصحّحه الشّيخ ابن تيميّة في « الفتاوى » ، وقد ورد الحديث بطرق كثيرة ، يعني : أنّ الكون مخلوق لأجله ﷺ ،ويتّضح معنى الحديث بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال المفسّر الآلوسي : وكونه ﷺ رحمةً للجميع باعتبار أنّه عليه الصّلاة والسّلام واسطة الفيض الإلهي على الممكنات على حسب القوابل ، ولذا كان نوره ﷺ أوّل المخلوقات ، ففي الخبر: «أوّل ما خلق الله تعالى نور نبيّك ياجابر»، وجاء: «الله تعالى المعطي وأنا القاسم» ، وللصّوفيّة قدسّت أسرارهم في هذا الفصل كلام فوق ذلك اهـ

(لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ) ففي « الخصائص الكبرى » للامام السّيوطي : وأخرج ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال : سمعت أبي - وكان من أوعية العلم – قال : لمّا حضرت ولادة آمنة .. قال الله لملائكته افتحوا أبواب السّماء كلّها وأبواب الجنان كلّها ، وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت - تبشّر بعضها بعضا - ، وتطاولت جبال الدّنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلّا حضر ، وأخذ الشّيطان فغل سبعين غلا وألقي منكوسا

في لجة البحر الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرون ولادة محمّد ﷺ وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمّد ﷺ وأن لاتبقى شجرة إلّا حملت ولاخوف إلّا عاد أمنا ، فلمّا ولد النّبيّ ﷺ .. امتلأت الدّنيا كلّها نورا وتباشرت الملائكة وضرب في كلّ سماء عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السّماء قد رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء قيل هذا ما ضرب لك استبشارا بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكلّ أهل السّموات يدعون الله بالسّلامة ونكست الأصنام كلّها ، وأمّا اللات والعزّى .. فإنّهما خرجا من خزانتهما ، وهما يقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها ، وأمّا البيت .. فأيّاما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول : الآن يرد علي نوري الآن يجيئني زواري الآن أطهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيّام ولياليهنّ وهذا أوّل علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ .اهـ (وَاطَّلَعَ الْحَقُّ) أي نظر الله تعالى إلى الخلق بأنواع الإنعام والإحسان بسبب ولادته ﷺ (وَتَجَلَّى) أي انكشف الله بإنزال الرحمة ورفع العذاب بسبب الولادة (وَنَادَتِ الْكَآئِنَاتُ) أي نطقت الموجودات بنطق الحال ولسان المقال (مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ) أي من كلّ فجّ عميق معجزة نبويّة (أَهْلاً وَسَهْلاً ثُمَّ أَهْلاً وَسَهْلاً) أي فرح الخلق كلّهم بولادته ﷺ كما تقدّم ، وقول "أهلا وسهلا" ألفاظ الفرح والسرور ، قال الإمام ابن قتيبة معنى "أهلا" أي أتيت أهلا لا غرباء فأنس ولا تستوحش . ومعنى "سهلا" أي : أتيت سهلا لاحزنا ، ومعنى " مرحبا" : أي أتيت رحبا ، أي سعة . وهذا الأسلوب المقصود منه الدعاء للمخاطب أوإظهار الفرح والسّرور للمخاطب .

(صَلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ ۞ عَلَى الْمُصْطَفى الْمُخْتارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ) هذه الأبيات لنّشاطات القرّاء ، بيّنتُ معناها وبركة البيت في « شرح مولد بدر » للشّيخ عبد العزيز الوضفلي الفناني المليباري الهندي (بِشَهْرِ رَبِيعٍ) الأوّل في الثّاني عشر قُبيل الفجر يوم الاثنين وهذا هو المشهور، وحديث المسلم بأمر الصّيام في يوم الاثنين متجّه على الرأيين ، والباء متعلّق بمحذوف (قَدْ بَدَى) أي ظهر وأشرق (نُورُهُ الْأَعْلَى) أي ظهر نور النّبيّ ﷺ ، والأعلى : صفة للنّور ، وإسم التّفضيل على حقيقته إشارة إلى كونه ﷺ أوّل

المخلوقات ، كما بيّنتُ في مبحث النّور المحمّدي في« تحشية تفسير الجلالين » (فَيَا) الفاء : للفصيحة ، ويا : حرف تنبيه (حَبَّذَا) يقال حبّذ عمله أي فضّل عمله، وهو كلمة للمدح مركّب من حبَّ : فعل ماض جامد ، وذا : اسم إشارة ، فاعل له (بَدْرٌ) خبر لمبتدأ محذوف أي هو ﷺ بدر (بِذَاكَ) أي بسبب النّبيّ ﷺ أو ببركة ميلاد النّبيّ ﷺ ، متعلّق بيجلى (الْحِمَى) أي حفظ الله (يُجْلَى) أي يظهر في كلّ أزمنة .

(أَنَارَتْ) أي أضاءت (بِهِ) ﷺ (الْأَكْوَانُ) فاعل أضاءت ، جمع كون ، أي العالم ، لأنّ الله تعالى خلق العالم من نوره ﷺ كما أشار إليه منصوصا في الآيات والآحاديث (شَرْقًا وَمَغْرِبًا) تمييز ، والمراد العالم كلّه (وَأَهْلُ السَّمَا) بالقصر للبيت ، وسبب تخصيص السّماء كما في حديث المسلسل بالأوّليّة : اختلف في المراد من قوله :(من في السّماء) فقيل : هو الله سبحانه وتعالى، أي ارحموا من في الأرض شفقة يرحمكم الله تعالى فضلا . وتقدير الكلام : يرحمكم من في السماء ملكه وقدرته ، وإنّما نسب إلى السّماء لأنّها أوسع وأعظم من الأرض أو لعلوّها وارتفاعها ، أو لأنّها قبلة الدّعاء ومكان الأرواح القدسيّة الطّاهرة . وقيل : المراد منه الملائكة ، أي تحفظكم الملائكة من الأعداء والمؤذيات بأمر الله تعالى ويستغفروا لكم ويطلبوا لكم الرحمة من الله الكريم . قاله المناوي في الفيض (قَالُوا) أي أهل السّماء (لَهُ) ﷺ ، عند الولادة (مَرْحَبًا أَهْلاً) مرحبا يا رسول الله ، أي قول التّرحيب كما يقال للضّيوف .

(وَأُلْبِسَ) ﷺ (ثَوْبَ النُّورِ) مفعول ثان ، والمفعول الأوّل نائب فاعل ، والإضافة المشبّه به للمشبّه ، والمراد ذاتُه ﷺ خلق من نوره تعالى كما في الآيات والآحاديث الصّحيحة كحديث البخاري (عِزًّا وَرِفْعَةً) مفعول لأجله ، منصوب ، والفرق بين العزة والرفعة : العِزَّة : حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَب ، وهي إحساسٌ يملأ القلب والنّفس بالإباء والشّموخ والاستعلاء والارتفاع . والرّفعة : علوّ القدر والشّأن (فَمَا مِثْلُهُ) ﷺ والفاء للفصيحة وما نافية ، ومثله : مبتدأ وخبره يستجلى (فِي خِلْعَةِ الْحُسْنِ) أي في ثوب الحسن فهو من إضافة المشبّه به للمشبّه ، والجار والمجرور متعلّق بما بعده . يقال : خَلَعَ عليه خِلْعةً أَعطاه أَو أَلبسه إيّاها . فإنّ نبيّنا ﷺ كان أجمل الخلق على الإطلاق ، قال صاحب « قرّة الأبصار في سيرة المشفع المختار » : وكان أجمل الورى وأكملاً خلقا وخلقا بل لعمري أفضلا ، وفي الصّحيحين وغيرهما أنّه ﷺ كان أحسن

النّاس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس . فهو ﷺ قد أوتي الحسن كلّه ، ويوسف إنّما أوتي شطر الحسن ؛ قال الحافظ في الفتح عند شرحه لحديث المعراج "فإذا هو ، يعني يوسف ، قد أعطي شطر الحسن ، لكن روى الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبيّا إلّا حسن الوجه حسن الصوت ، وكان نبيّكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا ؛ فعلى هذا فيحمل حديث المعراج على أنّ المراد غير النّبيّ ﷺ ويؤيّده قول من قال : إنّ المتكلّم لا يدخل في عموم خطابه ، وأمّا حديث الباب.. فقد حمله ابن المنير على أنّ المراد أنّ يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ﷺ . وقال بعض العلماء : إنّ جمال نبيّنا ﷺ ستره الله تعالى بالهيبة والجلال والوقار، بخلاف جمال غيره ؛ جاء في مرقاة المفاتيح للملّا عليّ القاري : وقد قال بعض الحفّاظ من المتأخرين وهو من مشايخنا المعتبرين : إنّه ﷺ كان أحسن من يوسف عليه السلام ، لكنّ الله تعالى ستر عن أصحابه كثيرا من ذلك الجمال الباهر فإنّه لو برز لهم .. لم يطيقوا النظر إليه ؛ كما قاله بعض المحقّقين ، وأمّا جمال يوسف عليه السلام .. فلم يستر منه شيء . ففيه بحث عميق للشّيخ سراج الدين في كتابه « محمّد رسول الله ﷺ » (يُسْتَجْلَى) أي يظهر ذلك بكلّ الزينة .

(وَلَمَّا رَآهُ) ﷺ (الْبَدْرُ) أي القمر، فاعل رأى (حَارَ) أي حال ﷺ، أو اختفي البدر؛ فمعنى حار بمعنى غشي (لِحُسْنِهِ) أي القمر، أو ﷺ . والمعنى أنّ نوره وضوءه ﷺ أقوى من ضوء الشمس، فقد أعلن ذلك القرآن فقال يخاطبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب : ٤٥-٤٦] ، وإليه أشار سيّدنا حسّان ﷺ : وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني ۞ وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ ، ولقد عاش نبيّنا ﷺ طيّباً ومات طيّباً، كما قال سيّدنا أبو بكر ﷺ : " بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيّاً وميتاً " رواه البخاري ، وقد بحثنا عن نوره ﷺ في « تحشية تفسير الجلالين » ، فراجع إليه (وَشَاهَدَ) أي عاين البدر (مِنْهُ) ﷺ (بَهْجَةً) أي حسنا كاملا (تَسْلُبُ الْعَقْلاَ) أي تذهب عقل الناظرين له ﷺ .

(وَأُطْفِئَ) يقال : طفِئت النّارُ : خَمَدَت وسكَن وهجُها وذهب لهبُها (نُورُ الشَّمْسِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ) فاعل اطفئ ، ووجْه النّبيّ ﷺ في جماله وإشراقه ونوره وصفائه كان مثل الشمس والقمر، بل أعلى ، قالت الرُبيع بنت معوذ ﷺ : " لو رأيتَه رأيتَ الشّمس طالعة

" . وعن أبي هريرة ﷺ قال : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأنّ الشّمس تجري في وجهه . رواه الترمذي ، وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : رأيتُ رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان (مضيئة مقمرة) وعليه حُلَّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلي القمر ، فَلَهُوَ عندي أحسن من القمر . رواه الترمذي ، ولفظ البخاري : رأيتُ النّبيّ ﷺ في ليلةِ إضْحِيَانٍ فجعلتُ أنظرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وإلى القمرِ وعليهِ حُلَّةٌ حمراءُ فإذا هو عندي أحسنُ من القمرِ (فَلِلَّهِ) قالوا : لله درّك أي لله عملك، يقال هذا لمن يمدح ويتعجّب من عمله (مَا أَبْهَى) أي ما أجمل (وَلِلَّهِ مَا أَجْلَى) أي أوضح ، وفي بعض النّسخ بالحاء بمعنى أحسن .

(أَيَا مَوْلِدَ الْمُخْتَارِ) أي أيا وقت ولادته ﷺ . أيَا : حرف نداء للبعيد نحو : أيا صَاعد الجبل ، نعم ؛ فقد إستعمل المصنّف بلفظ البعيد ، لأنّ شرف الرسول ﷺ ومرتبته بعيد عنّا بالنسبة إلى ذنوبنا ، أوشرفه ﷺ بعيد عنّا بمراحل عن مرتبتنا ، فإستعمل المصنف بلفظ البعيد (جَـدَّدتَّ) أي وافقت وأسرعت ، والخطاب لذلك الوقت الحاضر (شَوْقَنَا) مفعول جدّدت (إِلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ) أي إلى خير مرسل . ولفظ "خير" في اللغة مايدلّ على العطف والميل ، وعليه قالوا : الخير ضدّ الشر؛ لأنّ كلّ أحد يميل إليه ، ويعطف على صاحبه ، ثمّ توسّعوا في هذا الأصل اللّغوي ، فقالوا : رجل خيّر ، أي : فاضل ؛ وقوم خيار وأخيار ، أي : من أفاضل الناس ، ثمّ إنّ " الخير " في التّعريف الاصطلاحي : ما يرغب فيه كلّ الناس ، كالعقل ، والعدل ، والفضل ، والشيء النافع ، وضده : الشر ، و " الخير " يطلق على نوعين : أحدهما : خير مطلق ، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكلّ حال ، كطلب الجنة . وثانيهما : خير نسبيٌّ ، ويكون مقابلاً للشر ، كالمال يكون خيراً للبعض ، ويكون شراً لآخرين . وهو من الألفاظ المركزية في القرآن لفظ " الخير " ،حيث ورد هذا اللفظ ما يقرب من مئة وثمانين مرّة ، جاء في معظمها اسماً ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٥٤] ، وجاء في سبعة مواضع فقط فعلاً ، منها قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨] . (جَلِيلٍ) أي عظيم (حَوَى الْفَضْلَا) أي جمع كلّ الفضائل الّتي هي ينالها للبشر ، والمعنى : أنّه ﷺ جمع كلّ الفضائل ، وإليه أشار تعالى في كتابه العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فهذه

الآية الكريمة مؤكد بتأكيدات عديدة فيدلّ على أنّه ﷺ فوق جميع الأخلاق الجميلة الحميدة فكان الأخلاق كلّها تحته ﷺ .

(وَسَعْدًا) معطوف على الفضلا ، أي بركة في الدّين والدّنيا (مُقِيمًا) نعت لسعد ، أي دائما (بِافْتِخَارٍ) متعلّق بقائم ، والإفتخار مصدر إفتَخَرَ ، وهو ذكر الشخص محاسنه أومحاسن آبائه ونحوهم على سبيل النعمة ، في ضوء قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] (بِمَوْلِدٍ) متعلّق بإفتخار (لَهُ) ﷺ ، خبر مقدّم (خَبَرٌ) مبتدأ مؤخر ، أي آيات من الله تعالى وأخبار عن الله تعالى (عَنْ حُسْنِهِ) ﷺ ، أي أوصافه ، متعلّق عن حسنه (أَبَدًا) أي دائما في الدّنيا والآخرة ، ولفظ " أبداً " : إسم ظرف زمان لتأكيد المستقبل ويدلّ على الاستمرار ويستعمل مع الإثبات والنّفي : مدى الدَّهْر لاأفعله أَبَدًا . (يُتْلَى) أي يقرأ مولده ﷺ ليلا ونهارا في الدنيا والآخرة ، فأمّا في الدنيا .. فظاهر، وأمّا في الآخرة .. فلقوله تعالى في سورة الشرح: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: رَفْع الله عزّ وجلّ ذِكْرِ نبيّه ﷺ في الدنيا والآخرة ، وهذا يظهر من حديث الشفاعة العظمى ، ولذا كتب الله تعالى على ساق العرش إسم النّبيّ ﷺ كما رواه أئمّة الحديث ، ومنه قول سيّدنا حسّان ﷺ :

أغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النّبيّ إلى اسمهِ ... إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذّنُ أشْهَدُ

(سَأَلْنَا إِلَهَ الْعَرْشِ) أي الله تعالى (يَرْحَمُنَا) الرّحمة من الله للمؤمن ختم الآجال على كلمة التّوحيد وهذا هو الأمر المهمّ بالنّسبة إلينا (بِهِ) ببركته ﷺ وبركة مولده (وَيَغْفِرُ لَنَا ذَنْبًا) معطوف على يرحمنا، أي ذنوبنا (وَيَجْمَعُ بِهِ) أي سألنا إله العرش أن يجمع بسببه ﷺ (الشَّمْلا) أي أمورنا ، يقال : جمَعَ الله شملَهم: جمع ما تفرّق من أمرهم كتزويج البنات والبنين أوحجّ بيت الله الحرام مثلا .

(عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ) إنّ المراد بصلاة الله سبحانه وتعالى على نبيّه ﷺ ثناؤه عليه وتعظيمه ، كما ذكر الحافظ ابن حجر بعد أن سرد أقوال العلماء في المراد بصلاة الله عليه وصلاة الخلق عليه ، قال وأولى الأقوال ما جاء في تفسير سورة الأحزاب عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على نبيّه ثناؤه عليه وتعظيمه ، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب

ذلك له من الله تعالى ، والمراد طلب الزّيادة لاطلب أصل الصّلاة . اهـ (مَا هَبَّتِ الصَّبَا) ففي شعر قيس بن الملوح لمجنون ليلى أو من شعر عروة بن حزام لمحبوبته : " فَوَاللهِ لاَ أَنْساكِ ما هَبَّتِ الصَّبا " . وهَبَّتِ الصَّبَا : رِيحٌ مَهَبُّها مِنْ مَشْرِقِ الشَّرْقِ ، أَيْ مِنْ جِهَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، أي مادامت ريح الصبا ، وهذا اللفظ يستعمل للدوام (وَمَا) حرف عطف ، وما مصدريّة ظرفية (سَارَ) فعل ماض (حَادٍ) فاعل سار أي ماذهب سائق بمركبه (بِالنِّيَاقِ) جمع ناقة (إلى الْمَعْلاَ) وهي مقبرة مكة العليا ، والمراد الطريق في ذلك. قاله الشيخ النّوويّ الجاوي ، والأحسن في معنى البيت : ماذهب سائق بمركبه إلى درجة من درجات الدين كقطب الأقطاب الشيخ عبد القادر الجيليّ، إلّا وللرّسول درجة أعلى منها ، فعلى هذا يكون معنى المعلا : الدرجات العليا ، وهذا يستعمل احتراما مع الوزراء غالبًا كمعالي وزير التعليم العاليّ مثلا.

(قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾) قال ابن عطاء رحمة الله عليه : في هذه الآية إنّا شرّفناك برسالتنا وتخبر عنا خبر صدق فيهدي بك قلوبا عميا أرسلناك شاهدا لنا لاتشهد معنا سوانا جعلنا الخلق كلّهم ، يشهدونك ويشهدوننا فيك ولا يشهدك إلّا من آثر فيه بركة نظرك فيشهدك ويشهدنا فيك (﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أَيْ شَاهِدًا لِلرُّسُلِ بِالتَّبْلِيغِ وَمُبَشِّرًا لِمَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ وَنَذِيرًا لِمَنْ كَذَّبَ بِالنَّارِ) فهذه الكلمات الطيّبات تدلّ على كثير من الوصف ، فالوصف الأول : كونه نبيّاً ، والثاني : كونه رسولاً ، والثالث : كونه شاهداً ، والرابع : كونه مبشّراً ، والخامس : كونه نذيراً ، والسادس : كونه داعياً إلى الله تعالى بإذنه ، والسابع : كونه سراجاً ، والثامن : كونه منيراً (﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾، أَيْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾، أَيْ بِأَمْرِهِ، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾) قال الإمام الطبري : يعنى بالنور محمّدا ﷺ الّذي أنار الله به الحقّ وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك وهو نور لمن استنار به .انتهى (سَمَّاهُ اللَّهُ سِرَاجًا لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ كَالسِّرَاجِ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي الظُّلْمَةِ) أي ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر (﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا﴾) ذكر في هذه الجملة ، المبشَّر ، وهم المؤمنون ، وعند ذكر الإيمان بمفرده ، تدخل فيه الأعمال الصالحة . وذكر المبشَّر به ، وهو الفضل الكبير ، أي : العظيم الجليل ، الذي لايقادر قدره ، من النصر في الدنيا ، وهداية القلوب ، وغفران الذنوب ، وكشف الكروب ، وكثرة الأرزاق الدَّارَّة ، وحصول

النعم السارة ، والفوز برضا ربّهم وثوابه ، والنجاة من سخطه وعقابه . وهذا ممّا ينشط العاملين ، أن يذكر لهم ، من ثواب الله على أعمالهم ، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم ، وهذا من جملة حكم الشرع ، كما أنّ من حكمه ، أن يذكر في مقام الترهيب ، العقوبات المترتبة على ما يرهب منه ، ليكون عونًا على الكف عما حرّم الله (أَمَرَهُ اللّهُ تعالى أَنْ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَضْلِ الْكَبِيرِ مِنَ اللّهِ عزّ وجلّ . وَقَدْ بَيَّنَ اللّهُ تعالى الْفَضْلَ الْكَبِيرَ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾) يقول تعالى ذكره : والّذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة . ويعني بالروضات : جمع روضة ، وهي المكان الّذي يكثر نبته ، ولاتقول العرب لمواضع الأشجار رياض . (وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، أَيْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) ولمّا كان ثَمَّ طائفة من الناس ، مستعدّة للقيام بصد الداعين إلى اللّه ، من الرسل وأتباعهم ، وهم المنافقون ، الذّين أظهروا الموافقة في الإيمان ، وهم كفرة فجرة في الباطن ، والكفّار ظاهرًا وباطنًا .. نهى اللّه رسوله عن طاعتهم ، وحذره ذلك فقال : ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أي : في كلّ أمر يصد عن سبيل الله ، ولكن لايقتضي هذا أذاهم ، بل لا تطعهم (﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يامحمّد أَيْ لاَ تُجَازِهِمْ عَلَيْهِ وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ) أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إيّاك . فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم، والصّفح عن زللهم ؛ فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول . ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين ، وناسخه آية السيف . وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ، ولا تشتغل به ، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل . وهذا تأويل مجاهد ، والآية منسوخة بآية السيف . وتوكّل على الله أمره بالتوكّل عليه وآنسه بقوله وكفي بالله وكيلا وفي قوّة الكلام وعد بنصر . من القرطبي (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَمَرَهُ بِالتَّوَكّلِ عَلَيْهِ وَآنَسَهُ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، ومَعْنَى وَكِيلاً : حَافِظًا) فمنه ما روي عنْ أنسٍ قَالَ : قالَ : رسولُ اللّهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ – يعنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بيْتِهِ -: بِسْمِ اللّهِ توكّلتُ عَلَى اللّهِ ، وَلاحوْلَ وَلاقُوّةَ إلاَّ باللّهِ ، يقالُ لهُ هُديتَ وَكُفِيت ووُقِيتَ ، وتنحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » رواه أبو داودَ ، والترمذيُّ ، والنِّسائِيُّ ، وغيرُهمِ ، وَقالَ الترمذيُّ : حديثٌ حسنٌ ، زاد أبو داود : فيقول :-يعْنِي الشَّيْطَانَ - لِشَيْطانٍ آخر : كيْفَ

لَكَ بِرجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفي وَوُقِي ؟ ، وَعنْ أنَسٍ قَالَ : كَان أخوانِ عَلَى عهْدِ النّبيّ ﷺ ، وكَانَ أَحدُهُما يأْتِي النّبيّ ﷺ ، والآخَرُ يحْتَرِفُ ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبيّ ﷺ فَقَالَ : لَعلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ . رواه التِّرْمذيُّ بإسناد صحيحٍ عَلَى شرطِ مسلمٍ . يحْترِفُ : يكْتَسِب ويَتَسبَّبُ

(وَرُوِيَ) فهذا اللفظ كثيرًا ما يستعمله المحدثون ، ويطلقه علماء الأثر في كتبهم ، والمقصود منه تعدّد رواية الحديث الذي يساق الكلام عنه ، أي : أنه روي عن النّبيّ ﷺ من طرق متعددة، أي: بأسانيد متعددة، فقد جاء في «فتح الباقي بشرح الفية العراقي» :

وَإنْ تَجِدْ مَتْناً ضَعِيْفَ السَّنَدِ ... فَقُلْ : ضَعِيْفٌ أي : بِهَذَا فَاقْصِدِ
وَلاَ تُضَعِّفْ مُطْلَقاً بِنَاءَ ... عَلَى الطَّرِيْقِ، إذْ لَعَلَّ جَاءَ
بِسَنَدٍ مُجَوَّدٍ، بَلْ يَقِفُ ... ذَاكَ عَلَى حُكْمِ إمَامٍ يَصِفُ
بَيَانَ ضَعْفِهِ، فَإنْ أطْلَقَهُ ... فَالشَّيْخُ فِيما بَعْدَهُ حَقَّقَهُ

قال في الشرح : (وَلاَ تُضَعِّفْ) هُ (مُطْلَقاً بناء عَلَى) ضَعْفِ ذاكَ (الطَّرِيقِ) أي : السنَدِ

(عَنِ النّبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ نُورًا) أي قبل الخلق الوجودي (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تعالى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عليه السلام بِأَلْفَيْ عَامٍ) فقد أجمع العلماء على أنّ النّبى ﷺ له الأفضلية والمزيّة على كلّ صورة ظهرت في عالم الأحياء وفي عالم الأرواح وعالم النور ويقول بعض المعترضين : كيف قلتم إنّ رسول الله ﷺ أوّل الخلق رغم أنّ الأحاديث الصحيحة في « البخارى » و « مسلم » وفيٍ « الجامع الكبير » و « مسند الإمام أحمد » ورد بأنّه ﷺ لمّا سئل عن أوّل ما خلق الله قال : الماء ، وسئل ومرةً أخرى عن أوّل ما خلق الله ، فقال : القلم الأعلى وسئل مرّة أخرى فقال : أوّل ما خلق الله العقل الأوّل . نقول : نعم كلّ ما ذكر صحيح وورد أيضاً كما روى الإمام أحمد عن النبيّ ﷺ كنت نوراً بين يدى ربى قبل خلق ادم بأربعة عشر ألف عام وكذلك رواه الإمام الترمذى وغيره عن أبى هريرة ﷺ قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . وكذلك ما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة ﷺ ، قال النبى ﷺ : إنَّ ربّ العزّة خاطبه فقال : لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك . والإمام البيهقى وابن عساكر عن سيّدنا عثمان بن أبي العاص ﷺ قال : حدّثنى أمّي أنّها شهدت ولادة رسول الله ﷺ قالت : فما شيئ أنظر إليه في البيت إلّا نوراً أضاء البيت والدّار حتّى جعلنا لانرى إلّا نوراً . والأحاديث الواردة في أنّه نور وأنّه أوّل الخلق كثيرة ؛ قال الإمام فخر الدّين الشيخ

محمّد عثمان : إنّ كلّ أولويّة ذكرت للقلم أو للعقل أو للماء إنّما هي بالنسبة للعالم التي هي أساس له .

ولتوضيح هذا الأمر نقول مثلاً : أصل الوجود أو أوّل الايجاد لعالم الدّنيا هو سيّدنا ادم . فأوّليّة سيدّنا آدم مقيّدة بعالم الدّنيا من حيث الصورة البشريّة فهو الأوّل، ولكن عالم العناصر الّتي هي التّراب والماء والهواء والنار . له أوّليّة قبل ظهور سيّدنا ادم . أنّ التراب أصل الإيجاد قبل ظهور الجسد ﴿إِنِّي خَالِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] فالطّين له أوّليّة أيضاً . ولكن الدّنيا الأرض ين والسّماء أين حقيقتها ومن أين شيء كانت. اسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالسّماء والأرض كانت شيئاً واحداً فلها أوّليّة بهذا الاعتبار وباختصار شديد فالقلم الأعلى أوّل عالم التدوين، قد حصر ما يجرى في الوجود وكذلك العقل الأول هو أوّل بالنسبة لعالم المعانى والإدراكات، وكذلك الماء أوّل بالنسبة للحياة الّتى هي قوام كلّ صورة وهو هنا بمعنى الرّوح . فعندما يقول النّبيّ ﷺ أوّل ما خلق الله القلم، أوّل ما خلق الله العقل، أوّل ما خلق الله العرش، فكلّ شيئ أوّل لعالمه ، ولكن أولويّة كلّ هذه العوالم مطلقة وأصلها هو النبى ﷺ فهي الأوّليّة جامعة لكلّ أوّليّة مذكورة في الأحاديث التى سبق ذكرها . ونختم بحديث مسند عبد الرزاق عن سيّدتا جابر بن عبد الله ﷺ «ما هو أوّل شيئ خلقه الله ؟ فقال ﷺ نور نبيّك ياجابر» وهو الحديث الّذي بدأ به صاحب «السّيرة الحلبيّة» سيرته، فقد بحثت عنه بالأدلّة القاطعة في «تحشية تفسير الجلالين»، فوق الخمسين من الصفحات المعتدلة.

قال الإمام الدياربكري في تاريخه : وفي كيفيّة خلق نوره ﷺ وردت روايات متعدّدة وحاصل الكلّ راجع إلى أنّ الله تعالى خلق نور محمّد ﷺ قبل خلق السّموات والأرض والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم والجنة والنار والملائكة والإنس والجنّ وسائر المخلوقات بكذا كذا ألف سنة ، وكان يرى ذلك النور في فضاء عالم القدس فتارة يأمره بالسجود وتارة يأمره بالتسبيح والتقديس وخلق له حجبا وأقامه في كلّ حجاب مدّة مديدة يسبح الله تعالى فيه بتسبيح خاصّ فبعد ما خرج من الحجب تنفّس بأنفاس فخلق من أنفاسه أرواح الانبياء والأولياء والصدّيقين والشّهداء وسائر المؤمنين والملائكة كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّه قال : سألت رسول الله

ﷺ عن أوّل شيئ خلقه الله قال : « هو نور نبيّك يا جابر ، خلقه ثمّ خلق منه كلّ خير ، وخلق بعده كلّ شيئ ، وحين خلقه أقامه قدّامه في مقام القرب إثنى عشر ألف سنة ، ثمّ جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم ، والكرسي من قسم ، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ، وأقام القسم الرابع في مقام الحب إثنى عشر ألف سنة ، ثمّ جعله أربعة أقسام ؛ فخلق الخلق من قسم ، واللوح من قسم ، والجنة من قسم ، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف إثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء ، فخلق الملائكة من جزء ، وخلق الشمس من جزء ، وخلق القمر والكواكب من جزء ، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء إثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء ؛ فخلق العقل من جزء ، والحلم والعلم من جزء ، والعصمة والتوفيق من جزء ، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء إثنى عشر ألف سنة ، ثمّ نظر الله سبحانه إليه ؛ فترشح النور عرقا ؛ فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور ، فخلق الله سبحانه من كلّ قطرة روح نبيّ أو رسول ، ثمّ تنفّست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة ، فالعرش والكرسيّ من نوري ، والكروبيّون من نوري ، والروحانيّون من الملائكة من نوري ، وملائكة السموات السبع من نوري ، والجنّة وما فيها من النعيم من نوري ، والشمس والقمر والكواكب من نوري ، والعقل والعلم والتوفيق من نوري ، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري ، ثمّ خلق سبحانه إثنى عشر حجابا ؛ فأقام النور - وهو الجزء الرابع - في كلّ حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية ، وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرّحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسّكينة والصّبر والصّدق واليقين .

(يُسَبِّحُ اللَّهَ ذَلِكَ النُّورُ) قال الإمام الدياربكري : فعبد الله ذلك النّور في كلّ حجاب ألف سنة ، فلمّا خرج النور من الحجب .. ركبه الله في الأرض ، وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسّراج في الليل المظلم ، ثم خلق الله آدم في الأرض ، وركب فيه النّور في جبينه ، ثم انتقل منه إلى شيث ، ومنه إلى يانش ، وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيّب .. إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ، ومنه إلى رحم آمنة ، ثم أخرجني إلى الدنيا ؛ فجعلني سيد المرسلين وخاتم النّبيّين ورحمة للعالمين وقائد الغرّ المحجلين . هكذا بدء خلق نبيك يا جابر . ذكره البيهقى وأخرج مسلم في »

صحيحه » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيّ ﷺ أنه قال : «إنّ الله عزّ وجلّ كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء، ومن جملة ما كتب في الذكر - وهو أمّ الكتاب - أنّ محمّدا خاتم النّبيّين». وعن العرباض بن سارية عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنى عبد الله ، وخاتم النّبيّين وانّ آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأوّل أمري إني دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ، وقد خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال : صحيح الإسناد، كذا في «شرح السنة» .

(وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ) أي بسبب تسبيحه (فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تعالى آدَمَ عليه السلام) أي بالهيئة المشهورة في كتب السنّة (أَلْقَى ذَلِكَ النُّورَ فِي طِينَتِهِ) فلمّا خلق الله تعالى آدم عليه السّلام .. سمع في تخطيط جبهته كنشيش الذّرّ، فقال : ما هذا؟ قال الله تعالى : هذا تسبيح قوله : « قبل أن تعرف آدم عليه السّلام » ، زاد في رواية ابن الجوزي : ثم كان نور محمّد ﷺ يرى في غرّة جبهة آدم ، وقيل له : يا آدم هذا سيّد ولدك من الأنبياء والمرسلين ، فلمّا حملت حواء بشيث .. انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت تلد في كلّ بطن ولدين إلا شيثا، فإنّها ولدته وحده كرامة لمحمّد ﷺ ، ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ . اهـ « شرف المصطفي » للخركوشي (فَأَهْبَطَنِيَ اللَّهُ تعالى فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام إلى الأرض) قال رسول الله ﷺ: « فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح ، وقذف بي في صلب إبراهيم ، ثمّ لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة.. حتّى أخرجني من بين أبويّ ، لم يلتقيا على سفاح قط» . أورده الحافظ في «المطالب العالية» ، والخركوشي في «شرفه» ، والشامي في «سبله» وغيرهم من الأئمة الكبار (وَجَعَلَنِي) أي نوري (فِي السَّفِينَةِ فِي صُلْبِ نُوحٍ عليه السلام وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حِينَ قُذِفَ) أي حين طرح (بِهِ) إبراهيم عليه السلام (فِي النَّارِ) أي نار نمروذ (وَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي) أي من رحم إلى رحم آخر (رَبِّي مِنَ الْأَصْلَابِ) أي أصلاب الآباء (الطَّاهِرَةِ) فليسوا بمشركين، لقوله تعالى : إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ (إِلَى الْأَرْحَامِ) أي إلى بطون الأمّهات (الزَّكِيَّةِ) أي غيرالزّانية ، لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾، قال الشيخ ابن الجوزي: أي طاهرا من الذنوب، والبغي الفاجرة الزانية (الْفَاخِرَةِ) نسبا وعرضا (حَتَّى أَخْرَجَنِيَ اللَّهُ

مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ) أورد تخريجه الإمام السّيوطي في «الدرّ المنثور» في سورة التوبة، الآية: ١٢٨(وَلَمْ يَلْتَقِيَا) أي الأبوان، فهو مكمل للوصف المذكور. « زرقاني» (عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ) وإلى غير ذلك من الأحاديث المرضية الواردة في هذا المعنى ، قال الإمام القاضي عياض : وَإلى هَذَا أشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِقَوْلِهِ :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الورق
ثُـمَّ هَبَطْـتَ الْـبِلادَ لَا بَشَـرٌ ... أَنْـتَ وَلَا مُضْـغَةٌ وَلَا عَلَـقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَـمَ نَسْـرًا وَأَهْلَـهُ الْغَـرَقُ
تُنْقَـلُ مِـنْ صَـالِبٍ إلى رَحِـمٍ ... إذَا مَضَـى عَـالِمٌ بَـدَا طبـق
ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ المهيمن من ... خنـدف عَلْيَـاءَ تَحْتَهَـا النُّطُـقُ
وَأَنْـتَ لَمَّـا وُلِـدْتَ أَشْـرَقَتِ الْأَرْ ... ضُ وَضَـاءَتْ بِنُـورِكَ الْأُفُـقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النو ... رِ وَسُـبُلِ الرَّشَـادِ نَخْتَـرِقُ
يَـا بَـرْدَ نَـارِ الْخَلِيـلِ يَـا سَـبَبًا ... لِعِصْـمَةِ النَّـارِ وَهْـيَ تَحْتَـرِقُ

اهـ . «الشفا» (فائدة عظيمة) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : بأبي أنت وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسّم حتّى بدت نواجده ثمّ قال : « إنّي كنت في صلبه ، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم ، ولم يلتق أبواي قطّ على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذّباً لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما . قد أخذ الله بالنبوّة ميثاقي ، وبالإسلام هداني ، وبيّن في التوراة والإنجيل ذكري ، وبيّن كلّ شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها ، وعلّمني كتابه ، ورقي بي في سمائه، وشقّ لي من أسمائه ؛ فذو العرش محمود ، وأنا محمّد ووعدني أن يحبوني بالحوض، وأعطاني الكوثر وأنا أوّل شافع ، وأوّل مشفّع ، ثم أخرجني في خير قرون أمتي ، وأمتي الحمّادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. « تفسير الدر المنثور». فقد بيّنتُ حقّ التفصيل في مناقب القطب الجيلاني حين تكلّمت عن فتوح الغيب، فراجع إليه .

والسِّفاح بكسر السين المهملة : الزّنا ، كما في « سبل الهدى » ، ويؤيّده رواية البيهقي : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ اللَّهَ أَخْرَجَنِي مِنَ النِّكَاحِ وَلَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ السِّفَاحِ » . وفي « الفيض القدير » للمناوي : « خرجت من لدن آدم من نكاح غير

سفاح » أي : متولّد من نكاح لازنا فيه ، والمراد : عقد معتبر في دين بل روى البيهقي مرفوعا ماولدني من سفاح الجاهلية شيئ ماولدني إلّا نكاح الإسلام ، يعني : الموافق للطريقة الإسلامية ، وقضية الخبر: أن لاسفاح في آبائه مطلقا لكن استظهر بعض المحقّقين أنّ المراد طهارة سلسلته فقط ، ويشهد له ما في المواهب مرفوعا لم يلتق أبواي على السفاح . اهـ

(اَللّٰه اَللّٰه اَللّٰهُ اَللّٰه اَللّٰه اَللّٰهُ - اَللّٰه اَللّٰه اَللّٰهُ عَلَيْهِ تَوَكّلوا) (تَنَقَّلْتَ) أي : يا أشرف الخلق ، ويؤيّد ذلك ما روي عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ أي: من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجتك نبيًّا (فِي أَصْلاَبِ) جمع صُلب ، والصُّلْبُ: فَقار الظهر (أَرْبَابِ سُودَدٍ) أي أصحاب سيادة ومجد وشرف (كَذَا) خبر مقدّم (الشَّمْسُ) مبتدأ مؤخّر (فِي أَبْرَاجِهَا) أي في منازلها وفي طرقها (تَتَنَقَّلُ) لقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. فلكلّ من الشّمس والقمر منازل ، ومنازل الشّمس عددها (١٢) ، تبقى الشمس في كلّ منزل منها (٣٠) يومًا تقريبًا ، وذلك مدة (٣٦٥ يومًا، وربع يوم)، وهي السنة الشمسية وتسمّى هذه المنازل بالبروج ، وهذه البروج هي : برج الحمل ، برج الثور ، برج الجوزاء ، برج السرطان ، برج الأسد ، برج السنبلة ، برج الميزان ، برج العقرب ، برج القوس ، برج الجدي ، برج الدلو ، وبرج الحوت . والقمرله ثمانية وعشرون منزلا ، وأسماؤها : الشرطين ، والبطين ، والثرياء ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنسر، والطوف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواء ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعايم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرع الدلو المقدم ، وفرع الدلو المؤخر ، وبطن الحوت . وهذه المنازل مقسومة على البروج ، وهي الإثنا عشر برجًا التي ذكرناها . ولكلّ برج منزلان وثلث منزل ، فينزل القمر كلّ ليلة منزلًا منها ، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين ، وإن كان تسعًا وعشرين ، فليلة واحدة ، فيكون تلك المنازل ، ويكون مقام الشمس في كلّ منزلة ثلاثة عشر يومًا ، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها . ينظر « تفسير البغوي » .

(وَسِرْتَ) الخطاب للرّسول، أي : مشى (سَرِيًّا) أي شريفا (فِي بُطُونٍ) أي في بطون كريمة للأمهات ، متعلّق بما يأتي (تَشَرَّفَتْ) أي البطون بسيرك يارسول الله (بِحَمْلٍ) أي بمحمول كريم ، متعلّق بتشرفت (عَلَيْهِ) خبر مقدّم (فِي الْأُمُورِ) أي في الشؤون

العظيمة، متعلّق بما يأتي (الْمُعَوَّلُ) أي الإعتماد ، تنقل نور النّبيّ ﷺ من بطن حوّاء إلى بطن آمنة الزهراء ﵂ .

(هَنِيئًا) مفعول مطلق لفعل محذوف، يقال: هَنِيئاً لَكَ بِالنَّجَاحِ؛ يَكُنْ نَجَاحُكَ نَجَاحاً يُفْرِحُكَ وَيَبْعَثُ السُّرُورَ. (لِقَوْمٍ) أي لقوم عظيم (أَنْتَ فِيهِمْ) يارسول الله، أنت في ذلك القوم موجود قبل النبوة، وهذا الكلام إشارة إلى الحديث الشريف المشهور ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». رواه الشيخان ، وقال الإمام النّووي في شرح مسلم : الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصّحابة ، وَالثَّانِي : التَّابِعُونَ ، وَالثَّالِثُ : تَابِعُوهُمْ . وفي فتح الباري لابن حجر : قوله ثمّ الذين يلونهم أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين ، واقتضى هذا الحديث أن تكون الصّحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من اتباع التابعين . لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أوالأفراد محلّ بحث وإلى الثاني نحا الجمهور . اهـ فعلى هذا لاتكون الأقطاب السبعة أوالأربعة أفضل من التابعين كما بيّنت ذلك في كتابي « الكشف لايستلزم الإجتهاد عند أهل السنة والجماعة» (وَمِنْهُمُ) أي بدا من ذلك القوم بالنبوة والرسالة ، فشرفك بعد النبوة لايستطيع لأحد وصف المرتبة ، كما قال الإمام البوصيري بقوله ... ماناطق بفم . (بَدَا) أي ظهر وبرز (مِنْكَ) يا أشرف الخلق (بَدْرٌ) فاعل بدا ، والمراد بالبدر الهداية والرشد والتوحيد ، فقد شبّه المصنّف الهداية بالقمر في ليلة أربعة عشر ، والجامع وضوء الطريق إلى المقصود (بِالْجَمَالِ) متعلّق بما يلي (مُسَرْبَلُ) أي مزيّن ، فدينك مزيّن على كلّ الوجوه ، ولاشبهة فيه (وَلِلَّهِ) أي لله دَرُّ الوقت (وَقْتٌ جِئْتَ) أي جئت ياسيّد الرسل (فِيهِ) أي الوقت (وَطالِعٌ) الطَّالِعُ في اصَطِلاحِ الفَلَكِيينَ : ما تنبأ به المنجّمُ من الحوادث بطلوع كوكب معين ، والمراد هنا ولادته ﷺ ، وتلك الوقت أفضل الأوقات إلى الجميع ، حتى ليلة القدر بالنسبة إلينا ، وفي هذا المقام بحث عن هذا .

[أفضل الليالي ليلة مولده ﷺ مع إستمرار أفضلية ليلة المولد]

قال الإمام القسطلاني الشافعي : فإن قلت : إذا قلنا بأنه ﷺ ولد ليلا ، فأيما أفضل : ليلة القدر أو ليلة مولده- ﷺ-؟ أجيب : بأنّ ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة : أحدها : أنّ ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف ممّا شرف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد- بهذا الاعتبار- أفضل . الثانى : أنّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها . ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممّن شرفت بهم ليلة القدر ، على الأصح المرتضى ، فتكون ليلة المولد أفضل . الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمّة محمّد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات ، فهو الذى بعثه الله عزّ وجلّ رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعم نفعا ، فكانت أفضل . فيا شهرا ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه ، كأنها لآلىء في العقود ويا وجها ما أشرفه من مولود ، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا . يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسميع ، فوجهى والزمان وشهر وضعى ... ربيع في ربيع في ربيع . واختلف أيضا في مدة الحمل به ، فقيل : تسعة أشهر، وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة . وولد ﷺ في الدار التى كانت لمحمّد بن يوسف أخى الحجاج ويقال بالشعب ، ويقال بالردم ويقال بعسفان . « المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية » . وقال الإمام ابن مرزوق في « جنا الجنتين في شرف الليلتين » : سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب ، يحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب ، وما وضعه العزّ في في ذلك ، واختاره وتبعه في ذلك ولده الفقيه أبو القاسم وهما عن الأئمة ، فاستصوبوه واستحسنوا ما قصده فيها والقيام بها ، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب إنكاره ، والأظهر في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضاً وقد وقع الكلام في ذلك فقال ما معناه : لا شكّ أنّ المسلك الذي سلكه العزّ في مسلك حسن ، إلّا أنّ المستعمل في هذه الليلة الصّلاة على النّبيّ ﷺ والقيام بإحياء سنته ، ومعونة آله، ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم ، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر ، وإغاثة الملهوف ، وفك العاني ، ونصر المظلوم ، هو أفضل ممّا سوى ذلك ممّا أحدث ، إذا لا يخلو من مزاحم في النية ، أو مفسد للعمل ، أو دخول الشهوة ، وطريق الحق

معروف ، ولا أفضل في هذه الليلة ممّا ذكرناه من أعمال البرّ والتكثير من الصّلاة على النّبيّ ﷺ ليحظي المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها .

فائدة جليلة: صرّح الشيخ الخطيب الحاج الرحال أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مرزوق، رحمه الله ، بإيثار ليلة مولده عليه السلام على ليلة القدر ، واحتجّ بمختاره في كتابه: « جنا الجنتين في فضل الليلتين » بإحدى وعشرين وجهاً . وها أنا أسردها بعون الله قال : الأول : إنّ الشرف هو العلوّ والرّفعة ، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كلّ ليلة بحسب ما شرفت به ، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عزّ وجلّ ، فثبت بذلك أفضليّتها بهذا الاعتبار . الثّاني : إنّ ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ، وليلة القدر معطاة له حسبما قدّمناه ، وما شرف بظهور ذات المشرَّف أشرف مما شَرُف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف . الثالث : إنّ ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجود من المواهب والمزايا وهي لا تحصى كثرة ، وماشرف بإحدى خصائص من ثبت له الشّرف المطلق لا يتنزل منزلة المشرف بوجوده ، فظهر أنّ ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب . الرابع : إنّ ليلة القدر شرفت باعتبار ماخُصّت به وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السّنة المقبلة على الأرجح من القولين ، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره ، وبهرت أنواره أبداً في كلّ فرد من أفراد الزّمان إلى انقضاء الدنيا . الخامس : إنّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهور النّبيّ ﷺ فيها ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممّن شرفت بهم ليلة القدر على الأصحّ المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب . السادس : الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل ، واللّيلتان معاً اشتركتا في الفضل بتنزل الملائكة فيهما معاً حسبما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق ﷺ في ليلة المولد ، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصّلاة والسلام . السابع : إنّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصّلاة والسلام وانتقالهم في محلهم من الأعلى إلى الأرض ، وليلة المولد شرفت بوجود ﷺ وظهوره ، وما شرف بالوجود والظهور أشرف ممّا شرف بالانتقال . الثامن : إنّ ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها ؛ فإذا قدرت أهل الأرض كلّهم عاملين فيها .. فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة وإن كان في غيرها . فتثبت أفضلية المولد بهذا الاعتبار . التاسع : شرفت ليلة القدر لكونها موهوبة لأمّة

محمّد ﷺ عناية عليه السلام وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمته ﷺ اعتناء به فكانت أفضل . العاشر : ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمّد عليه السلام وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فعمّت به النّعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعمّ نفعاً بهذا الاعتبار فكانت الشرف وهو المطلوب .الحادي عشر : إنّ ليلة المولد فضلت على غيرها من ليالي السنة بولادته صلى الله عليه وسلم فإنّك تقول فيها ليلة مولد محمّد ﷺ وتقول في ليلة القدر ليلة القدر : وهو الشرف ، وأما التقدير والإضافة إلى ليلة المولد إضافة اختصاص . وهي أفضل وأبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرف أو ليلة التقدير فهي وإن كان التقدير فيها من لوازم شرفها فاعتباره في ليلة المولد ليلة الشرف العام بلا افتراء فثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب . الثاني عشر : إنّ ليلة القدر إنّما يحظى بها العامل فيها فمنفعتها قاصرة ، وليلة المولد متعدية منفعتها . وما كانت منفعتها متعدية أفضل من غيرها وهو المدعى . الثالث عشر : إنّ ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلا أنه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرفع ، وإن ضعف ، وليلة مولده عليه السلام شرفها باق لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى فكانت أفضل بهذا الاعتبار . الرابع عشر : المدعَى إن ليلة المولد أفضل ، ويدلّ عليه أن تقول : زمن شرف بولادته ﷺ وإضافته إليه ، واختص بذلك فليكن أفضل الأزمنة قياساً على أفضلية البقعة التي اختصت بمحمّد ﷺ ولُحِد بين أطباقها على سائر الأمكنة ، وقد فضلت إجماعاً فليكن الزمن الذي اختص بولادته ﷺ أفضل الأزمنة بهذا الاعتبار .الخامس عشر : إنّ ليلة القدر فرع ظهوره ﷺ والفرع لا يقوى قوّة الأصل ففضلت ليلة المولد على ليلة القدر بهذا الاعتبار وهوالمطلوب.

السادس عشر : إنّ ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي النوراني ما علم الوجود ووجوده مقارن لوجوده ﷺ ، ولم يقع ذلك إلا فيما وجب فضلها على غيرها وهو المدعى . السابع عشر : إنّ ليلة المولد أظهر الله تعالى فيها أسرار وجوده ﷺ التي ارتبطت بها السعادة الأخروية على الإطلاق واتضحت للحقائق وتميّز بها الحقّ من الباطل وظهر ما أظهر الله تعالى في وجود ، من أنوار السعادة وسبيل الرشاد ، وافترق به فريق الجنة من فريق السعير ، وتميّز وعلا به الدين ، وأظلم الكفر وهو الحقير، إلى غير ذلك من

أسرار وجود الله عزّ وجلّ في مخلوقاته ، وما هو الموجود من آياته ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمان ، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب . الثامن عشر : وهو تنويع في الاستدلال وإن كان معنى ما تقدم وهو أن نقول : لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور وهي : إما تفضيل الملائكة على النّبيّ ﷺ ، أو العمل المضاعف أو التسوية . وكلّها ممتنع ، أما الأوّل فعلى الصحيح المرتضى وأما الثاني والثالث فباتفاق وبيان الملازمة أن التفضيل في الأول حصل بولادته ﷺ وفي الثانية إما بنزول الملائكة أو للعمل . التاسع عشر : أنّ بعض زمان المولد الشريف هو زمان ولادته ، وولادته أفضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة، وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة ، ففضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار . العشرون : أنّ بعض زمان المولد الشريف هو زمان ولادته ﷺ ، وولادته ﷺ أفضل الأزمنة فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار . الحادي والعشرون : إنّ أفضل الأزمنة زمن ولادته ﷺ ، ولا شيء من زمان ولادته صلى الله عليه وسلم بليلة القدر فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر ، وينعكس إلى قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة هذا إبطال لدعوى الخصم إذاً .

ثمّ ذكر رحمه الله إثر هذا الفصل فصلاً قرّر فيه إيراد اعتراض على الأدلّة التي استدل بها وتوقع الاستدلال به على خلاف ما صار فقال : النوع الأول وفيه أبحاث . اعلم : أنّ اللّيلة التي ولد فيها ﷺ بعينها لاينبغي أن يختلف في تفضيلها على كلّ ليلة على الإطلاق باعتبار الواقع فيها ، وإنّما الكلام في تفضيل ما وافقها من ليالي السّنة وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر . فإن قلت : دلّ الدليل على أنّ ما تختصّ به ليلة القدر موجود في كلّ سنة على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها ، ولم يتثبت في ليلة المولد ما يجب اعتبارها في كلّ سنة فوجب تفضيل ليلة القدر . قلت : دلّ الدليل على مراعات فضلها باعتبار تكرّر زمانها حسبما رويناه في صريح الصحيح ، وهو ما حدّثناه به شيخنا شمس الدين بن القماح حدّثنا رضي الدين إبراهيم بن مصر الواسطي ، نا أبو التقى منصور بن عبد المنعم الفراوي ، نا الإمام أبو عبد الله محمّد بن الفضل الصاعدي الفراوي ، نا الإمام عبد الغافر الفارسي ، نا أبوأحمد الجلودي ، نا إبراهيم بن سفيان الفقيه ، نا مسلم ، نا زهير بن حرب ، نا عبد الرحمان بن مهدي ، نا مهدي بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معمر عن أبي قتادة أنّ رسول الله ﷺ سئل عن

صوم يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ » أخرجه مسلم وفي طريق « وفيه بُعثت أو أُنزل عليَّ فيه » . رويناه في سنن النسائي من طريق ابن الأحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه في « برنامج المرويات » وفي كتاب « عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع دون من أجاز بالمغرب والشام والحجاز »، وخرجه من طريق قتادة هذا عنه فليراجع .

قلت : ثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد وصبيحتها ، فشرفها باقي ورعي زمانها ثابت . إذ لا نزاع في صحّة الحديث ولا يرد عليه شيء من الأسئلة الواردة على المتون كما تقرّر عند الأصوليين وأهل النظر . فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع مزيّة عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر . وهذا أدلّ دليل على ما ذهبت إليه والمنة لله عزّ وجلّ . فإن قلت : ليلة القدر اختصّت بأعمال لم توجد في ليلة المولد ، وذلك يدلّ على كونها أفضل وأشرف . قلت : الأعمال التي اختصّت بها ليلة القدر وإن كانت شريفة مشرّفة إلّا أنّ ما اختصّت به ليلة المولد المشرف أعم نفعاً فإن ثمرة العمل في ليلة القدر إنما يعود بالنفع على العامل فقط دون غيره وليلة المولد عاد نفعها على كلّ الخلائق بما سبق . فإن قلت : ليلة القدر أنزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا ونُجم نزوله بعد على النّبيّ ﷺ بحسب الوقائع وتقرير الأحكام وهو معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ فوجب تفضيلها على غيرها . قلت : أمّا كلام الله تعالى القديم فلا يوصف بالنّزول ، ولا يوصف بالاستقرار وإنّما المستقر الألواح المشتملة على الألفاظ الدالّة على المعنى القديم الذي نزل به الروح على سيّد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم . وقد نزلت مفصّلة على النّبيّ ﷺ واستقرّت بين دفّتي المصحف مَتْلُوَّةً لنا . ولله الفضل والمنّة ، فكانت ليلة المولد المكرّم أشرف ، فالموهبة فيها كانت لنبيّنا محمّد ﷺ من حيث إنّها من جملة ما أنعم به عليه السلام لأجل اللّيلة بعينها فكانت ليلة المولد المكرّم أشرف بهذا الاعتبار . فإن قلت : ليلة شرفت باعتبارات : منها أنّها في رمضان ومنها نزول القرآن إلى سماء الدّنيا كما تقرّر، ومنها تنزّل الملائكة عليهم السلام إلى الأرض للسلام على أهل الإيمان . قلت : وكلّها من خصائص النّبيّ ﷺ فهو أصل المواهب وسبب بعض الخيرات والرغائب . انتهى . « المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب » - تأليف : أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي - المتوفي بفاس سنة ٩١٤هـ - خرّجه جماعة من الفقهاء - بإشراف الدكتور محمّد حجي . ونقله في

« شرح المنح المكية » ، وفي « مسالك الحنفا في الصّلاةعلى النّبيّ » للقسطلاني ، « وشرح مسالك الحنفا » ، انظر « المواهب اللدنية مع الزرقاني » .

(سَعِيدٌ) أي ذلك الوقت وقت سعيد (عَلَى أَهْلِ الْوُجُودِ) أي على العالم كلّه سوى الباري (وَمُقْبِلُ) أي ذلك الوقت في كلّ عام، وذلك الفضل مستمرّ إلى يوم القيامة كليلة القدر كما تقدّم آنفا (عَلَيْهِ صَلاَةُ اللّهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ) أي في كلّ وقت وحين (بِتَعْدَادِ) أي بعدد القطر متعلّق بمحذوف ، حال من المبتدأ على قول من جوّزه (مَاقَطْرٌ) أي قطر المطر ، مبتدأ (مِنَ السُّحْبِ) أي بواسطة سحاب السماء ، متعلّق ب "ينزل" (يَنْزِلُ) أي من جهة السماء إلى الأرض .

[كيف يتشكل المطر ؟ وكيف يسقط على الأرض ؟]

كيف تتشكل السحب ؟ : يعتبر بخار الماء من المكوّنات الأساسيّة للهواء الموجود في الغلاف الجويؤ، وكلّما كان الهواء أكثر دفئًا ، كلّما زادت كمّيّة بخار الماء الذي يمكنه حمله ، وعندما يرتفع هذا الهواء الدافئ المشبع بالرطوبة (بخار الماء) إلى طبقات الجوّ العليا يبرد ، وعندما يبرد الهواء إلى أقلّ من درجة النّدى ، يتكثّف حول " نوى التكثيف " ، والتي عادة ما تكون جسيمات صغيرة جدًا من الغبار أو الدخان أو حتّى الملح العالقة في الهواء . وتشكل قطرات الماء الصغيرة هذه السحب أو الغيوم ، وإذا راقبت السحب في السماء ، فسترى أنّها تتقلّص وتتزايد باستمرار استجابة لعمليّة التبخّر والتكثّف المتناوبة .

كيف يأتي المطر من السحب ؟ : عندما يتكثّف بخار الماء إلى قطرات صغيرة ويشكل غيومًا قد يصبح مطرًا ، لكن إذا كانت قطرات الماء صغيرة جدًا ، ستبقيها التيارات الهوائية في طبقات الجوّ العليا ، ولكن مع استمرار هذه القطرات في الارتفاع ، مدعومة بارتفاع المزيد من الهواء الدافئ ، يصبح لديها طريقتان للعودة إلى الأرض : الطريقة الأولى : هي أن تصطدم قطرات الماء وتتّحد مع القطرات الأخرى ، تصبح في النهاية أثقل من قدرة الهواء على حملها ، وعند هذه النقطة تسقط على شكل أمطار . والطريقة الثانية : هي أن يدفع الهواء قطرات الماء للأعلى فترتفع ، وعندما ترتفع القطرات بدرجة كافية تتجمّد وتتحوّل إلى بلورات من الجليد ، وتجذب المزيد من بخار الماء إليها، فتنمو بسرعة حتى تصبح ثقيلة بدرجة كافية لأن تسقط على شكل ثلوج، أو تذوب وتسقط على شكل أمطار سائلة، حيث تحدّد الظروف الجوّيّة الشكل الذي

تهطل بها قطرات الماء، ما بين ثلوج، أو بَرَد، أو حبيبات جليد ممزوجة بالمطر، أوقطرات مطر سائل .

كيف يختلف المطر من مكان لآخر؟ : لا يتأثّر شكل المطر بالظروف الجوّية فقط مثل درجة حرارة الهواء ، ولكن أيضًا بالتشكيلات الأرض ية ، فمثلاً غالبًا ما تكون الأمطار في المناطق الساحليّة الجبلية أكثر من المناطق الساحليّة المسطحة ، لأنّه عندما يرتفع الهواء الرطب القادم من المحيط ليعبر فوق التلال ، فإنّه يتكثّف بدرجة كافية ليتحول إلى أمطار . ويمكن أن تحدث بعض أكثر الأمطار إثارة عندما تصطدم الجبهات الهوائية ، أوكتل من الهواء الدافئ والبارد ، وعندما يحدث ذلك ، ترتفع كتلة الهواء الدافئ والرطب لأعلى فوق هواء الجبهة الباردة ، ومع ارتفاع كل هذا الهواء الدافئ ، يبرد بدرجة كافية حتى يتكثّف بخار الماء ويسقط على شكل أمطار غزيرة ،كما تتشكل العواصف الرعدية الصيفية بنفس الآلية عند توفّر الظروف المناسبة . قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ١١] ، وهذه الآية الكريمة تنطق على تشكّل المطر ونزوله إلى الأرض .

(خِتَامُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ) خاتم جميع الأنبياء، خبر مقدّم (محمّد) ﷺ ، مبتدأ مؤخّر (وَيَوْمَ قِيَامِ النَّاسِ) أي وهو ﷺ (يُبْعَثُ أَوَّلُ) من الروضة الشريفة (القبة الخضراء) ، إلى أرض المحشر مع الكساء الأوليّ ، فنبيّنا ﷺ هو أوّل من يحشر ، فقد ورد عنه ﷺ في الحديث الصحيح أنّه قال : « أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» أيْ أنّه حين يأذن الله تعالى للبشر بالخروج من القبور يكون النّبيّ ﷺ أوّل من تنشقّ عنه الأرض ويخرج من قبره ويُحشر . قال الإمام المناوي (أنا أول من تنشق عنه الأرض) للبعث أي أوّل من تعاد فيه الروح عند النفخة الثانية . وقال ايضا : وهذا من كمال عناية ربّه به حيث منحه هذا السبق وفيه مناسبة لسبقه بالنبوة . ثمّ قال : فإنّ أوّل من يكسى المصطفي ﷺ بدليل نصّ الحديث أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى اهـ ثمّ يكسى ثانيا خليل الله ابراهيم عليه السلام ، وقال الإمام النووي في شرح مسلم : ... وان نبينا ﷺ أوّل شخص تنشقّ عنه الأرض على الاطلاق .

[فائدة في الكساء الأوّل في المحشر]

أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة محمّد ﷺ لا غيرُ. يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. [الأنبياء : ١٠٧] قال العلّامة الآلوسي: " وكونه صلى الله عليه وسلم رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلوة والسلام واسطة الفيض الإلهي على الممكنات على حسب القوابل، ولذا كان نوره ﷺ أوّل المخلوقات، ففي الخبر «أوّل ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر» وجاء «الله المعطى وأنا القاسم». «تفسير روح المعاني». وقال الإمام الرازي: "أنه كان رحمة للكلّ ". «التفسير الكبير». وقال في «عرائس البقلى» أيها الفهيم : إنّ الله أخبرنا أنّ نور محمّد عليه السلام أوّل ما خلقه ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره فإرساله إلى الوجود والشهود رحمة لكلّ موجود؛ إذ الجميع صدر منه فكونه كون الخلق وكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية . وافهم : أنّ جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة في فضاء القدرة بلا روح حقيقة منتظرة لقدوم محمّد عليه السلام ، فإذا قدم إلى العالم صار العالم حيّا بوجوده لأنّه روح جميع الخلائق . ويا عاقل ان من العرش إلى الثرى لم يخرج من العدم إلّا ناقصا من حيث الوقوف على أسرار قدمه بنعت كمال المعرفة والعلم فصاروا عاجزين عن البلوغ إلى شط بحار الألوهيّة وسوحل قاموس الكبريائية فجاء محمّد عليه السلام إكسير أجساد العالم وروح أشباحه بحقائق علوم الأزليّة وأوضع سبيل الحقّ للخلق بحيث جعل سفل الآزال والآباد للجميع خطوة واحدة فإذا قدم من الحضرة إلى سفر القربة بلغهم جميعا بخطوة من خطوات ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ حتّى وصل إلى مقام أو أدنى فغفر الحقّ لجميع الخلائق بمقدمه المبارك . قال بعض العلماء : إنّ كلّ نبيّ كان مقدمة للعقوبة لقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ ونبيّنا عليه السّلام كان مقدمة للرحمة لقوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ إلى آخره وأراد الله تعالى أن يكون خاتمة على الرحمة لا على العقوبة لقوله تعالى «سبقت رحمتي على غضبي» ولذا جعلنا آخر الأمم فابتداء الوجود رحمة وآخره وخاتمته رحمة.

واعلم : أنه لمّا تعلّقت إرادة الحقّ بإيجاد الخلق .. أبرز الحقيقة الأحمديّة من كمون الحضرة الأحديّة ؛ فميّزه بميم الإمكان وجعله رحمة للعالمين ، وشرّف به نوع

الإنسان ثم انبجست منه عيون الأرواح ، ثمّ بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح كما قال عليه السلام «أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري» فهو الغاية الجليلة من ترتيب مبادى الكائنات كما قال تعالى «لولاك لما خلقت الأفلاك» ... «تفسير روح البيان»، فالآية تشير إلى أنّ الرحمة مقدّم، فالرسول ﷺ مقدَّم في كلّ شيئ من الأشياءحتّى الكسوة .

فحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ يدلّ عليه، ونصّ الحديث: قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ ، جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ : ياأَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ : مَنْ قَالَ : رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ : ادْعُوهُ ، فَقَالَ : أَضَرَبْتَهُ ؟ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ وَالَّذِي اصْطَفي مُوسى عَلَى الْبَشَرِ قلْتُ: أَيْ خَبِيثُ! ، عَلَى محمّد ﷺ ؟ ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ فَقَالَ النّبيّ ﷺ : لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُون أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرض فَإِذَا أَنَا بِمُوسى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأولَى . أخرجه البخاري وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : « أَنَا سَيِّدُ بَنِى آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرض وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الأَوْزَاعِيِّ . « السنن الكبرى » للبيهقي وفي ذيله « الجوهر النقي » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرض فَأُكْسَى الْحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . رواه الترمذي في جامعه . وكتب عليه المحشي : قَوْلُهُ (أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرض) أَيْ لِلْبَعْثِ فَلَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ عَلَيْهِ بَعْثًا فَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ (فَأُكْسَى) بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَجْهُولِ أَيْ فَأُبْعَثُ فَأُكْسَى (لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي) أَيْ هَذِهِ خِصِّيصَةٌ شَرَّفَنِي اللَّهُ بِهَا . وَالْخَلَائِقُ جَمْعُ خَلْقٍ فيشمل الثقلين والملائكة. « تحفة الاحوذي » .

وفي «جامع الأصول في أحاديث الرسول » لإمام ابن الأثير: (م ت د) أبو هريرة ﷺ : قال: قال رسول الله ﷺ : «أنَا سَيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامة ، وأوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرض، وأوّلُ شافع وأولُ مُشَفَّع». أخرجه مسلم، وأبو داود، ولم يقل أبو داود : "يوم القيامة". وفي رواية الترمذي قال : « أنا أَوّلُ مَن تَنْشَقُّ عنه الأرض فأُكْسَى الحُلّةَ من حُلَل الجنّة ، ثمّ

أقوم عن يمين العرش، فليس أَحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري». «جامع الأصول في أحاديث الرسول» .

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر ، قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربّك ، فيقول : إني أذنبت ذنبا أهبطت منه إلى الأرض ولكن أئتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، - ثمّ قال رسول الله ﷺ ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله - ولكن ائتوا موسى ، فيأتون موسى فيقول إني قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمّد ، قال : فيأتوني فأنطلق معهم - قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ - قال : فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا ؟ فيقال محمّد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي : ارفع رأسك سل تعط ، واشفع تشفّع ، وقل يسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قال سفيان : ليس عن أنس إلّا هذه الكلمة " فآخذ بحلقة باب الجنة فأفعقعها " . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطول . قال الألباني: صحيح. فالأوّليّة بالنسبة إلى النّبيّ ﷺ حقيقة و إلى الغير مجازيّة كما تأوّل الإمام ابن حجر الهيتمي في « شرح المشكاة » ونقله العلامة ملا علي القاري في «المرقاة» في حديث أول المخلوقات، وهذا هو الوجه الأحسن في مقال هذا البحث .

أقوال الائمة الكرام: الوجه الأول: وفي «القسطلاني في شرح البخاري»: (وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) الخليل ﷺ لأنّه أوّل من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار ولا يلزم من أوّليته لذلك تفضيله على نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنا نقول إذا استأثر الله عبدًا بفضيلة على آخر واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بغيرها أفضل منها كانت الفضيلة له ، فحلة نبينا ﷺ التي يكساها بعد الخليل حلّة خضراء وهي حلّة الكرامة بقرينة إجلاسه عند ساق العرش فهي أعلى

وأكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الأوليّة ولا خفاء بأنّ منصب الشفاعة حيث لا يؤذن لأحد غير نبينا فيه لم يبق سابقة لأولي السابقة ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا أتت عليها وكم له من فضائل مختصّة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها . « شرح القسطلاني - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » ، وفيه أيضا في حديث الموقف مانصه : وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) لأنه أول من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار ، وقيل : لأنه أوّل من استنّ التستر بالسراويل ، وقيل : لأنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له كسوته أمانًا له ليطمئن قلبه واختار هذا الأخير الحليمي ، وقد أخرج ابن منده من حديث معاوية بن حيدة رفعه : أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلي ليعلم الناس فضله عليهم ، وقول أبي العباس القرطبي يجوز أن يراد بالخلائق ما عدا نبينا ﷺ فلم يدخل في عموم خطاب نفسه، تعقبه في التذكرة بحديث علي عند ابن المبارك في الزهد : أوّل من يكسى يوم القيامة خليل الله قبطيتين ثم يكسى محمّد ﷺ حلّة حبرة عن يمين العرش اهـ ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أوّل من يكسى أن يكون أفضل من نبينا على ما لا يخفي وكم لنبينا من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها وإذا بدئ الخليل بالكسوة وثني بنبينا ﷺ أتي نبينا بحلّة لا يقوم لها البشر ليخبر التأخير بنفاسة الكسوة فيكون كأنّه كسي مع الخليل قاله الحليمي . « شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » .

الوجه الثاني : قوله : (إنَّ أَوَّل الخَلائَقِ يُكْسى) ... إلخ ، واختصَّ إبراهيمُ عليه الصّلاة والسلام بالكُسوة أوَّلًا، لأنَّه أَوَّلُ مَنْ جُرِّد في سبيل الله، واستثنى موسى عليه الصّلاة والسلام من الصَّعْقَة ، لأنَّه جُوزي بِصَعْقَة الطُّور، وحُفِظ عيسى عليه الصّلاة والسلام من نَزْغَة الشيطانِ عَقِب الولادةِ للدُّعاء ، حيث قال : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] . ثُمّ إنَّ الحافظ أَتَى بروايةٍ تدُلُّ على أنَّ النّبيّ ﷺ أيضًا يُكْسى معه أو قَبْلَه ، ولكنّه لم يأتِ في المسّ بروايةٍ ، فتلك أنبياءُ اللَّهِ تعالى على خصائصهم ، ومنازِلِهم عند اللَّهِ . « فيض الباري على صحيح البخاري » .

الوجه الثالث : قال الإمام شمس الدين البِرْماوي : (أوّل الخلق) ليس فيه أنّه بذلك أفضل ؛ إذ لا يلزم من اختصاص الشّخص بفضيلة كونه أفضل مطلقا . « اللامع

الصبيح بشرح الجامع الصحيح » للبرماوي ، وبه يقول شيخ الإسلام زكريّا في شرح البخاري المسمى ب « منحة الباري بشرح صحيح البخاري » .

الوجه الرابع : قال الإمام الكوراني : (أوّل الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم) قال بعض الشارحين : الحكمة في ذلك أنّ إبراهيم أوّل من شرع الختان وفيه كشف العورة. قلت : إبراهيم ختن نفسه بيده وليس في ذلك كشف العورة ، بل إنّما فُعل به ذلك لأنّه جُرِّد من ثيابه حين أُلقي في النار، حتى إن المفسرين اتفقوا على أنّ قميص يوسف جاء به جبرائيل وكساه إبراهيم لمّا صارت النار عليه بردًا وسلامًا . ونظير هذا ما جوزي به موسى من صعقة الطور أنه لم يصعق يوم القيامة . ولا يلزم منه تفضيله على رسول الله ﷺ فإنّها قضية جزئيَّة .

وأمّا ما يقال : إنما يكسى أول؛ لأن رسول الله ﷺ يقوم مع ثيابه فظاهر الحديث يأباه ولم يرد بذلك جبرائيل ، جاء عن الثقات أنّ كسوة رسول الله ﷺ حلة لا يقوم لها البشر . فالّذي فاته من السبق أدركه في الكسوة . « الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري » .

الوجه الخامس: قال الشيخ العلوي في «شرح مسلم»: (فإن قلت): قد دلّ هذا الحديث بقوله "إنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السَّلام" على أنّ إبراهيم أفضل من نبينا ﷺ لأنَّه يكسى أول الخلائق. (قلت) : هذا فضل جزئي حصل له لما ذكرنا من الحكمة السابقة فلا يستلزم أن يكون أفضل من النّبيّ الكريم صَلَّى الله عليه وسلم على الإطلاق. «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم » .

الوجه السادس : وفي « دليل الفالحين » : قوله : (وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) إن قلت : هذا يدل على أن إبراهيم أفضل . قلت : لا يلزم من اختصاص النّبيّ بفضيلة كونه أفضل مطلقاً ، أو المراد غير المتكلّم بذلك قاله الكرماني . وقال السيوطي في «التوشيح» : قيل : الحكمة في ذلك أنّه ألقي في النار عرياناً، وقيل : لأنه أوّل من لبس السراويل وقد جبر عن هذا السبق بكونه يكسي حلتين كما في حديث ذكره البيهقي . «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين » .

الوجه السابع : قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الفتح » بعد حكاية أقوال الائمة ، مانصه : .. وقد ظهر لي الآن أنه يحتمل أن يكون نبينا عليه الصّلاة و السلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة خلعة

الكرامة بقرينة إجلاسه على الكرسي عند ساق العرش فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق. «فتح الباري» - ابن حجر ، واعتمده مصنف « تذكير القاري على صحيح البخاري » ، وأيضا قال الإمام الدميري : وقال الحسن البصري : أهل الصلاح والخشية من المؤذنين أوّل من يكسى يوم القيامة . « النجم الوهّاج في شرح المنهاج » .

الوجه الثامن : وقد ظهر لي الآن حين يبحث عن هذا الموضوع مقتبسا من الأحاديث وكلام الحافظ وغيره ، أنّ الله تعالى يحيي أشرف الخلق ﷺ من روضته الشريفة في ثيابه التي مات فيها ، فأُكسي ﷺ الحلة التي يكساها للأنبياء من حلل الجنة وإليه أشار في الحديث النبوي بقوله (فأُكْسَى الحُلّةَ من حُلَل الجنة ، ثمّ أقوم عن يمين العرش ، فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) ، ثمّ يخرج ﷺ ، إلى الموقف أبرز من العروس ، فتكون حلته ﷺ أوّل الحلة وأشرف الحلة وإليه أشار ﷺ في حديث الترمذي والبخاري والمسلم المارّ ، وحلّة إبراهيم عليه السلام تكون في الموقف لاقبله ، وحلة الرسول حقيقة وحلّة ابراهيم عليه السلام مجاز بالنسبة إلى حلّة الرسول ، وحقيقة إلى سائر الأنبياء كحلّة المؤذنين ، والأوّل ليدل أنه ﷺ أشرف الخلق ، ثم يكون في الموقف للرسول ﷺ إكرام غير الحلّة المذكورة كما ورد في الحديث النبويّ ، فحاصل ما قلناه : أنّ للرسول حلّتان في الحقيقة ، الأولى : حين يخرج إلى الموقف ، والحلّة الثّانية : في الموقف ، وهذه الحلّة بعد إبراهيم عليه السلام تأدّبا ، وهذا هو التحقيق في هذا المقام فافهم . والله أعلم .

الحلل والكسوة للأفاضل : روى الترمذي وحسنه ، وأحمد ، والحاكم عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا » . وصحّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي . ومعنى الحديث : أنّ من ترك لبس الثّياب الحسنة النّفيسة غالية الثّمن ، وهو يقدر على ذلك ؛ تواضعا لله ، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، وخيّره من حلل الإيمان يلبس من أيّها شاء ، جزاء له على تواضعه لله ، وزهده في الدنيا ، وبعده عن الخيلاء والتكبر والإسراف . وقال الترمذي رحمه الله عقب روايته "وَمَعْنَى قَوْلِهِ : (حُلَلِ الإِيمَانِ) : يَعْنِي : مَا يُعْطَى أَهْلُ الإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ " انتهى . وقال العلّامة المناوي رحمه الله ": (من ترك اللبَاس) أَي : لبس الثِّيَاب الْحَسَنَة المرتفعة الْقيمَة (تواضعا لله) أَي : لَا ليقال : إنّه متواضع أَوْ

زاهد وَنَحْوه ، والناقد بَصِير (وَهُوَ يقدر عَلَيْهِ : دَعَاهُ الله يَوْم الْقِيَامَة على رؤوس الْخَلَائق) ، أَي يشهره بَين النَّاس ويناديه (حَتَّى يخيّره من أَيّ حلل الإيمان شَاءَ يلبسهَا) " .انتهى من « التيسير » . وقال الشيخ ابن علّان رحمه الله : (من ترك اللباس) أي أعرض عنه (تواضعاً) وتركاً لزهرة الحياة الدنيا (وهو يقدر عليه) أمّا التارك للعجز فلا . نعم : إن عزم أنه لو كان قادراً عليه لأعرض عنه تواضعاً ، أثيب على نيّته (دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق) زيادة في تشريفه (حتى يخيّره من أيّ حلل الإيمان يشاء) ، و"حتى" غاية لمقدّر: أي وينشر تشريفه ثمّة [أي : هناك] بأنواع الشرف ، إلى أن يخيره بين حلل أهل الإيمان المتفاوتة المقام، فيختار الأعلى ، وقوله : (يلبسها) جملة مستأنفة لبيان القصد من التخيير فيها ". انتهى من «دليل الفالحين». فالمقصود بترك اللّباس: ترك ارتداء الثياب الغالية الثمن النفيسة، التي لا يقدر على شرائها إلا الأغنياء. وضابط هذا: العرف؛ فكلّ ما كان من الثياب في عرف الناس وفي أسواقهم فاخرا مرتفع القيمة، لا يقدر على شرائه إلّا الأغنياء : فهو من ذلك . وقد يختلف هذا من مجتمع إلى مجتمع، ومن بلد إلى بلد، فقد يكون الثوب نفيسا في بلد لا يقدر عليه أوساط الناس ، ويكون الثوب نفسه في بلد آخر في متناول الجميع .

هذا لا يعني أن لبس الثياب الحسنة مذموم، وأنّ الرجل كلّما كان ثوبه رثا، كان أكمل إيمانا، وأعظم أجرا؛ فإنّ النّبيّ ﷺ كان يلبس من أنواع الثياب، ويتجمّل للوفود. روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النّبيّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ». رواه الترمذي. قال القاري رحمه الله: قَالَ الْمُظْهِرُ: يَعْنِي إِذَا آتَى اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَلْيُظْهِرْهَا مِنْ نَفْسِهِ، بِأَنْ يَلْبَسَ لِبَاسًا يَلِيقُ بِحَالِهِ، لِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلِيَقْصِدَهُ الْمُحْتَاجُونَ لِطَلَبِ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ: يُظْهِرُوا عِلْمَهُمْ لِيَسْتَفِيدَ النَّاسُ مِنْهُمْ. اهـ . فَإِنْ قُلْتَ : أَلَيْسَ قد حَثَّ عَلَى الْبَذَاذَةِ ؟ قُلْتُ : إِنَّمَا حَثَّ عَلَيْهَا ، لِئَلَّا يَعْدِلَ عَنْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَلَا يَتَكَلّفُ لِلثِّيَابِ الْمُتَكَلّفَةِ ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي عَادَةِ النَّاسِ ، حَتَّى فِي الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ ، فَأَمَّا مَنِ اتَّخَذَ ذَلِكَ دَيْدَنًا وَعَادَةً ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْجَدِيدِ وَالنَّظَافَةِ ، فَلَا ؛

لِأَنَّهُ خِسَّةٌ وَدَنَاءَةٌ . انتهى من « مرقاة المفاتيح » .وعلى هذا ؛ فالمسلم يلبس الثياب الحسنة أو المتواضعة ، ويكون له نيّة حسنة في الحالتين ، فيثاب على ذلك ، ولكن الثياب الحسنة لها أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها ، وللثياب المتواضعة أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها ، والذي ينبغي لمسلم أن يراعي هذا ، فيفعل كلّ فعل في الوقت والحال المناسب له . ولذلك قال العلماء : إذا كان الرجل في بيئة متوسّطة : فالأكمل في حقّه لبس الثياب المتواضعة ، وترك لبس الثياب الرفيعة ، وإذا كان في بيئة ميسورة الحال : فالأكمل في حقّه لبس الثياب الحسنة الرفيعة . والمقصود : أن الحديث يدلّ على الزهد والتواضع وعدم الإسراف ، ولكن لا يدلّ على ترك اللباس الحسن بالكلّيّة ، واختيار الثياب الرثّة دائما، والله تعالى أعلم .

(فَجُدْ) أي أرجو من جودك (يَا رَسُولَ اللَّهِ) هذا إستغاثة (مِنْكَ) أي من رحمتك يا رسول الله (بِرَحْمَةٍ لِعَبْدٍ أَسِيرٍ) معنى الأسير: مَنْ أُخِذَ في الحَرْبِ، لكنّ المراد هنا الإنهماق في الذنوب (بِالذُّنُوبِ) أي: كثير الذنوب (مُسَرْبَلُ) يقال : سربلت ولدَها قميصَ الحَرْب: ألبسته إيّاه، وهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو متلبّس ومنهمق بالذنوب الكثيرة (وَصَلِّ اِلَٰهِي كلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) أي دائما (عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَوْلَى الْفَضَائِلُ) هو جامع الفضائل بالنسبة إلى المخلوقين .

(وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ) عبارة الإمام الدياربكري في « تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس » : وفي « الصفوة » روى عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمّته ، قالت : كنا نسمع أنّ آمنة لمّا حملت برسول الله ﷺ .. كانت تقول ما شعرت أنّي حملت ، ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء إلّا أنّي أنكرت رفع حيضتى ، وأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة -أو قالت- بين النائمة واليقظانة ، فقال: هل شعرت بأنّكِ حملتِ، فكأنّي أقول: ما أدري، قال: إنّكِ حملت بسيّد هذه الأمّة ونبيّها. كذا ذكر ابن اسحاق في «كتاب المغازى». اهـ (عَنْ عَمَّتِهِ قَالَتْ: كُنَّا نَسْمَعُ) أي نسمع عن آمنة من بين النّساء تقول (أَنَّ آمِنَةَ) ﵂، قال الشيخ جلال الدين السيوطي : إن أبوي النبيّ ﷺ كانا على التوحيد ودين إبراهيم كما كان كذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل ، وعمير بن حبيب الجهنى ، وعمرو بن عنبسة في جماعة آخرين ، وهذه طائفة ذكرها الإمام فخر الدين الرازى وزاد : أنّ آباء النبيّ كلّهم إلى آدم على التوحيد، لم يكن فيهم شرك، قال: ممّا يدل على أن آباء محمّد

ﷺ ما كانوا مشركين قوله عليه السلام «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا. قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ معناه أنّه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد . قال : وبهذا التقرير فالآية دالّة على أنّ جميع آباء محمّد ﷺ كانوا مسلمين . قال : وحينئذ يجب القطع بأنّ والد إبراهيم ما كان من الكافرين ، وأنّ آزر لم يكن والده ، وإنّما ذلك عمّه . أقصى ما في الباب أن يحمل قوله ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ على وجوه أخرى فاذا وردت الروايات بالكلّ ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكلّ، وبذلك ثبت أنّ والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان وأنّ آزر لم يكن والده ، بل كان عمه . انتهى ملخّصا ، ووافقه على الاستدلال بالآية الثانية بهذا المعنى الإمام الماوردي صاحب « الحاوى الكبير » من أئمة أصحاب الشافعي ، وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الأدلّة ما بين مجمل ومفصّل ، فالمجمل دليله مركب من مقدّمتين ؛ احداهما : أنّ الأحاديث الصحيحة دلّت على أنّ كلّ أصل من أصوله ﷺ من آدم إلى أبيه خير أهل زمانه . والثانية : أنّ الأحاديث والآثار دلّت على أنّه لم تخل الأرض من عهد نوح إلى بعثة النبيّ ﷺ من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحّدونه ويصلّون له ، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم هلكت الأرض ومن عليها . ومن أدلّة المقدّمة الأولى حديث «بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه»، وفي «سنن البيهقي» «ما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرهما، وأخرجت من بين أبوىّ فلم يصبني شيء من عهد الجاهليّة، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي؛ فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا ولا فخر». وحديث أبى نعيم وغيره «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة مصفي مهذّبا ما تتشعّب شعبتان إلّا كنت في خيرهما» في أحاديث كثيرة . ومن أدلة المقدمة الثانية: ما أخرجه عبد الرزاق في «المصنَّف» وابن المنذر في «تفسيره» بسند صحيح على شرط الشيخين عن عليّ ابن أبى طالب قال: لم يزل على وجه الأرض من يعبد الله عليها. وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في «الزهد» والجلال في «كرامات الأولياء» بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض في آثار أخر . وإذا قرنت

بين المقدمتين أنتج منهما قطعا أنّ آباء النبيّ ﷺ لم يكن فيهم مشرك لأنه قد ثبت في كلّ منهم أنّه خير قرنه فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤهم فهو المدّعى ، وان كانوا غيرهم وعلى الشرك لزم أحد أمرين إمّا أن يكون المشرك خيرا من المسلم وهو باطل بنصّ القرآن والإجماع ، وإما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة ؛ فوجب قطعا أن لا يكون فيهم مشرك؛ ليكونوا خير أهل الأرض كلّ في قرنه. هذا ما قاله السيوطي اهـ . منقول من قول الدياربكري من « تاريخ الخميس » ، ينظر « الفتاوى للسيوطي » .

(لَمَّا حَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَقُولُ مَا شَعَرْتُ) أي ماعلمت (أَنِّي حَمَلْتُ وَلاَ وَجَدتُّ لَهُ) أي للحمل (ثِقَلاً) أي ثقل البطن (وَلاَ أَلَمًا كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ) فمنه القيئ وألم القفا وألم الإست (إِلاَّ أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حِيضَتِي) بكسر الحاء هنا الإسم من الحيض، والحالة التي تلزمها الحائض من التجنّب والتحيّض كالجلسة، وأمّا بالفتح فالمرّة الواحدة من دفع الحيض ونوه به، قاله البرهان وتبعه الشامي وهو ظاهر؛ لأنّ الإنكار للهيبة الحاصلة للحائض عند نزول الدم من الضعف المقارن لنزوله أو المتقدم عليه الدال على حصوله . اهـ « شرح الزرقاني على المواهب » ، أي : أنّ آمنة ﵂ كانت تشكّ في الحمل بسبب إنقطاع الدم عنها أحيانا ثمّ يعود الدم ، ففي حديثِ ابنِ إسحاقٍ : أنَّ آمنةَ كانتْ تُحدثُ أنَّها أُتِيَتْ حينَ حملتْ بالنّبيّ ﷺ فقيلَ لها : إنَّكِ حملْتِ بسيّدِ هذِه الأمّةِ . وقالتْ أيضاً كما رواه ابنُ إسحاقَ : مَا شَعَرْتُ بأنّي حملْتُ بِه ولاَوجدْتُ ثقلاً ولاَوحَماً بسببِه إلاَّ أنّي أنْكَرْتُ رفعَ حيْضَتِي ، وأتاني آتٍ وأنا بينَ النَّائِمةِ واليَقْظَانَةِ فقالَ: هلْ شعُرْتِ بأنّكِ حملْتِ بسيّدِ الأنامِ ؟، ثمَّ أمهلنِي حتَّى إذَا دنتْ ولادتِي أتَانِي فقالَ: قولِي أُعيذُه بالواحدِ منْ شرِّ كلّ حاسدٍ، ثمَّ سمّيه محمّداً.اهـ من «شفاء السقيم»، و«عيون الاثر»، و«السيرة الحلبية»، و«تاريخ الخميس»، و«كوكب الأنور»، و«شرف المصطفي».

(وَأَتَانِي آتٍ) أي أتاني آت من الله عزّ وجلّ كما في رواية، نعم المراد بالآت ملك من الملائكة السيّاحين، وهم موكّلون بذلك (وَأَنَا بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ) ففي «السيرة الحلبية» في قصّة الأذان: لمّا أمر رسول الله ﷺ بالناقوس فطاف بي وأنا نائم رجل وفي لفظ: إني لبين نائم ويقظان طاف بي رجل، والمراد أنّه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة (فَقَالَ) أي الآت وهو ملك من الملائكة (لِي: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكِ حَمَلْتِ) الخطاب لآمنة ﵂ (فَكَأَنِّي أَقُولُ لاَ أَدْرِي) لذلك الملك (فَقَالَ) الملك (إِنَّكِ قَدْ

حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَذَلِكَ يَوْمَ الاثنين) أوقع الله تعالى جماع عبد الله آمنة الفاضلة ﵂ في يوم الاثنين إبتداءً بيوم الاثنين، ففي «المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية»: ثمّ خرج به عبد المطلب، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيّد بني زهرة نسبا وشرفا، فزوّجه ابنته آمنة، وهى يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا… فوقع عليها يوم الاثنين أيّام منى، في شعب أبى طالب عند الجمرة، فحملت برسول الله ﷺ. اهـ ولمّا استقرّت نطفة عبدالله الزكي في بطن آمنة الزهراء ﵂، ففي «المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية»: ولمّا حملت آمنة برسول الله ﷺ ظهر لحمله عجائب، ووجد لإيجاده غرائب. فذكروا أنّه لمّا استقرّت نطفته الزكيّة، ودرّته المحمّديّة في صدفة آمنة القرشيّة.. نودي في الملكوت ومعالم الجبروت، أن عطّروا جوامع القدس الأسنى، وبخّروا جهات الشرف الأعلى، وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين، أهل الصدق والوفا ، فقد انتقل النور المكنون إلى بطن آمنة ذات العقل الباهر، والفخر المصون ، قد خصّها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيّد المصطفى الحبيب، لأنّها أفضل قومها حسبا وأنجب، وأزكاهم أصلا وفرعا وأطيب . اهـ

والدلالات على حمله ﷺ إثنتان: فأمّا الدلالة الاولى عليه : وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أنّ كلّ دابّة لقريش نطقت تلك الليلة أي التي حمل فيها أي في اليوم قبلها برسول الله ﷺ أي بناء على ما هو ظاهر ممّا تقدّم أنه حين وقع عليها انتقل إليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا أي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي ، أقول : دلالة الأول على مطلق الحمل به ﷺ لا على خصوص حمل آمنة به ﷺ حينئذ واضحة . وأمّا الدلالة الثانية عليه : فقد يتوقّف فيها إلّا أن يقال إنّ ذلك كان من علامة الحمل به في الكتب القديمة مع أنّ المدعى في كلّ أمّ ابن عباس ﵄ إنّما هو خصوص حمل آمنة به على أنّ السياق يدلّ على أنّ المراد علم أمه بحملها به والله أعلم وعن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه: أنّ في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة، أي: ولعلّ ذلك كان من علامة حمل أمّه به في الكتب القديمة وقول الصادق لايتخلف . اهـ «السيرة الحلبية» .

(قَالَتْ) آمنة الزهراء ﵂ (فَكَانَ ذَلِكَ) أي إتيان ذلك الملك (مِمَّا تَيَقَّنَ عِنْدِيَ الْحَمْلُ) وهذا السهل والرؤي من إرهاصاته ﷺ (فَلَمَّا دَنَتْ وِلاَدَتِي أَتَانِي ذَلِكَ الآتِي) ذلك الملك ثانيا يقظة ومناما (فَقَالَ: قُولِي) أي بعد الولادة (أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ مِنْ شَرِّ كلّ ذِي حَسَدٍ) عبارة الإمام السهيلي في «الروض الأنف»: ... فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كلّ حاسد، ثمّ سمّيه محمّدا. اهـ، وقال الإمام الدياربكري في «تاريخه»: وفي رواية أبى نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدّث وتقول أتانى آت حين مرّ من حملي ستّة أشهر في المنام وقال لي : "يا آمنة إنك حملت بخير العالمين ؛ فإذا ولدتيه فسمّيه محمّدا واكتمي شأنك فإذا وقع على الأرض فقولي أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد في كلّ برّ غامد وكلّ عبد رائد حتى أراه، قد أتى المشاهد وإنّ آية ذلك أن يخرج معه نور يتلألأ يملأ قصور بصرى من أرض الشام فاذا وقع فسمّيه محمّدا، وإنّ اسمه في «التوراة» و «الإنجيل» أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمّد فسمّيه بذلك. اهـ (قَالَتْ فَكُنْتُ أَقُولُ ذَلِكَ وَأُكَرِّرُهُ مِرَارًا) هذا منهج الرقيّة من قديم الزمن كما عاوذ والدة مريم ﵂ لبنته مريم كما قال تعالى : ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، ومثله تعويذ الحسن والحسين ﵄، ففي «صحيح البخاري» عن ابن عباس ﵄ قال كان النبيّ ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: إنّ أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامّة من كلّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة . فلمّا نزلت المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما من التعويذات، وفي«سنن الترمذي» و«النسائي» و«ابن ماجه» عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من الجانّ وعين الإنسان حتّى نزلت المعوّذتان ، فلمّا نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما. اهـ، معناه: قال الإمام المناوي : يقول أعوذ بالله من الجان. اهـ، فبعد ذلك يرقي ﷺ بسورة المعوذتين دون ذلك القول .

[حكم قراءة الدعوة الجلجلوتية]

فذِكْرُ الله تعالى بأسماء لايُعرف معناها مسألة خلافيّة، اختلف فيها العلماء؛ وذلك بناءً على تيقّن الذاكر بأنّ هذا الإسم من أسماء الله تعالى ولكن لايفهم معناه. وقد أجاز الذّكر بهذه الأسماء بعض العلماء، كالإمام الغزّالي شارح «الدعوة الجلجلوتية»، ومنع الذّكر بها آخرون كالعلامة السيد علوي بن أحمد السقّاف مصنّف «الفوائد

المكّيّة» وغيره من العلماء، وللسقّاف في فضائل الأعمال مذهب آخر مخالفا لابن حجر الهيتمي والعسقلاني . وذهب فريق ثالث من العلماء إلى جواز الذّكر بها إذا كانت مرويّة عن الثّقة ، وهذا هو الأصوب ؛ كالمأخوذة من كلام الإمام أبي الحسن الشاذلي كأحزابه المختلفة ، والسيّد إبراهيم الدسوقي والسيد أحمد البدوي والشيخ عبد القادر الجيلي ، ومحي الدين بن العربي الصوفي رضي الله عنهم ؛ يقول الإمام ابن حجر الهيتمي -عندما سئل عن الرقى بالأسماء التي لا يعرف معناها والتوسل بها- كما في «الفتاوى الحديثية»: الذي أفتى به العزّ بن عبد السلام كما ذكرته عنه في «شرح العباب»: أن كتب الحروف المجهولة للأمراض لا يجوز الاسترقاء بها، ولاالرقي بها؛ لأنه ﷺ لمّا سئل عن الرقي قال: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رقَاكُم» فَعَرَضُوهَا، فَقَالَ: «لَا بَأسَ»، وإنّما لم يأمر بذلك؛ لأن من الرقى ما يكون كفرًا، وإذا حرم كتبها حرم التوسّل بها، نعم، إن وجدناها في كتاب من يوثق به علمًا ودينًا، فإن أمر بكتابتها أوقراءتها احتمل القول بالجواز حينئذٍ؛ لأن أمره بذلك الظاهر أنه لم يصدر منه إلّابعد إحاطته واطلاعه على معناها ، وأنه لامحذور في ذلك ، وإنْ ذكرها على سبيل الحكاية عن الغير الذي ليس هو كذلك ، أو ذكرها ولم يأمر بقراءتها ولا تعرض لمعناها ، فالذي يتّجه بقاء التحريم بحاله ، ومجرّد ذكر إمام لها لا يقتضي أنّه عرف معناها ، فكثير من أحوال أرباب هذه التصانيف يذكرون ماوجدوه من غير فحص عن معناه ولاتجربة لمبناه ، وإنّما يذكرونه على جهة أن مستعمله ربّما انتفع به ، ولذلك تجد في ورد الإمام اليافعي أشياء كثيرة لها منافع وخواص لا يجد مستعملها منها شيئًا ، وإن تزكت أعماله وصفت سريرته ، فعلمنا أنه لم يضع جميع ما فيه عن تجربة ، بل ذكر فيه ما قيل فيه شيء من المنافع والخواص ، كما فعل الدميري في « حياة الحيوان » في ذكره لخواصها ومنافعها ، ومع ذلك تجد المائة ما يصح منها واحد ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ وقال أيضًا : وممّن صرَّح بتحريم الرقيا بالاسم الأعجمي الذي لا يعرف معناه ابن رشد المالكي ، والعزّ بن عبد السلام الشافعي، وجماعة من أئمتنا وغيرهم ، وقيل : وعن ابن المسيّب ما يقتضي الجواز؛ لقوله ﷺ: «مَن اسْتَطَاعَ منكُم أَن يَنفَعَ أَخَاهُ فَليَنفَعَه» انتهى ، ولا دليل فيه لأنّه لم يقل لهم ذلك إلّا بعد أن سألوه أن عندهم رقيا يرقون بها، فقال لهم ﷺ: «اعْرِضُوا عليَّ رُقَاكُم» فعرضوها عليه، فقال ﷺ: «لَا بَأس»، ثم قال: «مَن اسْتَطَاعَ

منكُم ...» إلخ، فلم يقل ذلك إلّا بعد أن عرف رقاهم ، وأنه لا محذور فيها . اهـ ثم رأيت في « فتاوى الإمام الرملي » : (سئل) عن « منافع القرآن » للإمام الباقي إذا أخذ شخص منها شيئا أومن « منافع القرآن » للبوني أوللسهروردي وعمل به لخراب ديار الظلمة يؤذون عبادالله تعالى يأثم بذلك أم لا وهل يسمى ذلك سحرا أو منافع القرآن فتنزه عن هذه التسمية ؟ (فأجاب) بأنه : لا يأثم بذلك بل يثاب عليه الثواب الجزيل ؛ لأنه ساع في دفع ظلمهم عن المسلمين وغيرهم فهو في معنى دفع الظالمين ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ، « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وليس ذلك سحرا ، كيف ! ، وقد قال عليه أفضل الصّلاة والسلام « وما أدراك أنها رقية » .اهـ «فتاوى الرملي». وفي «الجمل على شرح المنهج» و «الشرواني على تحفة المحتاج» عن الإمام ابن القاسم ، مانصه : يؤخذ من هذا صحّة ما قاله العلّامة ابن قاسم في شرح الغاية قبيل كتاب الطهارة من جواز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة اهـ . ع ش . اهـ « حواشي الشرواني » .

قال الإمام الدميري شارح منهاج النووي : (فائدة) : رقية العقرب جائزة ، لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، قال : لدغت رجلاً عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله ارقيه؟ قال ﷺ : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » . وفي رواية فجاء آل عمر بن حزم إلى النّبيّ ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب ، وإنّك نهيت عن الرقى ، فقال ﷺ : « اعرضوا عليّ رقاكم »، فعرضوها عليه، فقال ﷺ : « ما أرى بها بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » . وفي رواية : « أعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شيء » . فالرقي جائزة بكتاب الله أو بذكره ، ومنهي عنها إذا كانت بالفارسية أو بالعجمية ، أو بما لايدري معناه ، لجواز أن يكون فيه كفر . واختلفوا في رقية أهل الكتاب، فجوّزها أبو حنيفة ، وكرهها مالك خوفاً أن تكون ممّا بدّلوا . فمن الرقي النافعة المجرّبة، أن يسأل الراقي الملدوغ إلى أين انتهى الوجع من العضو؟ ثمّ يضع على أعلاه حديدة، ويقرأ العزيمة ويكررها، وهو يجرد موضع الألم بالحديدة من فوق حتى ينتهي في جرد السمّ إلى أسفل الوجع ، فإذا اجتمع في أسفله ، جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك . وهي هذه : سلام على نوح في العالمين ، وعلى

محمّد في المرسلين ، من حاملات السمّ أجمعين ، لا دابة بين السماء والأرض إلا ربي آخذ بناصيتها أجمعين ، كذلك يجزي عباده المحسنين ، إنّ ربي على صراط مستقيم ، نوح نوح قال لكم نوح : من ذكرني لا تأكلوه ، إنّ ربي بكلّ شيء عليم . وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم . ورأيت بخطّ ابن الصلاح، في « رحلته » رقية للعقرب ، قال : ذكر أنّ الإنسان يرقى بها فلا تلدغه عقرب ، وإن أخذها بيده لا تلدغه، وإن لدغته لاتضره . وهي : بسم الله وبالله وبسم جبريل وميكائيل كازم كازم ويزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يشتامر ايشتامر اهوذا هوذا هي لمطا أنا الراقي والله الشافي .اهـ « حياة الحيوان الكبرى » . (قوله فالرقى جائزة بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت بالفارسية أو بالعجمية، أو بما لا يدري معناه ، لجواز أن يكون فيه كفر....الخ) فمدار الرقي أو قرائة الأذكار والأدعية أن يكون بكلمات الله تعالى باللغة العربية أو بلغة مفهمة للراقي ، فإذا كان الراقي عالما فلا بأس . فهذه الأبيات الدعوة الجلجلوتية أو أبيات الاقسام المشهورة في ديار المليبار فلا بأس بقرائتها ، نعم ؛ هذه كلّها منافع للسحر والمصروع وقضاء الحوائج كما ذهب إليه العلماء المليباريّون قديما وحديثا ، وهذه كلّها في حيّز المدح والثناء وفيها المنافع الكثيرة كما قال الإمام الرملي.

[مفاهيم ينبغي أن تصحّح]

ففي كتاب « الفوائد المكّيّة » للشيخ السقّاف مايخالف ماقلنا آنفا من حرمة قرائة الجلجلوتيّة عن الإمام سليمان الجمل على « حاشية شرح المنهج » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، ليست في الجمل تلك العبارة، ثمّ بنى الشيخ لإتمام زعمه قول الإمام ابن حجر الهيتمي في « شرح المنهاج » ، فلا يتمّ تلك الدعوى إلّا بتصحيح النّقل أوّلا، هذا . ونص عبارته : وفي « الجمل على شرح المنهج » : يحرم ذكر أسماء بغير العربية كالسباسبة والجلجلوتيّة وما في حرز الغاسلة ، وفي « التحفة » يحرم على غير عالم متبحّر مطالعة نحو توراة علم تبديلها ، أو شكّ فيه اهـ ، إلى غير ذلك ممّا لايحتمله هذا المحل ممّا لا نبغي للطّالب أن يهجم عليه إلّا بعد التروي والفحص عنه وإلّا اشتبه عليه الحقّ بالباطل ، وارتفعت الثّقة به في أقواله وأفعاله وإنّما نبهت على ذلك لأني رأيت كثيرا من الناس بل من الطلبة من شغف بقراءة ذلك ومطالعته وتدريسه واشتغل بما لا يعنيه ، بل ربّما ضرّه عمّا يعنيه ، بل ربّما تعين عليه ، فنسألك اللهمّ أن ترينا الحقّ حقّا وترزقنا اتّباعه وترينا الباطل باطلا وترزقنا اجتنابه ، ولا تجعله مشتبها

علينا فنتبع الهوى ... اهـ . « الفوائد المكّيّة » للعلّامة علوي بن احمد بن عبد الرحمن السقّاف الشافعيّ المكي ، وإن سلّم بتصحيح النّقل فقوله محمول على زجر المتعلّمين لا العلماء المتبحّرين لأنّ المتعلّمين إذا نالت لهم الشؤون الماليّة فيتركون التعلّم كما نشاهد في هذا الزمان ، وفي ضمن قوله مايجوّز للعلماء المتبحّرين قرائة الدعوة الجلجلوتية ، وأيضا أنّ ذلك الكتاب مصنّفة للمتعلّمين لبيان طرق التّعلّم ومايتعلّق به ، وأيضا أنّ في قوله ، حرمة الذكر بلغة غير العربية ، فهو غير مسلّم ، لأنّ حركات المؤمن وسكناته وأقواله كلّها أذكار وعبادة بدليل قوله ﷺ ، ففي « فيض القدير » للمناوي على « الجامع الصغير » : ٤٣٣١ (ذكر الأنبياء من العبادة وذكر الصالحين) أي القائمين بما وجب عليهم من حقوق الحقّ والخلق (كفّارة) للذنوب ... وأفضل العبادة ترك الحيل ورأس مال العالم ترك التكبّر وثمر الجنة ترك الحسد والندامة من الذنوب التوبة الصادقة اهـ « فيض القدير » ، وقال ابن الصلاح رحمه الله في معرفة أنواع علم الحديث (المقدمة) : من أقرب الوجوه في إصلاح النّية فيه (طلب الحديث) : ما روينا عن أبي عمرو إسماعيل بن نجيد ، أنه سأل أبا جعفر أحمد بن حمدان ، وكانا عبدين صالحين فقال له :بأيّ نيّة أكتب الحديث ؟ فقال : ألستم ترون أنّ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟ قال: نعم . قال : فرسول الله رأس (سيد) الصالحين .«مقدّمة ابن الصّلاح ومحاسن الاصطلاح»، وقال الإمام أحمد ابن حنبل يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول: تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين. ابن المنذر: أحاديث في ذم الكلام وأهله، وقال الثوري رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. الغزالي في «الإحياء»، وقال الإمام محمّد بن يونس: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين . «مختصر صفة الصفوة»، فهذا كلّه عبادة سواء كان باللّغة العربيّة أو المليالمية أوالأردية ....، فالأذكار ليست مختصّة بالعربيّة وهي تجري في كلّ لغة. (قِيلَ): عبّر المصنّف عن هذه القضية بقوله "قيل"، مع أنّ هذه القضية، أورد الإمام النيسابوري والشيخ ابن الجوزي المشهور عند العلماء في كتبهم مثبتين، ولم يتعرّض المصنّف إلى إقرارهم وإثباتهم، لوجوه، فمنها الورود مخالفا لهذا، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه « الجوهر المنظّم »، مانصه: (إن قلت : ما حكمة دفنه ﷺ بالمدينة النبوية ؟ مع أنه جاء : أنّ كلّ أحد إنّما يدفن في المحلّ الّذي خلق منه ، وهو ﷺ إنّما خلق من الطينة التي خلقت منها الكعبة الشريفة، فكان القياس أن يدفن فيها ، لاسيّما إذا قلنا بما عليه أكثر علماء

الأمة ، أنّ مكّة أفضل من المدينة . قلت : أما حكمة إفراده ﷺ عن مكّة بمحلّ آخر بعيد منها، فهي إظهار عظيم فضله ﷺ وأنه متبوع لاتابع، إذ لو دفن بمكّة لكان قصده يقع تابعة لقصدها، أو قصد الحج، فيكون غير متبوع، وذلك لا يليق بعلي كماله، فاقتضى ذلك، أن يفرد ﷺ بمحلّ مخصوص، بعيد من مكة، حتّى يكون قصد زيارته مستقلّا ليس تابعا لغيره، وحتي يتمايز الناس في شد الرحال إليه بخصوصه ﷺ . ومن رأى تجهيز القوافل من مكة، وأعمالها، وأطراف اليمن ونجدها، إلى زيارته ﷺ لاسيّما في رجب، اتّضح له حكمة انفراده ﷺ عن مكة، وأنّ في ذلك من إظهار شعار زيارته ما يبهر العقول، وأنّ في ذلك من رحمة الله تعالى لهذه الأمّة بإظهارهم لهذا الشعار الأعظم والناموس الأفخم، ما يؤمنهم من غوائل الفتن، وعظائم المحن، فللّه أكمل الحمد، وأنت وأتمه، وأشمله، على توفيقهم لذلك. وأمّا الجواب عمّا مرّ من أنّ كلّ إنسان يدفن في المحل الذي خلق منه، فهو ما قاله العارف بالله تعالى السهروردي - صاحب العوارف - وبسطت الكلام عليه في شرحها، وتبعه عليه الحفاظ من المحدثين، والمحققون من الفقهاء، وهو أن الطوفان لمّا علا الكعبة المشرفة، موج موجة منها ماريا على وجه الماء من أصلها، إلى أن وصل به إلى محل قبره الشريف، فهو ﷺ في الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة الذي خلق منه، وحكمة ذلك التموج ما مر من إفراده ﷺ، حتى يكون قصد زيارته ﷺ متبوعا لا تابعة، كما تقرّر فاعلمه. ويؤيّد ما قاله السهروردي ماجاء في بعض الآثار، أنّ سليمان بن داود ﷺ زار محلّ قبر نبيّنا ﷺ وأخبر أنه سيقبر فيه، وترك ثَمّ أربعمائة رجل من أحبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته، وهجرته إليهم، فلمّا جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين.

فإن قلت: هل لتخصيص المدينة بذلك من بين سائر قرى الحجاز حكمة؟ قلت: نعم لأنها باعتبار ذاتها، لابما عرض لها من نحو حماها، مع أنها نقلت إلى الجحفة، أعذب أرضا في تهامة، وأعدلها، وأكثرها ماء، ونخيلا، وأحسنها أهلا ومقيلا سيّما وفيها أخوال نبينا ﷺ وأنصاره، وغير ذلك من محاسنها، ومحاسنهم الجمّة، التي لا توجد في أرض غير مكة من تهامة، فاتضح بما قررته إن تأملته - هذا المقام، وانكشف ما كان يطرق من ظلمات الأوهام، وفقنا الله تعالى فضلا، ومنا لفهم المشكلات، وإيضاح العويصات بمنه وكرمه آمين. « الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم » .

(لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظُهُورَ خَيْرِ خَلْقِهِ محمّد ﷺ) وروى أبو سعد النيسابوري في « الشرف »، وابن الجوزي في « الوفا » عن كعب الأحبار، قال: لمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق محمّدا ﷺ .. أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء نيرة، فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنّة،حتى صارت كالدرّة البيضاء لها شعاع عظيم، ثمّ طافت بها الملائكة حول العرش والكرسيّ والسماوات والأرض ، فعرفت الملائكة محمّدا ﷺ قبل أن تعرف آدم أبا البشر، ثم كان نور محمّد ﷺ يرى في غرّة جبهة آدم وقيل له: يا آدم هذا سيّد ولدك من المرسلين. فلمّا حملت حوّاء بِشيث .. انتقل النّور عن آدم إلى حوّاء، وكانت تلد في كلّ بطن ولدَين إلّا شيثا فإنّها ولدته وحده كرامة لمحمّد ﷺ ، ثمّ لم يزل النور ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ .اهـ «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (أَمَرَ جِبْرِيلَ عليه السّلام) الله (أَنْ يَقْبِضَ) أي يأخذ (طِينَتَهُ) القطعة من الطين، التي هي قلب الأرض وبهاءها وأجودها (مِنْ مَكَانِ قَبْرِهِ الْكَرِيمِ) وهي بيضاء منيرة، فهبط جبريل ومن معه من الملائكة الكرام (فَقَبَضَهَا) أي أخذ جبريل قطعة من الطين (ثُمَّ طَافَ بِهَا) أي بالطينة (جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَغَمَسَهَا فِي أَنْهَارِ التَّسْنِيمِ) التسنيم اسم العين في الجنة، ومنه يخرج شراب أهل الجنة (وَأَقْبَلَ بِهَا) أي بالطينة (إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ) وهذا عبارة عن القرب والمشاهدة وأنوار التجليات (وَلَهَا عَرَقٌ يَسِيلُ) أي لهذه الطينة عرق يسيل لشدّة الحياء (فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَرَقِ نُورَ كلّ نَبِيٍّ جَلِيلٍ فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ خُلِقُوا مِنْ نُورِ محمّد ﷺ) فقد روى أبو سعد النيسابوري في "الشرف"،وابن الجوزي في"الوفا"عن كعب الأحبار،قال:لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق محمّدا ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء نيرة، فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة، حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم،ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسماوات والأرض ، فعرفت الملائكة محمّدا ﷺ قبل أن تعرف آدم أبا البشر، ثم كان نور محمّد ﷺ يرى في غرة جبهة آدم وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين. فلما حملت حواء بشيث انتقل النور عن آدم إلى حواء، وكانت تلد في كلّ بطن ولدين إلا

شيئا فإنها ولدته وحده كرامة لمحمّد ﷺ، ثم لم يزل النور ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ اهـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،وفي شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن :ومما روى الإمام ابن الجوزي في كتابه الوفاء عن كعب الأحبار ﷺ قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق محمّداً ﷺ أمر جبريل عليه السلام فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ، فعجنت بماء التسنيم، فغمست في أنهار الجنة، وطيف بها في السموات، فعرفت الملائكة محمّداً ﷺ وفضله قبل أن يعرف آدم، ثم كان نور محمّد يرى في غرة جبهة آدم، وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين، فلما حملت حواء بشيث انتقل النور من آدم إلى حواء، وكانت تلد في كلّ بطن ولدين إلا شيئاً فإنها ولدته وحده كرامة لمحمّد ﷺ ، ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ.اهـ (ثُمَّ أُودِعَت تِلْكَ الطِّينَةُ) وهي بهاء تلك الطينة (فِي ظَهْرِ آدَمَ عليه السلام وَأُلْقِيَ فِيهَا) أي الطينة (النُّورُ الَّذِي سَبَقَ فَخْرُهُ وَتَقَدَّمَ) وهو النور المحمّدي وخصاله المحمود (فَوَقَعَتْ هُنَالِكَ طَوَائِفُ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ سُجَّدًا لِآدَمَ عَلَيهِ السَّلاَمَ) وإليه أشار تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ .قال الإمام الرملي: وأمّا سجود الملائكة له فلأجل أنّ نور نبيّنا ﷺ كان في جبهته.اهـ «فتاوى الرملي» (ثُمَّ أَخَذَ اللَّهُ تعالى عَلَى آدَمَ) عليه السلام (الْمَوَاثِيقَ) جمع ميثاق، وهو قال ابن فارس: وثق، الواو والثاء والقاف كلمة تدلّ على عقد وإحكام. واصطلاحًا: هو العقد المؤكّد إمّا بوعيدٍ أو بيمينٍ. اهـ « أحكام القرآن »، للجصاص، وعرّف الإمام أبو جعفر الطبري الميثاق بقوله: الميثاق من الوثيقة، وهي إمّا بيمين، وإمّا بعهد أوغير ذلك من الوثائق. اهـ «جامع البيان». (وَالْعُهُودَ) العهد: الوصية وقد عَهِدْتُ إليه، أي أوصيته، ومنه اشتُقَّ العَهْدُ الذي يكتب للوُلاةِ، وأصل هذه المادة يدلّ على الاحتفاظ بالشَّيء «المعاجم العربية». واصطلاحًا، قال الجرجانيُّ في «التعريفات»: العهد: حفظ الشَّيء ومراعاته حالا بعد حال. هذا أصله ثمَّ استخدم في الموثق الذي يلزم مراعاته.اهـ ، وهذا الميثاق والعهد بعد نفخ الروح في جسد آدم عليه السلام، والميثاق الأوّل والعهد الأوّل قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام كما صرّحت الرواية وأقوال الأئمة، وقد نبّأ الرسول ﷺ قبل ذلك الكلّ كما قال الإمام ابن رجب في «لطائف المعارف» في مبحث "الكلام على أن النّبيّ كان نبيا قبل أن يخلق" (حِينَ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ لَهُ) أي لآدم عليه السلام، فهو متعلّق بما بعده (بِالسُّجُودِ) لآدم عليه السلام

(أَنْ لاَيُودِعَ ذَلِكَ النُّورَ) أي أن لايضع نور محمّد ﷺ (إِلاَّ فِي أَهْلِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الدَّنَسِ) المراد بالدنس الزنا (وَالْجُحُودِ) أي أنواع الكفر (فَمَا زَالَ ذَلِكَ النُّورُ) الفاء للفصيحة، والفرق بين "ما زال" و"لازال"، وأنّ "مازال" وتصريفاتها تدلّ على بقاء شيء أو أمر ما على حاله، أواستمراره على ما كان عليه، قال الله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾. وأمّا "لا" متبوعة بـ"زال" في صيغة الماضي (لازال) فأسلوب عربي متمحض غالبا للدعاء، قال ذوالرمة: ألا ياأسلمي يادارميّ على البلى ۞ ولازال منهلا بجرعائك القطر. (يَتَنَقَّلُ مِنْ ظُهُورِ الْأَخْيَارِ) أي مازال ينْتقل من ظهور الآباء كما تصرّحه رواية الإمام البخاري: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنْ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ». وفِي رِوَايَة الْإِسْمَاعِيلِيّ «حَتَّى بُعِثْت مِنْ الْقَرْن الَّذِي كُنْت فِيهِ». قال الإمام المناوي في الفيض:.. (حتى كنت في القرن الذي كنت فيه) أراد تقلّبه في الأصلاب أباً فأباً حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه ؛ فالفاء لترتيب في الفضل على الترقي تقرباً من أبعد آبائه إلى أقربهم فأقربهم وما أحسن ما قال بعضهم :

قـريش خيـار بني آدم وخير قريش بنو هاشم
وخير بني هاشم أحمد رسـول الإلـه إلى العـالم

وقال الإمام أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمّد الكوراني في شرح البخاري: فإن قلت: إنما بعث من القرن الذي ولد فيه، فما معنى قوله: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا" ؟ قلت: أراد أن مجده عريق تليد من لدن آدم كان ينتقل في أصلاب الآباء والأمهات الكرام؛ والنسب كلّ ما بعد كان أدخل في المجد.اهـ « الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري». وقال الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: والمراد بالبعث تقلبه في أصلاب الآباء أباً فأباً قرناً فقرناً حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه، يعني انتقلت أولاً من صلب ولد إسماعيل، ثم من كنانة، ثم من قريش، ثم من بني هاشم، فالفاء في قوله: «قرناً فقرناً» للترتيب على سبيل الترقي من الآباء الأبعد إلى الأقرب فالأقرب.اهـ. ونقله الإمام القاري في «المرقاة»، وفي «شرح المصابيح» لابن الملك: والمراد (بالبعث) هنا: تقلبه في أصلاب الآباء أبًا فأبًا، قرناً فقرناً؛ يعني: انتقل النّبيّ ﷺ أوّلاً من صلب ولد إسماعيل، ثمّ من كنانة، ثمّ من بني هاشم.اهـ وفي « لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح » للدهلوي: والمراد ببعثه فيهم: تقلّبه في أصلاب الآباء، ونقله

فيها أبًا فأبًا.اهـ (إِلَى بُطُونِ الْأَحْرَارِ) أي إلى بطون الأمّهات الأحرار (حَتَّى أَوْصَلَتْهُ يَدُ الشَّرَفِ وَالْمَكَارِمِ) أي ذلك النور، وهذا كناية على فضل عبد المطلب ﷺ، وكان هو صاحب المفتاح لكعبة المشرفة في ذلك الزمان كما جاء في بعض الرواية (إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ) ففي « الطيبي على المشكاة »: وروي أيضًا أنه مر عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يقال لها: (فاطمة بنت مر) وكانت من أجمل الناس وأعفهم، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت: هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال: أما الحرام فالممات دونه. وأما الحل فلا حل. ثم مضى إلى امرأته بنت وهب وكان معها، ثم ذكر الخثعمية وما عرضت عليه فأقبل إليها، فلم ير منها الإقبال عليه آخراً كما رآه منها أولاً، فقال لها: هل لك فيما قلت لي؟ فقالت: قد كان ذلك مرة فاليوم لا. فذهب ميلاً، وقالت: أيّ شيء صنعت بعدي، قال: وقعت على زوجتي آمنة، فقالت: والله لست بصاحبة ريبة ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فأردت أن يكون ذلك فيّ، فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله. وفي رواية: لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه مر به على كاهنة يقال لها: (فاطمة بنت مر) وقد قرأت الكتب فرأت في وجهه نوراً، فقالت: يا فتى هل لك أن تقع على وأعطيك إلى آخره.اهـ

(فَلَمَّا آنَ) الفاء للفصيحة، أي قرب (أَوَانُ) أي زمان (وَفَاءِ عَهْدِهِ) أي الله (طَلَعَ فِي الْأَكْوَانِ) أي ظهر في العالم (طَالِعُ سَعْدِهِ) فاعل طلع، أي علامات على ولادته ﷺ (نُشِرَ) بناء للمجهول، صفة طالع (عَلَمُ الْفُتُوَّةِ) نائب فاعل، والعلم: اللواء، والفتوة: الشَّبابُ بين طَوْرَيِ المراهقة والرُّجرلة. وفيه تشبيه توحيد الله على اللواء والجامع فيه ظهور الأثر على وجه الكمال، ثمّ أستعير وأضيف إلى الفتوة من إضافة البيان (لِظُهُورِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ) أي لأجل قرب ولادة خاتم الأنبياء ﷺ (شَخَصَتْ) أي ارتفعت (لِعَبْدِ اللَّهِ الْأَبْصَارُ) فاعل شخصت، أي يقول بعض المنجّمين في حقه ﷺ مدحا لوالده ﷺ "ويولد مولودٌ لعبد الله بن عبد المطلب"، وعبدُ الله بن عبد المطلب، وقد مات في الشهر الثاني على القول الصحيح (وَأَشْرَقَتْ عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ) أي ظهرت علامة النبوة على لسان بعض الراهبان (وَأُلْبِسَ) والد النبيّ ﷺ، بالمدح والثناء (ثَوْبَ الْمَلَاحَةِ) أي حسن المنظر على لسان أهل مكة، من إضافة البيان (نَطَقَ) أي حال عبد الله (بِالْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ) مترادف (نَادَاهُ) عبد الله (لِسَانُ الْمَشِيئَةِ) أي لسان قضاء الله وإرادته، لوكنت حيّا قلناه لك مباشرة (يَاعَبْدَ اللَّهِ مَايُصْلِحُ كَنْزًا) أي ماالشيئ الذي يصلح كنزا في بطن زوجتك (لِمَا

حَمَلْتَ) أي لما تحمّلت (مِنَ الْوَدِيعَةِ) أي وديعة الله تعالى في صلبك قبل الجماع، وهو النور المحمّدي وراثةً عن آبائك (إِلاَّ أَحْشَاءُ آمِنَةَ) أي إلّا أدخله في بطن آمنة الزهراء ﵂ (الْمَنِيعَةِ) أي الممنوعة عن كلّ شر (الْمُطَهَّرَةِ مِنَ الدَّنَسِ) أي من الزنا (وَالأَكْدَارِ) أي العيوب من كلّ جهة، ولذا جمع المصنّف في هذا المقام، وإليه أشار سيّدنا حسّان بن ثابت ﵁: خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كلّ عَيبٍ ۞ كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ (سَيِّدَةِ نِسَاءِ بَنِي النَّجَّارِ) وهم أخوال عبدالله والد الرسول ﷺ وهم من قبيلة الخزرج الأنصارية وهم من أفضل بيوت الأنصار، روى البخاري عن أبي أسد قال: قال رسول الله ﷺ « خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة وفي كلّ دور الأنصار خير ومن أشهرهم الصاحبي الجليل أبو أيّوب الأنصاري الذي سكن رسول الله ﷺ في داره بعد الهجرة من مكة وقد سمى بنو النجار بهذا الاسم لكون أحد أجدادهم قطع يد أخيه بفاس فقالت العرب لقد نجر يد أخيه. انظر كتاب « سبائك الذهب » للسويدي، أخيرا أختم بقول رسول الله ﷺ في الأنصار: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار ، لايحبّ الأنصار إلّا مؤمن، ولايبغضهم إلّا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن بغضهم أبغضه الله» رواه البخاري في «الصحيح» (إِجْتَمَعَ شَمْلُهُ بِشَمْلِهَا) وهذا مدح وثناء على أبويه ﷺ، وإشارة إلى عقد النكاح وإشارة إلى الأسرة الطيبة (إِتَّصَلَ حَبْلُهُ بِحَبْلِهَا) ومنه حبلُ الوريد: عِرْقٌ في العُنق، ويُضرَب به المثل في القرب، أي اتصل قربهما بالآخر وإشارة إلى الحياة الزوجية (ظَهَرَ صَفَاءُ يَقِينِهَا) أي ظهرت لآمنة ماظهر من علامة الحمل (إِنْطَوَتْ الأَحْشَاءُ عَلَى جَنِينِهَا) أي احتوت بطن آمنة الزهراء على ألوق ولدها في بطنها (سَطَعَ نُورُ النّبيّ محمّد ﷺ فِي جَبِينِهَا) أي ظهر نور النّبيّ ﷺ في جبينها، والجَبِينُ : ما فوق الصُّدْغ عن يمين الجَبْهَة أو شِمالها. وليس فيه ترتيب في بيان الحمل، وكلّ هذا مدح وثناء في مناسبة ذكر مولد أكرم الوجود (أَوَّلَ) منصوب على الظرفية بأتاها، أو مبتدأ خبره جملة أتاها، أي أتها فيه (شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهَا) وهو رجب .

(أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ آدَمُ عليه السلام) عبارة كتاب «مولد العروس» للإمام إبن الجوزيّ ﵁ و أرضاه عن رؤيا سيدتنا آمنة بنت وهب عندما حملت بسيدنا النّبيّ محمّد ﷺما نصه: وأول شهر من شهور آمنة أتاها سيّدنا أدم عليه السلام في المنام ، وأعلمها بأنّها ستلد محمّداً خير الأنام، وتتابعت الأحلام، وصارت ترى المبشرين لها بقدوم سيدنا

محمّد ﷺ. وفي الشهر الثاني أتاها سيدنا إدريس عليه السلام، وأعلمها بفضل سيدنا محمّد و شرفه النفيس . وفي الشهر الثالث أتاها سيدنا نوحٌ عليه السلام وأعلمها أنّ ابنها صاحب النصر و الفتوح . وفي الشهر الرابع أتاها سيدنا إبراهيم الخليل وأعلمها بقدر سيدنا محمّد و شرفه الجليل . وفي الشهر الخامس أتاها سيدنا إسماعيل عليه السلام وأعلمها بأنَّ الذي حملت به صاحب المكارم والتبجيل وفي الشهر السادس أتاها سيدنا موسى الكليم عليه السلام وأعلمها بقدر سيدنا محمّد وجاهه العظيم وفي الشهر السابع أتاها سيدنا داود عليه السلام أنَّ الذي حملت به صاحبُ المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة العظمى يوم الخلود. وفي الشهر الثامن أتاها سيدنا سليمان عليه السلام وأعلمها أنّ الذي حملت به نبيُّ آخر الزمان. وفي الشهر التاسع أتاها سيدنا عيسى المسيح عليه السلام وأخبرها أنّ الذي حملت به صاحب القول الصحيح والدين الرجيح. وكلّ منهم يقول: بشراك يا آمنة، فقد حملت بسيّد الدنيا و الآخرة، فإذا وضعتيه فسمّيه محمّداً ﷺ. وقالت السيدة آمنة: فاشتدّ بي الطلق مع أنّي لا أرى ثقلاً، ولا ألماً ولادماً أصلاً، فكشف الله عن بصري، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام قد نصبت؛ علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبة. ورأيت الملائكة أفواجاً، ورأيت الطيور قد سدت الفضاء، خضر الأرجل والمناقير، كأنّهنّ الياقوت يسبّحن الله بلغاتٍ شتّى، فأخذني العطش، فإذا بطائر قد هبط عليَّ وبيده شربةٌ من لؤلؤةٍ بيضاء، فناولني إيّاها، وإذا هي أبردُ من الثلج، وأحلى من العسل، فشربت ذلك الماء كلّه، فطاب قلبي، وحمدت ربي، فمن له حاجة فليقل: ياقاضي الحاجات، ويا مجيب الدعوات، ويا غافرَ الذنب والخطيئات، وياكاشف الضرِّ والبليات، يارب العالمين. قالت سيّدتنا السيدة آمنة: فسكتت الأصوات، وهدأت الحركات، وتطاولت الأعناق، وإذا بطائرٍ أبيض، مرّ بجناحيه على ظهري، فوضعت سيّد الخلق محمّداً ﷺ (وَأَعْلَمَهَا) آمنة ، معطوف على ماقبل (أَنَّهَا حَمَلَتْ بِأَجَلِّ الْعَالَمِ) أي المهمّ في العالم، لولاه ماخلق الكون (اَلشَّهْرَ الثَّانِيَ) هو شعبان (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ إِدْرِيسُ عليه السلام) تقدّم وجه الإعراب، قال الحافظ ابن كثير: قال مكحول عن كعب: أربعة أنبياء أحياء: اثنان في الأرض ، إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهما السلام.اهـ، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والآثار وأقوال الأئمة (وَأَخْبَرَهَا بِفَخْرِ سَيِّدِنَا محمّد ﷺ وَقَدْرِهِ النَّفِيسِ) أي بصفاته الحميدة الجليلة

الغالية وقدره الأعلى في الدنيا والآخرة (اَلشَّهْرَ الثَّالِثَ) وهو رمضان (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ نُوحٌ عليه السلام) اسمه يشكر، وكم سنة عاش نوح عليه السلام؟ في عمر نوح عليه السلام العظة والعبرة البالغة :فهي قرون طويلة قضاها في قومه يدعوهم إلى الله تعالى، يشفق عليهم من عذابه، ويرجو لهم رحمته، ولم يصبه اليأس ولا أخذه القنوط، بل رجا أن يهديهم الله على يديه، وإن طال الزمان، فكانت سنوات عمره دروسا للدعاة والمعلمين والمربين في الصبر والعزيمة والإيمان، فقد روى ابن أبي الدنيا في « الزهد » بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ملك الموت إلى نوح عليه السلام، فقال: يا أطول النّبيّين عمرا !كيف وجدت الدنيا ولذّتها؟ قال: " كرجل دخل بيتا له بابان، فقام في وسط البيت هنيهة القليل من الزمان، ثمّ خرج من الباب الآخر" انتهى، وقد إختلف الأئمة في عمره، فالقول الصحيح هو قول ابن عباس: فعن ابن عباس ﷺ قال ": بعث الله نوحا وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.اهـ (وَقَالَ لَهَا إِنَّكِ قَدْ حَمَلْتِ بِصَاحِبِ النَّصْرِ) على الأعداء (وَالْفُتُوحِ) للبلاد والنفوس الإنسانية الزكيّة، سيّما المؤمنون الخالصون، الأنبياء والأولياء والصالحون (اَلشَّهْرَ الرَّابِعَ) وهو الشّوال (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام) قال الإمام القرطبي في تفسير القصص: فلم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلّا من صلبه ووحد الكتاب لأنه أراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والإنجيل والفرقان فهو عبارة عن الجمع فالتوراة أنزلت على موسى من ولد إبراهيم والإنجيل على عيسى من ولده والفرقان على محمّد من ولده ﷺ وعليهم أجمعين.اهـ، وسبب تعلق سيدنا محمّد ﷺ كثيرا بجدّه إبراهيم عليه السلام ولادتهما على منكوس الأصنام، فأمّا سيّدنا محمّد ﷺ فظاهر، وأما إبراهيم عليه السلام فقد ذكر الإمام القرطبي في سورة الأنعام: وكان آزر من المقربين عند الملك نمروذ فأرسله يوما في بعض حوائجه فواقع امرأته فحملت بإبراهيم. وقيل: بل واقعها في بيت الأصنام فحملت وخرت الأصنام على وجوهها حينئذ؛ فحملها إلى بعض الشعاب حتى ولدت إبراهيم، وحفر لإبراهيم سربا في الأرض ووضع على بابه صخرة لئلا تفترسه السباع؛ وكانت أمه تختلف إليه فترضعه، وكانت تجده يمص أصابعه، من أحدها عسل ومن الآخر ماء ومن الآخر لبن، وشب فكان على سنة مثل ابن ثلاث سنين. فلمّا أخرجه من السرب.. توهمه الناس أنه ولد منذ سنين.اهـ (وَذَكَرَ لَهَا فَضْلَ سَيِّدِنَا محمّد ﷺوَمَحَلَّهُ

الْجَلِيلَ) أي مقامه العظيم في الملأ الأعلى (اَلشَّهْرَ الْخَامِسَ) وهو ذوالقعدة (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام) قال الإمام القرطبي في تفسير البقرة: أول من تكلّم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام. اهـ، وفي «حياة الحيوان» أنّ أوّل من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام ولذلك سمّيت العراب وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش ولذلك قال نبينا ﷺ اركبوا الخيل فإنّها ميراث أبيكم إسماعيل. اهـ، وهو أوّل من كتبه إسماعيل عليه السلام. اهـ «تاريخ الخميس»، وعبارة «مولد العروس»: ولمّا خلق الله آدم عليه السلام.. ظهر نوره واسمه مكتوب على ساق العرش سطرا. فلمّا انتقل النّور إلى شيث عليه السلام.. أظهر ذلك النّور جمالا وحسنا، و لمّا انتقل النّور إلى نوح عليه السلام.. أمسى بنوره على الجوديّ مستقرّا، ولمّا انتقل النور إلى إبراهيم الخليل عليه السلام.. صارت النّار عليه بردا ونهرا، ولمّا انتقل النّور إلى إسماعيل عليه السلام.. ففدي ببركته ووجد صبرا،ولمّا انتقل النّور إلى عبد المطّلب.. وجد يسرا بعد عسر. وردّ بنور المصطفي ﷺ الفيل و كسر أبرهة كسرا، واهتزّ البيت الحرام طربا و أشرق الصّفا بنور المصطفي بمولد عروس الجمال و خدرا. اهـ (وَبَشَّرَهَا أَنَّ ابْنَهَا صَاحِبُ الْمَهَابَةِ وَالتَّبْجِيلِ) قال الإمام المناوي: وتوجّه بتاج المهابة. اهـ، فالمهابة اسم لمرتبة عظيمة. ومرتبة التبجيل قال القاري في «شرح الشفا»،كما وردعن عيسى عليه السلام من تعلّم وعمل وعلّم يدعي في الملكوت عظيما.اهـ (اَلشَّهْرَ السَّادِسَ) وهو شهر ذو الحجة (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ مُوسَى الْكَلِيمُ عليه السلام وَأَعْلَمَهَا بِرُتْبَةِ سَيِّدِنَا محمّد ﷺ) قال الإمام الدِّيار بَكْري في «تاريخه الخميس»: وتأمّل في قول موسى عليه السلام لبنى إسرائيل ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ وقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم للصدّيق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ فموسى خصّ بشهود المعية ولم يتعدّ منه إلى أتباعه ونبينا صلّى الله عليه وسلّم تعدّى منه إلى الصدّيق لم يقل معي لأنّه أمدّ أبا بكر بنوره فشهد سرّ المعيّة ومن ثمّ سرى سرّ السكينة إلى أبى بكر وإلا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلى والشهود وأين معيّة الربوبية في قصّة موسى عليه السلام من معيّة الإلهية في قصّة نبيّنا ﷺ قاله العارف شمس الدين بن اللبان كذا في «المواهب اللدنية».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أبو بكر مع النبيّ ﷺ في الغار فعطش عطشا شديدا فشكى إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له النبيّ ﷺ اذهب إلى صدر الغار فاشرب قال أبو بكر فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن

وأزكى رائحة من المسك ثم عدت إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فقال: شربت ؟ فقلت: نعم قال ألا أبشرّك يا أبا بكر قلت بلى يا رسول الله قال إنّ الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكّل بأنهار الجنة أن اخرق نهرا من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر فقلت يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيا خرجه الملّا في «سيرته» كذا في الرياض النضرة. ثمّ أمر أبو جهل مناديا ينادى في أعلا مكة وأسفلها من جاء بمحمّد أو دلّ عليه فله مائة بعير أو جاء بابن أبى قحافة أو دلّ عليه فله مائة بعير فلم يزل المشركون يطوفون على جبال مكة يطلبونهما وكان مكثهما في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما، والأوّل هو المشهور كذا في «المواهب اللدنية». اهـ، وفي «نور الأبصار في مناقب آل بيت النّبيّ المختار»: فلمّا عجب موسى عليه السلام من الخير الذي أعطاه اللّه محمّدا ﷺ و أمته.. قال يا ليتني من أصحاب محمّد ﷺ .اهـ، وفي «الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النّبيّ الأزهر صلي الله عليه و آله و سلّم» :وأوّل من كسا الكعبة أوكسى في زمنه، ففي أوّل من كساها خلاف ليس هذا موضع بسطه. و قيل: كان في زمن عيسى عليه السلام، وقيل: في زمن موسى عليه السلام. قال الحافظ ابن حجر: وهو أولى. وفي الطبرانى عن أبى أمامة الباهلى رضى اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لما بلغ ولد معدّ بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه السلام فانتهبوه، فدعا عليهم موسى عليه السلام، فأوحى اللّه إليه: "لاتدع عليهم فإن منهم النّبيّ الأمي النذير البشير ..." الحديث. و هذه الأمور التي تقدّمت و التي تأتى كلّها تدلك على أنّ آباءه ﷺ كلّهم كانوا على التوحيد ولم يصدر عن أحد منهم إشراك و لا شي ء من أمور الجاهلية البتة.اهـ (وَجَاهِهِ الْعَظِيمِ) أي قدره ومنزلته العظيم عند الخواص والعوام (اَلشَّهْرَ السَّابِعَ) وهو المحرّم (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ دَاوُدُ عليه السلام) ففي «الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النّبيّ الأزهر ﷺ »: وفاق داود عليه السلام في الصوت، و يوسف في الحسن كما قال ﷺ: «لم يبعث اللّه نبيّا إلاحسن الوجه حسن الصوت، وإنّ نبيكم أحسنهم وجها و أحسنهم صوتا». وللّه در العارف باللّه الشيخ البوصيرى في «بردة المديح» حيث قال: منزّه عن شريك في محاسنه ۞ فجوهر الحسن فيه غير منقسم اهـ، وفي «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» : وفي كتاب «طهارة القلوب» للشيخ العارف عبد العزيز الديرينى يروى أنّ داود عليه السلام كان إذا أراد

أن ينوح على ذنبه مكث سبعة أيام بلياليها لايأكل ولايشرب ولا يقرب النساء ثم يخرج له منبرا إلى البرية ثم يأمر سليمان عليه السلام أن ينادى بصوت عال: "من أراد أن يسمع نوح داود فليأت" فتأتي الوحوش من البرارى والآكام وتأتى الهوام من الجبال والطير من الأوكار وتخرج العذارى من خدورهنّ وتجتمع الخلائق لذلك اليوم فيأتي داود فيرقي على المنبر فيحيط به بنو إسرائيل على طبقاتهم وكلّ صنف من الخلق على حدته وسليمان عليه السلام واقف على قدميه عنده فيأخذ داود في الثناء على الله تعالى فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيموت خلق كثير من الناس والوحوش والطيور والهوام ثم يأخذ في أهوال القيامة وينوح على نفسه فيموت من كلّ صنف طائفة عظيمة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه مزقت المستمعين كلّ ممزق وماتت طائفة من بنى إسرائيل ومن الوحوش والطير والهوام ثم يأخذ في الدعاء حتى يقع مغشيا عليه فيحمل إلى منزله وتكثر الجنائز في الناس فيقال هذا قتيل ذكر الله تعالى وهذا قتيل خوف الله وهذا قتيل ذكر الجنة وهذا قتيل ذكر النار ثم يدخل داود بيت عبادته ويغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجى ربه حتى يأتى سليمان فيستأذن ويدخل ويقدّم إليه قرصا من شعير ويقول يا أبت تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل منه ما شاء الله تعالى ثم يخرج إلى بني اسرائيل. وقال يزيد الرقاشى خرج داود مرّة ينوح على نفسه ومعه أربعون ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا فما رجع منهم إلّا عشرة آلاف وكان إذا جاءه الخوف سقط واضطرب حتى يقعد إنسان على رجليه وآخر على صدره لئلا تتفرّق أعضاؤه ومفاصله. اهـ، ولاعجب فيه فكذلك جاء في الأمة المحمّدية أشخاص كثيرة، فمنهم الشيخ صالح المرّي رحمه الله ففي «فيض الحافظ في حكايات تسر السامع واللافظ» للمخدوم الأخير الفناني: كانت امرأة جميلة شابة يقال لها شعوانة وكان ذات صوت حسن وكانت نائحة ومغنية ولايكون في بصرة نعيا ولاسرور إلّا ولها فيه نصيب وقد جمعت مالا كثيرا وكانت لامثال في الفسق ببصرة وكانت تلبس ثوبا ثقالا وحلية عالية وكانت تمشي يوما مع جوار رومية وتركية فبلغت إلى بيت صالح المري وهو كان عالما وزاهدا وكان يذكر الناس ويعظهم في بيته والناس يبكون ويرفعون أصواتهم من الرقة وخشية الله فبلغت ثمه شعوانة فسمعت صوته وغضبت وقالت هناك ماتم ولا علم لي به فارسلت إليهم احدى جواريها فدخلت الجارية بينهم وسمعت كلام الله تعالى فما رجعت فأرسلت ثانية وثالثة

ورابعة فما رجعت واحدة ثم رجعت احديهن فاخبرتها بأن هناك ليس بنعي الأموات بل نعي العصاة فإنّهم يبكون من خشية الله تعالى فدخلت شعوانة على عزم السخرية والضحك فأبدل الله باطنها وأدركها برحمته فإذا نظرت إلى الصالح المري قالت عمري كلّ ضائع باطل وكيف يمكن الفرار من الله تعالى وإن كثر حلمه فأين الحياء ثم نادت وقالت يا إمام المسلمين هل يقبل الله عذر العاصين الهاربين، قال: نعم هذا الوعظ والوعد والوعيد كلّها لهم قالت ذنوبي أكثر من نجوم السماء وقطرات البحار قال لابأس يغفر الله لك وإن كان ذنوبك كمثل ذنوب شعوانة فصاحت وبكت كثيرا وخرّت مغشيا عليها فلمّا أفاقت قالت: يا إمام المسلين ها أنا شعوانة ثم جعلت ثيابها وحليتها ولبست كساء وصدقت بمالها وأغلقت بابها وأعتقت مماليكها دخلت بيتها فتعبد الله تعالى وتبكي على ذنوبها وتنوح وتقول يا حبيب التائبين وياغافر المذنبين ارحم فاقتي وذلي وضعفي وأكرمني بلقائك على هذه الحالة عاشت أربعين سنة ثم ماتت رحمها الله تعالى.اهـ، وفيه قصص فقد بيّنتها في كتابي «الدرة المضيئة»، المطبوعة من كاليكوت (وَأَعْلَمَهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ بِصَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ) قال الإمام القاري في شرح الشفا: (والمقام المحمود) لحديث أبي حاتم «يبعث الله النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تل فيكسوني ربي حلة خضراء فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ فَذَلِكَ المقام المحمود» انتهى. وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى.اهـ (وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ) أي يوم القيامة وقد ورد فيه أحاديث صحيحة وفي بيان اختصاصه صريحة.اهـ «شرح الشفا» (وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ) ذكر المؤلف رحمه الله أشياء ممّا اختصّ الله به رسول الله ﷺ، فمنها قوله واللواء المعقود، واللواء هو الراية التي يحملها قائد الجيش في الغالب؛ فرسول الله ﷺ يرفع له يوم القيامة لواء يحمله، وهذا اللواء يسمى بلواء الحمد، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد أي حمد الله جلّ وعلا، وهو: ذكر المحمود بصفات الكمال محبة وتعظيماً، فالنّبيّ ﷺ هو أعلى الناس حمداً لربه في ذلك الموقف، ويدل لذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره: أن النّبيّ ﷺ لمّا ذكر الشفاعة قال: «فأسجد فأحمد الله عزّ وجلّ بمحامد يفتحها علي لا أعلمها الآن، محامد يدركها ويعلمها في تلك الساعة، وفي ذلك الوقت»؛ ولذلك يعطى لواء الحمد ﷺ؛ لكونه أعظم الخلق حمداً لربه في ذلك الموقف. وهذا اللواء للعلماء فيه قولان: منهم من قال: إنه لواء

معنوي، ومنهم من قال : إنه لواء حقيقي، والصواب أنه لواء حقيقي؛ لأنّ الأصل فيما أخبر به النّبيّ ﷺ الحقيقة لاالمجاز، ولا تقل: كيف يكون حقيقياً، نقول: أمر الآخرة ليس ممّا تدرك العقول حقائقه وتتبين كيفياته، بل نؤمن به على ما جاء عن النّبيّ ﷺ دون أن نلج في كيفية ذلك، فإنّ النصوص قد أخبرت بألوية تكون يوم القيامة، ففي الصحيحين أنّ النّبيّ ﷺ قال: ينصب لكلّ غادر يوم القيامة لواء، يقال : هذه غدرة فلان، وهذا اللواء حقيقي، ولذلك يشار إليه ويقال : هذه غدرة فلان، وهذا اللواء الذي عقد للغادر لواء حقيقي يدرك، فما المانع من أن يكون لواء الحمد الذي ذكره النّبيّ ﷺ هو لواء حقيقي، وهذا هو الأصل؟! واختلف العلماء رحمهم الله في سبب اللّواء، فقيل: إنّ اللواء سببه أنه يفتح للنبي ﷺ من الحمد ما لايفتح لغيره، وقيل: إنّ هذا اللواء سببه موقف النّبيّ ﷺ في ذلك اليوم، حيث يفتح الله له من الفضل والمكانة والعمل ما ينفع به جميع الناس مسلمهم وكافرهم في الشفاعة في فصل القضاء؛ لأنه قد جاء في بعض الآثار: أنّ الكفار يطلبون الخلاص من موقف القيامة حتى ولو كان ذلك إلى النار؛ لأنّ الإنسان في الشدّة قد يتصور أنّ هذا أعلى ما يكون من العذاب، ويغيب عنه أنّ ما سيقبل عليه أعظم وأشد؛ ولذلك جاء في بعض الآثار: أنّ شدة الموقف على أهله تحمل الكفار أن يقولوا: ربّنا خلّصنا ولو إلى النار، ويظنون أنّ النار أهون من ذلك الموقف، وهي في الحقيقة أشد وأنكى، نسأل الله السلامة والعافية! والمراد أن النّبيّ ﷺ يحمده في ذلك الموقف كلّ أحد حتى الكفار، وهذا من معاني اللواء المحمود، وثم أقوال أخرى في سبب اللواء المحمود منها : أنّه لإجلاس الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ على العرش، والذي يظهر : أنّه لمّا له من المنزلة في ذلك الموقف، والفضائل العامّة التي تعم كلّ أحد، والخاصة التي تختصّ بها أمّته، وتختصّه هو ﷺ ، والناس كلّهم تحت لوائه ﷺ (وَالْكَرَمِ وَالْجُودِ) الكرم بفتحتين: الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره. والجود: إعطاء ما ينبغي شرعا لمن ينبغي أن يعطى؛ لاستحقاقه لأجل الصفة القائمة به؛ كالفقر.اهـ «منتهى السؤل» (اَلشَّهْرَ الثَّامِنَ) وهو شهر صفر (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ سُلَيْمَانُ عليه السلام) قال الإمام الدياربكري: روي أنّ معسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجنّ وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحوش .وفي المدارك وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة

الرسول ﷺ فقال هذه دار هجرة نبي يخرج في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه.اهـ «تاريخ الخميس» (وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ بِنَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ) أي خاتم الأنبياء والرسل (اَلشَّهْرَ التَّاسِعَ) وهو شهر ربيع الأول (أَتَاهَا فِي الْمَنَامِ عِيسَى الْمَسِيحُ عليه السلام) قال الفاسى في «مطالع المسرات»: و ضعف ابن حجر حديث: دفن عيسى عليه السلام مع نبينا صلى الله عليه و سلم؛ فالصحيح أنه يدفن عنده في بيته لا معه في قبره. و هو من أمة محمّد ﷺ وصحابى؛ لأنه اجتمع في حياته بالنبى ﷺ ليلة الإسراء، و حينئذ فهو أفضل الصّحابة لنبوته وقد ألغز التاج السبكى في ذلك حيث يقول:

من باتفاق جميع الخلق أفضل ... خير الصحاب أبى بكر و من عمر

و من علىّ و من عثمان و هو فتى ... من أمة المصطفي المختار من مضر

.اهـ تاريخ الخميس (وَقَالَ لَهَا إِنَّكِ قَدْ خُصِصْتِ بِمُظْهِرِ الدِّينِ الصَّحِيحِ وَاللِّسَانِ الْفَصِيحِ وَالنَّسَبِ الصَّرِيحِ) أي الكلام الجيّد والنسب الخالص، ومنه صلاة اللسان الفصيح للإمام أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه: اللهم صلّ على سيدنا محمّد النّبيّ المليح، صاحب المقام الأعلى واللسان الفصيح، وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم يا الله صلّ على سيدنا محمّد ومن والاه عدد ما تعلمه من بدء الأمر ومنتهاه، وعلى آله وصحبه وسلّم. الصّلاة والسلام عليك يا سيد المرسلين أنت لها ولكلّ كرب عظيم يارب فرّج عنا بفضل بسم الله الرحمن الرحيم.اهـ من كتاب «زاد السالكين لطريق رب العالمين من أوراد السادة الرفاعيين» لفضيلة الشيخ فواز الطباع الحسني (وَكلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ) من الأنبياء (يَقُولُ لَهَا فِي نَوْمِهَا يَاآمِنَة إِذَا وَضَعْتِ شَمْسَ الْفَلَاحِ وَالْهُدَى) ففيه تشبيه وإستعارة (فَسَمِّيهِ محمّدا) أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول الله ﷺ أنّ كلّ دابّة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقبلت حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لاينطق يومه ذلك ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا له في كلّ شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا. قال : وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولاريحا ولامغصا ولاما يعرض للنساء ذوات الحمل، وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن

أمه فقالت الملائكة إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيما فقال الله أنا له ولي وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه، فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: آتاني آت حين مر بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة إنّك قد حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدتيه فسميه محمّدا فكانت تحدث عن نفاسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرا عظيما فهالني ذلك فرأيت كأنّ جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كلّ رعب وكلّ وجع كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنا وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذوه من أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضّة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فولدت محمّدا ﷺ فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجدا قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيب عن وجهي وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمّد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمى فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه ثم تجلت عنه في السرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وإذا قائل يقول قبض محمّد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة ثم أقبلت سحابة اخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمّد الشرق والغرب وعلى مواليد النّبيّين وأعرضوه على كلّ روحاني من الجن والأنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى وأعمروه في أخلاق الأنبياء ثم تجلت عنه فإذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية وإذا قائل يقول: بخ بخ قبض محمّد ﷺ على الدنيا كلّها لم يبق خلق من أهلها

إلا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضّة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي.

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جدّه قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينا أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها إني رأيت الليلة كأنّ شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضرب بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا أظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم ساجدين وهي تزداد كلّ ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفي وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس ثم قال لأبي طالب لعلّك أن تكون هذا المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنّبيّ ﷺ قد خرج ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين. اهـ «الخصائص» للإمام السيوطي، وعن ابن إسحاق: قال: كانت آمنة بنت وهب... قال: فرأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضّة ويترشّح من عرق كالجمان أطيب من ريح المسك، وأنا أقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ، وعبد المطلب - زاد ابن هشام: ثم سميه محمّدا.اهـ «شرف المصطفي» للنيسابوري (فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهَا طَلْقُ النِّفَاسِ) الفاء معطوف على محذوف، معناه: أي وجع الولادة وتحرك الولد للخروج (وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ) أي ذكر ولاأنثى، والجملة حالية (بَسَطَتْ أَكُفَّ شَكْوَاهَا) أي لعدم تكافل الوالد ﷺ (إلى مَنْ) وهو الله تعالى (يَعْلَمُ سِرَّهَا وَنَجْوَاهَا) أي إسرار الحديث (فَإِذَا هِيَ) أي عند آمنة رضي الله عنها (بِآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْحُورِ الْحِسَانِ أَضَاءَ مِنْ جَمَالِهِنَّ الْمَكَانُ فَذَهَبَ عَنْهَا مَا تَجِدُ مِنَ الْأَحْزَانِ) أي من أحزان فقدان الوالد ﷺ، قال الإمام الزرقاني في شرح المواهب: إشارة إلى ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما من أنّ أمه ﷺ لمّا حملت به أتاها آت في منامها بعد ستة أشهر وقال لها: "يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمّدا واكتمي شأنك" فلمّا أخذني ما يأخذ النساء.. لم يعلم بي أحد وإني لوحيدة في منزلي في طرفه فسمعت وجبة عظيمه وأمرا عظيما هالني، فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح عليّ فؤادي فذهب عني الرعب وكلّ ما أجد ثم التفت فاذا نور غالب ونسوة طوال حولي فقلت من أين علمن بي وفي رواية "انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين" فبينا أنا كذلك وإذا أنا بديباج أبيض بين السماء والأرض وقائل يقول: خذاه من أعين الناس، ورجال في الهواء بأيديهم أباريق من فضّة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد، وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلّى الله عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فأخصبت إلى غير ذلك مما ذكروه. اه .

(يَا عَالِمَ السِّرِّ مِنَّا) تنسب هذه الأبيات لغير واحد من العلماء، وليست هذه الأبيات في نسخة العلامة محمّد نووي الجاوي حينما شرحه لشرف الأنام، لكن هذه الأبيات موجودة في نسخة شرف الأنام في المليبار، ومع ذلك أنّ هذه الأبيات شكاية إلى الله تعالى. ياالله نعيش هذه الأيام ابتلاء من ابتلاءات الله، فإنّ الابتلاء اجتمع فيه أهل الأرض جميعا بمختلف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم. والابتلاء سنّة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾. فالدنيا دار ابتلاء، لا دار استواء، فاعف عنّا ياالله. فقد قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾. وقال أيضا: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾. والمراد بعالم السرّ هو الله تعالى لأنّ الله تعالى يعلم السر والجهر. (لاَ تَهْتِكِ السِّتْرَ عَنَّا) أي لاتكشف سترنا للغير، وهذا من حسن الظن بالله تعالى، قال تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظنّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء. (وَعَافِنَا) من العافية (وَاعْفُ عَنَّا) أي كلّ عيوب وذنوب (وَكُنْ لَنَا) أي كن لنا عونا ومعينا في كلّ وقت وحين (حَيْثُ كُنَّا) سواء كنا في الدنيا أو البرزخ

(صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَاعَلَمَ الْهُدَى) هذا دعاء بزيادة المراتب العلية (مَادَامَ طَيْرٌ) ما: حرف مصدري مبني على السكون. ودام: فعل ماض ناقص مبني على الفتح الظاهر على آخره. وطير: اسم ما دام مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. يغرد: خبر

مادام، والجملة منصوبة (فِي الْأَرَاكِ) اسم شجرة يستاك به، وهو من سنن سيد المرسلين، ومتعلق بما يأتي (يُغَرِّدُ) غرّد الطائر أو الإنسان: رفع صوته في غنائه وطرب به. ثم ذكر الناظم، إثني عشر بيتا من بحر الكامل وأجزاءه متفاعلن فقال (وُلِدَ الْحَبِيبُ وَخَدُّهُ مُتَوَرِّدُ) أي ولد سيدنا محمّد ﷺ وخدّه، أي جانب وجهه متورّد أي الحمرة مع الصفرة، والمراد به أنّ خدّه مزيّن بزينة عظيمة (وَالنُّورُ) أي النور المحمّديّ (مِنْ وَجَنَاتِهِ) الوَجْنَةُ: خدّ، جزء لحميّ موجود على جانبي الوجه، في أسفل العين وبين الأنف والأذن، وهو ما ارتفع من الخَدّ (يَتَوَقَّدُ) أي يتلألأ، يقال: توقَّدت عيناه: لمعت وأشرقت (وُلِدَ الْحَبِيبُ وَمِثْلُهُ لاَيُولَدُ) أي لايولد أبدا (وُلِدَ الْحَبِيبُ وَخَدُّهُ مُتَوَرِّدُ) يقال تورد الخد: أحمر فصار بلون الورد (وُلِدَ الَّذِي) وهو ﷺ (لَوْلاَهُ) أي خلقه ﷺ (مَاعُشِقَ) مانافية، وفعل مجهول، والنقا نائب فاعل (النَّقَا) والنَّقَا الكثيبُ من الرَّمْل. والجمع: أَنقَاءٌ. والمراد هنا المحبوبة في ذلك المكان، أوموضع بين مكة والمعلاة معناه: ماعشق المحبوب بمحبوبته في النقا، وهو من استعمال البلاغة الشعرية (كلّا) أي حقّاً (وَلاَ ذُكِرَ الْحِمَى) وهو أرض الحرام في مكة (وَالْمَعْهَدُ) أي الكعبة المشرفة. معنى البيت: لم يذكر الله تعالى الكعبة وأرض الحرم إلّا مع الرسول ﷺ أو إلّا له (وُلِدَ الَّذِي لَوْلاَهُ مَاذُكِرَتْ قُبَا) أي لولاه لايكون مسجد القباء (أَصْلاً) أي ألبتة (وَلاَ كَانَ الْمُحَصَّبُ) المُحَصَّبُ: مَوْضِعُ رمْي الجمارِ بِمنَى (يُقْصَدُ) أي لايقصد ولايأتي أحد إليه.

(هَذَا الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ) يريد به المؤلف قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ (هَذَا الَّذِي) هو ﷺ (مَنْ قَدُّهُ) يقال: قَدَّ الثوْبَ شقّهُ طولاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾. والمراد بهذا الكلام إشارة إلى الواقعة المضرّة في الطائف في بدء الدعوة، أي شقّ جسده الشريف بالدّم. والقصة: فقد مكث النّبيّ ﷺ في الطائف عشرة أيام يدعوهم إلى الله فما قبلوا وما استجابوا لدعوته ثم اجتمع له سفهاؤهم وعبيدهم يطردونه من أرضهم ويرمونه بالحجارة ومولاه زيد بن حارثة ﷺ، يدفع عنه أذاهم قدر استطاعته؛ حتى سالت الدماء من قدميه الشريفتين، وورد في السيرة أنه دعا بعد ذلك دعاءه المشهور قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضَعْف قُوَّتِي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكلني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن

تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سَخَطُك، لك العُتْبَى حتّى ترضى، ولاحول ولاقوة إلا بك».

اهـ «زاد المعاد»، وقال صاحب «زاد المعاد» عن هذا الحديث، حديث مشهور، وأورده الحافظ ابن كثير في بدايته (يَاصَاحِ) أي ياصاحبي (غُصْنٌ) وهو تشبيه بليغ، أي كالغصن، كما يقال زيد أسد. خبر لمبتدأ محذوف وهو ﷺ (أَمْلَدُ) أي ناعم ليّن، صفة لغصن. نعم مراد المصنّف أنّ تشبيهه ﷺ أمر معجز (هَذَا) أي هذا النبيّ الكريم (الَّذِي) أي من الذين (خُلِعَتْ عَلَيْهِ) أي ألبست عليه (مَلاَبِسٌ) أي مع فقره ومسكنته ﷺ ألبس الله من أحسن الملابس مع المهدى من الكبراء، فقد ورد في السنة والآثار العديد من الملابس التي كان النّبيّ ﷺ يلبسها، حاصل ما جاء فيها أنه ﷺ كان يلبس ما يتيسر من اللباس الذي كان معروفا في قومه، فلا يرد موجودا لائقا به، ولا يتكلّف مفقودا، ولا يقتصر على لبسة واحدة، بل يلبس من أنواع القماش، ومن أنواع الثياب ما كان ساترا جميلا منها، حلالا، وقد جمع العلماء الأجلاء خلاصة ما ورد في الأحاديث من وصف ملابس النّبيّ ﷺ، كالشيخ ابن القيم الحنبلي، ننقله هنا مع شيء من الاختصار، ولا نُطوّلُ على القارئ الكريم بذكر الأحاديث الواردة في ذلك، فمحلها كتب السنة، يمكن الرجوع إليها في كتب اللباس والزينة من كتب الآحاديث. يقول ابن القيم: "كانت له عمامة [وهي: ما يُلفُّ على الرأس ، كما هو اللباس الشعبي في بعض البلاد اليوم كاليمن والسودان] تُسمى: السحاب، كساها علياً ، وكان يلبَسُها ويلْبَسُ تحتها القَلَنسُوة، وكان يلبَس القلنسُوة بغير عمامة، ويلبَسُ العِمامة بغير قلنسُوة، وكان إذا اعتمَّ أرخى عِمامته بين كتفيه، كما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على المنبرِ وَعَلَيهِ عِمَامَة سَوْدَاءُ قَدْ أرخَى طَرفَيهَا بينَ كَتِفَيْهِ ، وفي مسلم أيضاً عن جابر بن عبد اللّه أنّ رسول اللّه ﷺ: دَخَلَ مَكَّة وَعَلَيْهِ عمَامَةٌ سَودَاء، ولم يذكر في حديث جابر: ذؤابة ، فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائماً بين كتفيه. وقد يقال: إنه دخل مكة وعليه أهبةُ القتال والمِغفَرُ على رأسه، فلبسَ في كلّ مَوطِنٍ ما يُناسبه. وروى الإمام أحمد وأبو داود بإسنادهما عن أنس بن مالك، أنّ ملك الروم أهدى للنبي ﷺ مُسْتَقَةً مِنْ سُنْدُسٍ ، فلبسها، فَكَأَنِّي أنظرُ إلى يَدَيْه تَذَبْذَبانِ. وفي «صحيح مسلم» عن أسماء بنت أبي بكر قالت: هذه جبّة رسول الله ﷺ، فأخرجت جبةَ طيالِسة كَسِروانية لها لبنةُ دِيباج، وفرجاها مكفوفان بالديباج ، فقالت: هذِهِ كانت عند عائشة حتى قُبِضَت، فلمّا قبضت قبضتُها، وكان النّبيّ ﷺ يلبَسُها ، فنحنُ نَغْسلهَا للمرضى تسْتَشفي بها. وفي

النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي ﷺ بُردة من صوف ، فلبسها، فلمّا عَرِق فوجد رِيحَ الصوف، طرحها، وكان يُحبُ الرّيحَ الطَّيِّب. وفي «سنن أبي داود» عن عبد اللّه بن عباس قال: لَقَدْ رأيتُ عَلَى رسول اللّه ﷺ أحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ. وفي «سنن النسائي» عن أبي رِمْثَةَ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَخطُبُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخضَرَانِ. ومن أراد التوسع فلينظر: «زاد المعاد» (وَنَفَائِسٌ) أي أمور عجيبية في عيشه وفي ملابسه وفي خَلقه وفي خُلقه، فمجموع هذه الأوصاف العجبية حين جمعها في ﷺ، فكان ﷺ من النفائس حين ينظر (فَنَظِيرُهُ لاَ يُوجَدُ) أي مثله لايوجد في العالم أبدا، فكلّ من الأشياء في العالم خُلق من نوره ﷺ .

(هَذَا الَّذِي) أي هذا النّبيّ العظيم من الذين (قَالَتْ مَلاَئِكَةُ السَّمَا) أي أقرّت الملائكة الساكنين في السماء شرفه ﷺعلى الكمال (هَذَا مَلِيحُ الْكَوْنِ) أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لمّا حضرت ولادة آمنة.. قال الله لملائكته افتحوا أبواب السماء كلّها وأبواب الجنان كلّها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشّر بعضها بعضا، وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلّا حضر وأخذ الشيطان فغل سبعين غلا وألقي منكوسا في لجة البحر الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرون ولادة محمّد ﷺ وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمّد ﷺ وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ولا خوف إلا عاد أمنا. فلمّا ولد النّبيّ ﷺ.. امتلأت الدنيا كلّها نورا وتباشرت الملائكة وضرب في كلّ سماء عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء قد رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء قيل هذاما ضرب لك استبشارا بولادتك وقد أنبت الله ليلة مولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين الف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكلّ أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلّها وأمّا اللات والعزى فإنهما خرجا من خزانتهما وهما يقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها وأما البيت فأياما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد علي نوري الآن يجيئني زواري الآن أطهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيّام ولياليهن وهذا أوّل علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ اهـ «الخصائص» للإمام السيوطي. (هَذَا أَحْمَدُ) أي هذا النّبيّ

الكريم مضيئ الكون بنوره حين ولادته ﷺ، وحين تنزل الكتب والصحف للأنبياء قبله ﷺ، وأيضا: هذا النّبيّ العظيم المذكور في التوراة والإنجيل بوصفه "أحمد"، وعندهم أيضا، الوقارة العظيمة كماروى الإمام الحاكم النيسابوري في المستدرك برواية صحيحة عن جابر ﷺ: قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته مشينا قدامه وتركنا خلفه الملائكة. وروى أيضا عن جابر برواية صحيحة: قال: قال رسول الله ﷺ: لاتمشوا بين يدي ولاخلفي فإن هذا مقام الملائكة (إِنْ كَانَ مُعْجِزُ يُوسُفٍ بِقَمِيصِهِ) أي لمّا أظهر الله تعالى بواسطة قميص سيدنا يوسف عليه السلام، المعجزة العظيمة في زمانه، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾. أي فصار عين أبيه يعقوب عليه السلام أصح العينين، فصارت تلك المعجزة بالنسبة إليه ﷺ قاصرة (تَا اللَّهِ) من القسم (ذَا الْمَوْلُودُ) أي هذا المولود (مِنْهُ) أي يوسف عليه السلام (أَزْيَدُ) أي أفضل وأزيد من معجزة يوسف عليه السلام (أَوْ) بمعنى الواو المستأنف (كَانَ إِبْرَاهِيمُ أُعْطِيَ رُشْدَهُ) أي أعطى الله تعالى لإبراهيم عليه السلام الرشد العظيم في صغره في كلّ المجالات سيّما المعاندة والعنف للأصنام، قال الإمام الدياربكري: روي أنّ ابراهيم عليه السّلام ولد في زمن نمرود ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وكان مولده ليلة الجمعة ليلة عاشوراء لمضيّ ألف واحدى وثمانين سنة من الطوفان. وفي «معالم التنزيل» قال أهل التفسير ولد ابراهيم عليه السّلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان نمروذ أوّل من وضع التاج على رأسه وتجبر وطغى في الأرض ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه سيولد في بلدك في هذا العام غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء.

وقال السدّى رأى نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما نور ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وزوال ملكك وأهل بيتك على يديه فأمر بذبح كلّ غلام يولد في ناحيته تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كلّ عشرة رجلا فإن حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بإبراهيم. وقال محمّد بن إسحاق بعث نمروذ إلى كلّ

امرأة حبلى بقريته فحبسها إلّا ما كان من أمّ إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السنّ لم يعرف الحمل في بطنها.

وقال السدّى خرج نمروذ بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوّفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه إلّا آزر فبعث إليه ودعاه وقال له إنّ لي حاجة أحب أن أوصيك بها ولا أبعثك إلّا لثقتى بك فأقسم عليه أن لا يدنو من أهله فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على أهلى فنظرت إليهم فلما نظر إلى أمّ ابراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت بإبراهيم ، قال ابن عباس لما حملت أمّ ابراهيم قالت الكهان لنمروذ إن الغلام الذى أخبرناك به قد حملت أمّه الليلة به فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أمّ ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه وأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسدّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمّه تختلف إليه فترضعه وقال محمّد بن إسحاق لمّا وجدت أمّ ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع للمولود ثم سدّت عليه فم المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص في ابهامه يقال ان تلك المغارة في قرية برس من بلاد الكوفة.

روى أن أمّ إبراهيم قالت ذات يوم لا نظرنّ إلى أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن إصبع لبنا ومن إصبع عسلا ومن إصبع تمرا ومن اصبع سمنا. وقال محمّد بن إسحاق كان آزر قد سأل أمّ ابراهيم عن حملها ما فعل به قالت قد ولدت غلاما فمات فصدّقها وسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم في المغارة الأخمسة عشر شهرا حتى قال لأمّه أخرجينى فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال ان الذى خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذى مالي إله غيره وكانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب وفي رواية كانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون أن الأمور كلّها إليها ثم نظر إلى السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربى على وجه الاستفهام الإنكاري بحذف أداته

ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فقال لاأحب الآفلين. اهـ «تاريخ الخميس» (تَاللَّهِ ذَا الْمَوْلُودُ مِنْهُ أَرْشَدُ) أي والله هذا المولود أرشد من إبراهيم عليه السلام في كلّ الأشياء، ولذا صارت قلوب العالم موهوبة إليه ﷺ، وأيضا اختصَّ الله النّبيّ ﷺ بأشياء عن سائر الانبياء، ذكره الأئمة في كتبهم مطولة (يَامَوْلِدَ الْمُخْتَارِ) أي ﷺ (كَمْ لَكَ مِنْ ثَنَا) أي كم من ثناء لك يارسول الله، ليس يعدّ (وَمَدَائِحٍ تَعْلُو) أي مدائح ترتفع على العالم (وَذِكْرٍ يُوجَدُ) أي فيك يارسول الله في كلّ وقت وحين، ويقول الله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (يَاعَاشِقِينَ تَوَلَّهُوا فِي حُبِّهِ) أي كونوا أيها المعشوقون، سكارى في محبّته ﷺ، فمنه: فالصحابي الذي روي أنه قتل أباه هو: أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، والذي ورد أنه قتله في غزوة بدر، روى الطبراني والحاكم والبيهقي أن أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر، جعل يتصدى له، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلمّا أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فنزل قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]. (هَذَا هُوَ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ الْمُفْرَدُ) أي لامثل له، وهذا هو المفرد. (ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيّ وَآلِهِ فِي كلّ يَوْمٍ مَاضِيْءٍ وَيُجَدِّدُ) أي كلّ آن ووقت من أوّل الدنيا إلى آخر الدنيا .

(فَوَضَعَتِ الْحَبِيبَ محمّدا ﷺ وَهُوَ مُكَحَّلُ الْعُيُونِ) المكحّل: ما يجعل به الكحل في العين، جمع: مكاحل، والمراد: وُلد مكحولاً (مَقْطُوعُ السُّرِّ) أي مقطوع القلفة على خلاف المواليد في قطع القوابل سِرارهم المتصلة بأمهاتهم (مَخْتُونٌ) وهو مختون، أي ولد ﷺ مختونا، ففي «عيون الأثر» لابن سيد الناس: وولد ﷺ معذورا مسرورا أي مختونا مقطوع السرة ووقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسباحة كالمسبّح بها. حكاه السهيلي.اهـ، وفي «الخصائص الكبرى»: أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس عن النّبيّ ﷺ أنه قال من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي وصححه الضياء في «المختارة» وقال ابن سعد أنا يونس بن عطاء المكي حدّثني الحكم بن أبان العدني حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال ولد النّبيّ ﷺ مختونا مسرورا وأعجب ذلك عبد

المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن أخرجه البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر.اهـ وفي «شرح المولد البرزنجي»: وولد ﷺ نظيفا مختونا مقطوع السّرّ بيد القدرة الإلهيّة، طيّبا دهينا مكحولة بكحل العناية عيناه.اهـ (أَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَطَافُوا بِهِ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَعَرَّفُوا بِهِ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَالْبِحَارِ) مثاله ما في «المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية»: وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه «المولد» - كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس: لما ولد ﷺ قال في أذنه رضوان خازن الجنان: أبشر يا محمّد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا.اهـ (وَرَجَعُوا بِالْمُفَضَّلِ عَلَى الْكَوْنَيْنِ) أي رجع الملائكة بالنّبيّ ﷺ، المفضّل على أهل الكونين الدنيا والآخرة (إِلَى أُمِّهِ آمِنَةَ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ) بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ (خَفَقَتْ فِي الْأَكْوَانِ) أي صوّتت الموجودات في الأكوان (أَعْلَامُ عُلُومِهِ) أي علامات أخباره ﷺ (دُقَّتِ الْبَشَائِرُ) أي تتابعت تبشيراته ﷺ (لِقُدُومِهِ) أي مشير إلى ولادته ﷺ (جَاءَ الْهَنَا زَالَ الْعَنَا) اي جاء الفرح والسرور وزال المشقة والتعب، بولادته ﷺ (حَصَلَ الْغِنَى) أي غنى النفس (نِلْنَا الْمُنَى) أي ماتمنّى (طَابَتِ الْقُلُوبُ) أي إنشرحت الفؤاد (غُفِرَتِ الذُّنُوبُ، سُتِرَتِ الْعُيُوبُ) اي سترت عيوب الشرك (كُشِفَتِ الْكُرُوبُ بِلِقَاءِ سَيِّدِنَا محمّد ﷺ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ).

[الفرق بين الخلّة والمحبّة وبأيهما يوصف النّبيّ ﷺ]

قال الإمام الكلاباذي: وقد تكلّم شيوخ الصوفية في الخلة والمحبة، فشرف بعضهم الخلة ، وشرف الأكثرون المحبة، وقالوا: كان إبراهيم عليه السلام خليل الله، ومحمّد ﷺ حبيب الله، وتكلّموا فيه بكلام كثير. وقد ورد الخبر بذلك. والخلة بمعنى، والمحبة بمعنى آخر، والمحبة: هي الإيثار ، والموافقة ، والإقبال له، والخلة هي على المحبوب، وخاصته الوجد بالمحبوب، والرقة له بعد الميل إليه، والإقبال عليه، والإيثارله، والخلة هي :الاختصاص، والمداخلة، يقال: خلل أصابعه إذا أدخل بعضها في بعض، وخلل لحيته إذا أدخل أصابعه.اهـ وفي «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح»: أن الخلة حاصلة لنبينا ﷺ بل كانت فيه أتم وأكمل وليست مخصوصة بإبراهيم ﷺ ولهذا قال الإمام الغزالي: الخلة أكمل من المحبة، وهو ﷺ جامع بين مرتبتي الخلة والمحبة.اهـ، وإلى

هذا نحا الإمام النووي في شرح مسلم، وقال شيخ الاسلام زكريا بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي: واختلف في الخلة فقيل: هي الاستصفاء، وقيل: صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار، وقيل: المحبة، ومعناها: الإسعاف، والإلطاف، فعليه الخلة والمحبة، متساويتان، لكن خُصَّ إبراهيم بالخلة، ونبينا بالمحبة، وقيل: درجة الخلة أرفع لخبر: "لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر" والأكثر على أن درجة المحبة أرفع؛ لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم. ومرَّ الحديث في كتاب: الصّلاة، في باب: الخوخة والممر في المسجد.اهـ «منحة الباري بشرح صحيح البخاري»، وقال الإمام عبد الملك بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي المتوفي سنة ٤٠٧ هـ. كذلك اتخذ الله محمّدا حبيبا وخليلا، ومن جمع له بين الخلة والمحبة كان أفضل ممن خص بالخلة، والحبيب ألطف من الخليل، ولاشك أن الأنبياء كلّهم عليهم السّلام وأممهم تحت رايته ﷺ يوم القيامة، وهو يشفع لهم.اهـ «شرف المصطفي»، فالرسول أرفع وأفضل من إبراهيم عليه السلام، فجواب الإمام الخركوشي وموقف شيخ الاسلام هو أحسن (حَصَلَ الْقَصْدُ وَالْمُرَادُ وَصَفَا الْوَقْتُ وَالْوِدَادُ) أي المحبة (وَبِرُؤْيَا محمّد فَرِحَتْ أَنْفُسُ الْعِبَادِ) أي فرحت أنفس الأهل والأقارب والناس ثم لقّب"الأمين"، مشيرا إلى تلك الواقعات، ولم يسمّ أحدا به قبلُ وبعدُ من حيث الخصال الحميدة. وهذه الأبيات للأنس في مجالس المولد (رَمَقَتْ) أي أطالت النظر، يقال رمَق الشَّيءَ: نَظر إليه وأتبعه بصره يرقبُه ويتعهَّدُه (آمِنَةُ سَيِّدَنَا محمّدا ﷺ بِالْبَصَرِ) أي عجبا بولدها (فَإِذَا فَرْقُهُ) أي فضوءه ﷺ ونوره (كَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) أي إذا أشرق، وليس هذا تشبيها لكن التمثيل (وَشَعْرُهُ كَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) أي ستر بظلمته (وَاعْتَكَرَ) أي اشتدّ ظلمه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (وَوَجْهُهُ أَضْوَأُ مِنَ الشَّمْسِ) وبه يعلم ليس هذا تشبيها بل تمثيل (وَأَنْوَرُ) أي أضوأ من كلّ شيئ حادث (أَمَا سَمِعْتَ) من الآحاديث ومواقف الأئمة (كَيْفَ انْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ) وهذا إشارة إلى معجزة انشقاق القمر، وهي التي أيَّد الله بها نبيه محمّدا ﷺ، معجزة انشقاق القمر إلى شقّين، حتى رأى بعض الصّحابة جبل حراء بينهما. وكان وقوع هذه المعجزة قبل الهجرة النبوية عندما طلب منه كفّار مكة آية تدل على صدق دعوته ، ففي الحديث: (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما) متفق عليه، وعن ابن مسعود ﷺ قال: (انشق القمر على عهد

رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا) متفق عليه. وعن ابن مسعود ﷺ قال: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر. ورآها من دولة الهند ملك زمودن كما قال العلامة أحمد كويا الشالياتي في «شرح الهمزية» (أَزَجُّ) وهو (الْحَاجِبَيْنِ) بمعنى مقوّس الحاجبين مع وفور الشعر وطوله في طرفه وامتداده، أودقيقهما مع طول (أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ) أي العينان ذو كحل كمامرّ الحديث (أَقْنَيْ الأَنْفِ) أي طويله مع ارتفاع في وسطه وله نور يعلوه، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أقني الأنف. رواه ابن عساكر (دَقِيقُ الشَّفَتَيْنِ) أي فليس فيهما غلظ، ففي «البيهقي» و«المواهب»: وكان ﷺ أحسن عباد الله شفتين، وفي «مولد ابن الجوزي»: وشفتين كالعقيق وثغر حكي لؤلؤا منثورا (كَأَنَّمَا يَتَبَسَّمُ) ففي حديث: تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ (عَنْ نَضِيدِ الدُّرَرِ) نَضِيدٌ: صفة ثابتة من نضَدَ: منضود؛ مرتّب، مضموم بعضه إلى بعض باتّساق وهو مُنَسَّقٌ، مُرَتَّبٌ. والدرر: اللؤلؤة العظيمة، وهو من إضافة الصفة للموصوف أي عن الدرر المنضودة (عُنُقُهُ كَأَنَّهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ) أي عنقه ﷺ لا هو طويل ولاقصير، وكأنه إبريق الفضة عندما يشوبه الذهب في صفائه ونقائه إذا نزل شعاع الشمس عليه، يُرى متلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وإذا أخفت الثياب بعضًا منه، رُئِي له بريق كبريق القمر ليلة البدر، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان عنق رسول الله ﷺ إبريق فضة. رواه البيقي في الدلائل (وَلَهُ جِيدٌ فَاقَ عَلَى جِيدِ الْغَزَالِ) وله عنق مشرق، فعن عائشة ﷺ قالت: كان أحسن عباد الله عنقًا، لاينسب إلى الطول ولاإلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوب ذهبًا، يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيَّب الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر. رواه البيهقي وابن عساكر في «التاريخ»، وعن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال: كأن عنق رسول الله ﷺ إبريق فضة، كأن الذهب يجري في تراقيه. رواه البيهقي، وعن مقاتل بن حيان أنه قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم: جدَّ في أمري ولا تهزل إلى أن قال: صدقوا النّبيّ الأمي العربي كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه. رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة» و«التاريخ» (وَقَدُّهُ) أي قامته (أَرْشَقُ) أي اخف وألين (مِنَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ) أي المبتلّ والطري اللين، قال الدكتور علي جمعة في بعض كلامه: إن طول النّبيّ ﷺ كان يتراوح بين ١٨٥سم إلى ١٩٠ سم، إذا صار بين أصحابه كان أطوالهم، ممشوق الجسد، مفتول العضلات .والدليل

على ذلك أنه جاءه مصارع يدعى "روكانا" لايستطيع أحد أن يهزمه لكن سيدنا محمّد استطاع أن يتمكن منه ثلاث مرات. ففي كتب السيرة النبوية: كان النّبيّ ﷺ حسن الجسم، معتدل الخَلق، جميل البدن، منتظم الأعضاء، متسق القوام، مربوع القامة، غير مفرط الطول، ليس بالطويل ولا القصير، بيد أنه إلى الطول أقرب، لا شذوذ في صورته، ولا تنافر في هيئته، إذا ماشى أحدًا من الناس طاله، وإذا اكتنفه الرجلان الطويلان طالهما، فإذا فارقاه كان وسطًا بين الطول والقصر، وإذا جلس إليه أحد كان كتفه ﷺ أعلى من الجالس، ولقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، فرُوِيَ عن البراء بن عازب ﵁ أنه قال: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا. كما رُوِي أنه كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل ولا بالقصير. ورُوِي أيضًا أنه كان رِبْعة من القوم؛ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، حسن الجسم (إِذَا خَطَرَ) أي ظهر أو تحرّك (بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ) وردت صفة خاتم النبوة في السنة أنه كان بارزاً في حجم بيضة الحمامة، بين كتفي النّبيّ ﷺحوله خِيلان [جمع خال : نقطة تضرب إلى السواد وتسمى شامة]، وعليه شعرات مجتمعات. روى مسلم عن جابر بن سمرة ﵁ قال: "رأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده". أَيْ: يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ سَائِرِ أَعْضَائِهِ. وروى مسلم أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: رَأَيْتُ النّبيّ ﷺ وَأَكلتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا أَوْ ... فَنَظَرْتُ إلى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمْعًا عَلَيْهِ خِيلانٌ كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ. وروى الترمذي في الشمائل عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: فمسحت ظهره، فوقعت أصابعي على الخاتم. وسئل: ما الخاتم؟ قال: شعرات مجتمعات.

[أقوال العلماء في خاتم النبوة]

قَالَ الحافظ في «الفتح» عن الإمام القرطبي: اتَّفَقَتْ الأَحَادِيث الثَّابِتَة عَلَى أَنَّ خَاتَم النُّبُوَّة كَانَ شَيْئًا بَارِزًا عِنْد كَتِفه الأَيْسَر،قَدْره قَدْر بَيْضَة الْحَمَامَة ولم يثبت أن الخاتم كان مكتوباً عليه لفظ الجلالة أو(محمّد) أوغير ذلك من الكلمات. وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ كَأَثَرِ مِحْجَم, أَوْ كَالشَّامَةِ السَّوْدَاء أَوْالْخَضْرَاء, أَوْ مَكْتُوب عَلَيْهَا "محمّد رَسُول اللَّه" أَوْ "سِرْ فَأَنْتَ الْمَنْصُور" أَوْ نَحْو ذَلِكَ، فَلَمْ يَثْبُت مِنْهَا شَيْء .... وَلا تَغْتَرّ بِمَا وَقَعَ مِنْهَا فِي «صَحِيح اِبْن حِبَّانَ» فَإِنَّهُ غَفَلَ حَيْثُ صَحَّحَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ. قال الإمام القرطبي في «المفهم»: ولذلك لما حصل عند سلمان الفارسي ﵁ العلم بصفاته،

وأحواله، وعلاماته وموضع مبعثه، ودار هجرته؛ جدَّ في الطلب حتى ظفر بما طلب، ولما لقيه جعل يتأمل ظهره، فعلم النّبيّ ﷺ :أنه يريد أن يقف على ما يعرفه من خاتم النبوة، فنزع رداءه من على ظهره ، فلما رأى سلمان الخاتم أكبَّ عليه يقبله ، وهو يقول : أشهد أنك رسول الله. وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ: أن النّبيّ ﷺ لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام ، ونزلوا بصومعة راهب كان هنالك ، وقد سُمِّي في غير هذا الخبر(بحيرًا)، فخرج إليهم ذلك الراهب، وكان قبل لا يخرج إليهم ، ولا يلتفت إليهم ، فلما خرج جعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ، ولا شجر إلا خرَّ ساجدًا له ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروفه مثل التفاحة، وذكر الحديث بطوله، وقال في آخره : حديث حسن غريب. وعلى هذا؛ فخاتم النبوة معناه : علامةُ نبوَّةِ محمّد ﷺ .اهـ.

[هل هو موجود عند الولادة]

فللعلماء خلاف في ذلك، فقد جاء في «فتح الباري» لابن حجر ...: ومقتضى هذه الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجودا حين ولادته ففيه تعقيب على من زعم أنه ولد به، وهو قول نقله أبو الفتح اليعمري بلفظ: قيل ولد به، وقيل حين وضع، نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ، والذي تقدم أثبت، ووقع مثله في حديث أبي ذر عند أحمد والبيهقي في «الدلائل» وفيه: وجعل خاتم النبوة بين كتفي كما هو الآن. وفي حديث شداد بن أوس في «المغازي» لابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر: وأقبل وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه . الحديث، وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع في موضعين من جسده، والعلم عند الله .اهـ، واختار العلامة الزرقاني أن وضع الخاتم تكرر، فقال في «شرح المواهب اللدنية» : واختلف في جواب قول السائل: هل ولد وهو به أووضع بعد ولادته على قولين؟ فقيل: ولد به، نقله ابن سيد الناس، ورده في «الفتح» بأن مقتضى الأحاديث السابقة أن الخاتم لم يكن موجودًا حين ولادته، قال: ففيها تعقب على من زعم أنه ولد به، واختلف القائلون بالثاني، فقيل: حين ولد، نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ، وورد به حديث ابن عباس عند أبي نعيم

وغيره وفيه نكارة، قيل: عند شق صدره وهو في بني سعد، وورد في حديث عتبة بن عبد عند أحمد والطبراني، وقطع به عياض، قال الحافظ : وهو الأثبت.

وفي حديث عائشة المار قريبًا أنه عند المبعث، وعند أبي يعلى وابن جرير الحاكم في حديث المعراج من حديث أبي هريرة: ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، وطريق الجمع أن الختم تكرر ثلاث مرات في بني سعد، ثم عند المبعث، ثم ليلة الإسراء، كما دلت عليه الأحاديث، ولا بأس بهذا الجمع، فإن فيه إعمال الأحاديث كلّها، إذ لا داعي لرد بعضها وإعمال بعضها، لصحة كلّ منها، وإليه أشار الشامي . كما مر . وأما رواية بعد الولادة فضعيفة، وأما أنه ولد به فضعيف أيضًا يطلب زاعمه، بدليله .انتهى.

وأما بخصوص قصة اليهودي، فقد قال الإمام السيوطي في الخصائص : أخرج ابْن سعد وَالْحَاكِم وَالْبَيْهَقِيّ وَأَبُو نعيم عَن عَائِشَة قَالَت: كَانَ يَهُودِيّ قد سكن مَكَّة يتجر بهَا فَلَمَّا كَانَت اللَّيْلَة الَّتِي ولد فِيهَا رَسُول الله ﷺ قَالَ فِي مجْلِس من قُرَيْش يَا معشر قُرَيْش هَل ولد فِيكُم اللَّيْلَة مَوْلُود؟ فَقَالَ الْقَوْم وَالله مَا نعلمهُ، قَالَ احْفَظُوا مَا أقول لكم: ولد هَذِه اللَّيْلَة نَبِي هَذِه الْأمة الْأَخِيرَة بَين كَتفيهِ عَلامَة فِيهَا شَعرَات متواترات كَأَنَّهُمْ عرف فرس لَايرضع لَيْلَتَيْنِ وَذَلِكَ أن عفريتا من الْجِنّ أَدخل إصبعه فِي فَمه فَمَنعه الرَّضَاع فتصدع الْقَوْم من مجلسهم وهم يتعجبون من قَوْله، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى مَنَازِلهمْ أخبر كلّ إنسان مِنْهُم أَهله، فَقَالُوا: قد ولد لعبد الله بن عبد الْمطلب غُلَام سموهُ محمّدا، فَالتقى الْقَوْم حَتَّى جَاءُوا الْيَهُودِيّ فأخبروه الْخَبَر،قَالَ فاذهبوا معي حَتَّى أنْظُر إليه، فَخَرجُوا بِهِ حَتَّى أدخلوه على آمِنَة، فَقَالَ: اخْرُجِي إِلَيْنَا ابْنك، فأخرجته وكشفوا لَهُ عَن ظَهره فَرَأى تِلْكَ الشامة، فَوَقع الْيَهُودِيّ مغشيا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاق قَالُوا: وَيلك مَا لَك! قَالَ: وَالله ذهبت النُّبُوَّة من بني إسرائيل أفرحتم بِهِ يَا معشر قُرَيْش؟ أما وَالله ليسطون بكم سطوة يخرج خَبَرهَا من الْمشرق إِلَى الْمغرب .انتهى. وهذه القصة حسنها الحافظ ابن حجر في الفتح، وعزاها إلى يعقوب بن سفيان، وقال الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» بعد إيرادها : وهذا الحديث يدل على أنه ولد بخاتم النبوة بين كتفيه.وخاتم النبوة: من علامات نبوته التي كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها، وقد روي :أن هرقل بعث إلى النّبيّ بتبوك من ينظر له خاتم النبوة ثم يخبره عنه، وقد روي من حديث أبي ذر وعتبة بن عبيد عن النّبيّ ﷺ :أن الملكين اللذين شقا صدره وملآه حكمة هما اللذان ختماه بخاتم النبوة وهذا يخالف

حديث عائشة هذا، وقد روي أن هذا الخاتم رفع بعد موته من بين كتفيه، ولكن إسناد هذا الخبر من الضعف (فَيَا فَوْزَ مَنْ عَايَنَهُ وَنَظَرَ) إلى وجهه ﷺ، وفي بعض النسخ: فيا سعد، بدل فوز، والفاء للفصيحة (فَهَذِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بَعْضِ أَوْصَافِ جَمَالِهِ وأَمَّا كلّ كَمَالِهِ فَلاَ يُحَدُّ لِوَاصِفٍ وَلاَ يُحْصَرُ) وإليه أشار الإمام البوصيري:

فإنّ فضل رسول الله ليس له ۞ حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

(فِي مِثْلِ حُسْنِكَ) يا أشرف الخلق ﷺ، متعلق بما يأتي (تُعْذَرُ الْعُشَّاقُ) أي تقبل عذر العشاقين (وَتُمَدُّ خَاضِعَةً) حال من نائب الفاعل (لَكَ الأَعْنَاقُ) متعلق بتمدّ، وفاعل تمدّ (قَدْ فَاقَ حُسْنُكَ) يا أشرف الخلق ﷺ (لِلْوُجُودِ بِأَسْرِهِ) أي الموجودات بأسرها (حَتَّى) بمعنى الفاء السببية (أَضَاءَ بِنُورِكَ الآفَاقُ) أي نواحي الأرض والسماء.

(وَرَوَى محمّد بْنُ سَعْدٍ) هو أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم الزهري البصري. نزيل بغداد كاتب الواقدي وصاحب الطبقات الكبرى، وأحد الحفاظ الكبار الثقات المتبحرين، صدوق فاضل. صحب الواقدي زمانًا وكتب له فعرف به. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها في جمادى الآخرة في يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ٢٣٠هـ ببغداد، وهو ابن (٦٣) سنة (عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ) أي بروايات كثيرة (أَنَّ آمِنَةَ لَمَّا حَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ فَمَا وَجَدْتُّ لَهُ مَشَقَّةً وَلاَتَعَبًا) والتعب عكس الإستراح وهو المشقة، وعبارته في الطبقات الكبرى: قال أخبرنا محمّد بن عمر بن واقد الأسلمي قال حدثني علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء إلّا أني قد أنكرت رفع حيضي وربما كانت ترفعني وتعود وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت أنك حملت فكأني أقول ما أدري فقال إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين قالت فكان ذلك مما يقن عندي الحمل ثم أمهلني حتى إذا دنا ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كلّ حاسد قالت فكنت أقول ذلك فذكرت ذلك لنسائي... (وَأَنَّهُ لَمَّا فَصَلَ عَنْهَا) أي لمّا ولد ﷺ (خَرَجَ) أي من الهواء (مَعَهُ) ﷺ (نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ) للنبي ﷺ (قُصُورُ الشَّامِ) وقد صحح هذا الحديث جماعة وحسنه آخرون، وحكمة تخصيصها من أرض الشام لأنّ الشام هو أرض المحشر وإلى ذلك الأرض يحي الله من روضته، في ثيابه التي مات فيها ثم

يكسى من حلل الجنة، حين يخرج من روضته ﷺ فتكون حلته ﷺ أشرف الحُلل، فيأتي ﷺ إلى الموقف بتاج الحلل، وإليه أشار ﷺ في حديث الترمذي والبخاري والمسلم، وحلة ابراهيم عليه السلام تكون في الموقف لاقبله بحضرة الرسول ﷺ، والحلتان المذكورتان في الأحاديث حقيقة، والحلة الأولى للنبيّ ﷺ قبل إبرهيم عليه السلام، ليدل أن ﷺ أشرف الخلق، وبيّنت في رسائلي عن "أول من يكسى يوم القيمة" وفيها بيان. وقال الإمام الزرقاني في شرح المواهب: "وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصور الشام" أي: أضاء النور وانتشر حتى رأيتُ قصور الشام، وأضاءت تلك القصور من ذلك النور.اهـ (وَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) والحكمة بقوله "مابين المشرق والمغرب" أنّ الإسلام يبلغ في المشرق والمغرب، سيّما عند ظهور المهدي وعيسى عليهما السلام. قال الإمام الحلبي في «السيرة الحلبية»: وفي رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى.اهـ وعبارة «أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل» للإمام ابن حجر الهيتمي: والنور الذى خرج معه حتى أضاء له قصور الشام، وأسواقها، وحتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى، ومسح الطائر لفؤاد أمه حتى لم تجد ألما لولادته والطواف به في الأفاق، وغيض ماء بحيرة ساوة، وخمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرى، وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه، وانتكاس الأصنام وخرورها لوجهها من غير دافع لها من أمكنتها إلى سائر ما نقل من العجائب في أيام ولادته، وأيام حضانته وبعدها إلى أن بقاه الله؛ كإظلال الغمام أي في السفر، وشق الصدر، وهذا القسم لا يسمى معجزة حقيقية، لتقدمه على التحدى جملة وتفصيلا، وإنما يسمى إرهاصا أى تأسيسا للنبوة، وهذا ما عليه أهل السنة.اهـ قال الشيخ أبو علي المزوري من المغرب في كتابه «شفاء السقيم»: وأخرج أبو نعيم: أن آمنة قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام. نقله السيوطي في «الخصائص». ومن هذه الأحاديث وشبهها يعلم أنه ﷺ خرج من المحل المعلوم للولادة بدليل خروج النور منه وبه يعلم بطلان قول من زعم أنه خرج من ثقبة تحت السرة، ومن زعم أنه خرج من شقها الأيمن من غير فرج. قال الإمام المسناوي: وكلّ ذلك لا أصل له ولا شك أنه لو وقع لنقل تواترا لكونه مما تتوفر الدواعي على نقله لأنه خارق للعادة وهو إن كان لا مانع منه عقلا لكنه لم يقع، والأحاديث ظاهرة في خلافه و الله أعلم. قال الحافظ الشيخ عبد الرحمن بن

رجب في كتابه «لطائف المعارف»: خروج هذا النور عند ولادته ﷺ إشارة إلى ما يجيء من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزالت به ظلمات الشرك. قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: الآية ١٥] الآية، وإضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه إشارة إلى ما خص به الشام من نور نبوّته و أنها دار ملكه.اهـ، لكن إعتمد الشيخ محمّد نووي الجاوي مؤلف «فتح الصمد في شرح قرة العين» للمخدوم: ونقل بعض الأفاضل عن القليوبي وعن جمع من المحققين أنه ﷺ لم يولد من الفرج بل من محل فتح فوق الفرج وتحت السرة والتأم في ساعته. ونقل عن القاضي عياض أن مثله ﷺ في ذلك جميع الأنبياء والمرسلين لكن قال العلامة التلمساني وكلّ من الأنبياء غير نبينا مولودون من فوق الفرج وتحت السرة وأما نبينا فمولود من الخاصرة اليسرى تحت الضلوع ثم التأم لوقته خصوصية له فتحصل لك من هذه أنه لم يصح نقل بولادته من الفرج وكذا غيره من الأنبياء ولهذا أفتى المالكية بقتل من قال إن نبينا ولد من مجرى البول اهـ (وَوَقَعَ) أي نزل (عَلَى الأرض مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ رَافِعًا بَصَرَهُ إلى السَّمَاءِ ﷺ وَزَادَهُ فَضْلاً وَشَرَفًا لَدَيْهِ) ففي «نور الأبصار»:.. ونزل على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رافعا بصره إلى السماء واضعا يديه على الأرض وفيه من الإشارة مالايخفي مكحولا نظيفا.اهـ، وأورده الشيخ محمّد رضا في كتابه «محمّد رسول». وروى عبد الرزاق في «المصنف»: عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: أن أمه ﷺ قالت لَقَدْ وَلَدْتُهُ حِينَ وَلَدْتُهُ، فَخَرَّ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ. ورواه ابن حبان، وأبو يعلى من طريق محمّد بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَهْمِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ الله عَنْهما، عَنْ حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ السعدية... فذكر قصة إرضاعه ﷺ، وفيه: أن أم رسول الله ﷺ قَالَتْ ... ":ثُمَّ وَضَعْتُهُ، فَمَا وَقَعَ كَمَا يَقَعُ الصِّبْيَانُ، وَقَعَ وَاضِعًا يَدَهُ بِالأرض، رَافِعًا رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ (وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ عَبدِ الله بْنِ وَهْبٍ) عبارة «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» للامام سبط ابن الجوزي: وقال علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أبيه، عن عمته قالت: لما وَلَدتْ آمنةُ رسولَ الله ﷺ، أرسلت إلى عبد المطلب وهو في الحجر مع أولاده، فجاءه البشير فَسُرَّ به وقام، فدخل على آمنة فأخبرته بكلّ ما رأت، وما قيل لها، وما أمرت به، فأخذه عبد المطلب على يديه وجاء به إلى الكعبة، فدخل به إليها وقام يدعو ويقول: الحمد لله الذي أعطاني... وقال الهيثم: لمادخل على آمنة قالت له: ياأبا الحارث، ولد لك اليوم مولود أمرُه عَجَب، قال: وما ذاك؟ قالت: خرج معه نورٌ

أضاءت منه قصورُ الشام، ومدائنُ كسرى، وقصورُ صَنعاء، ونوديتُ: سمِّيه محمّدا، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد، فقال عبد المطلب وأنا والله رأيتُ الساعة عجبًا، كنتُ أطوف بالبيت، فرأيتُ هُبَل قد مال حتى كاد أن يسقط، فجعلتُ أمسح على عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ ثم أخذه وانصرف إلى الكعبة، فطاف به وقال شعرا: يا رب كلّ طائفٍ وجاهدِ * ورب كلّ غائبٍ وشاهد، أدعوكَ يا ربِّ دعاءَ جاهدِ * لاهُمَّ فاصرفْ عنه كيدَ الكائدِ، واحطِمْ به كلّ عدوٍّ حاسدِ. وكان بمكة يهوديٌّ قد قرأ الكتب كلها، فأصبح ذات يوم فقال يا معاشر الناس، ولد الليلة نبي العرب، قالوا: وما علامتُه؟ قال. بين كَتفيه شامةٌ سوداء فيها شَعرات. فقيل له: ولد لعبد المطلب مولود، فجاء فرأى الشَّامة، فقال: ذهبت والله هو نبوَّة بني إسرائيل، أفرحتم يا معاشر قريش، والله ليَسْطُونَّ عليكم سَطوةً تخرج أبناؤها من المشرق إلى المغرب.اهـ، وأخرجه الحاكم والبيهقي في «الدلائل» وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعبارة الدياربكري في تاريخه: روى أنها لما ولدته ﷺ أرسلت إلى عبد المطلب وجاءه البشير وهو جالس في الحجر معه ولده ورجال من قومه فأخبره أن آمنة ولدت غلاما فسرّ بذلك عبد المطلب.اهـ، وأورده الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمّد أبو الفرج في كتابه «صفة الصفوة»، وعبارة الإمام أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفي: ٢٧٩هـ): فلما وضعته،أرسلت إلى عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام. فنهض مسرورا، ومعه بنوه، حتى أتاه فنظر إليه. وحدثته بما رأت، وبسهولة حمله وولادته. فأخذه عبد المطلب في خرقة فأدخله الكعبة وقال: الحمد لله الذي أعطاني...ثم رده إلى أمه.اهـ (عَنْ عَمَّتِهِ) أي يزيد (أَنَّ آمِنَةَ لَمَّا وَضَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَتْ) أي آمنة ﵂ (إلى جَدِّهِ) ﷺ (عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجَاءَهُ الْبَشِيرُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ) أي في حجر إسماعيل عليه السلام (فَأَخْبَرَهُ) أي البشير (أَنَّ آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا فَسُرَّ) بناء للمفعول (بِذَلِكَ سُرُورًا كَثِيرًا وَقَامَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ) من الأولاد والقوم معه (فَدَخَلَ) أي عبد المطلب ﵁ (عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهُ بِكلّ مَارَأَتْهُ وَمَا قِيلَ لَهَاوَمَا أُمِرَتْ بِهِ) أي بولده ﷺ (فَأَخَذَهُ جَدُّهُ عَبدُ الْمُطَّلِبِ) اسم عبد المطلب جد الرسول ﷺ هو شيبة الحمد، وقيل عامر، واختُلف في سبب تسميته بشيبة الحمد، فقيل لكثرة حمد الناس له، فقد كان سيد قريش بلا منازع، وكان الناس يفزعون إليه عند المصائب، وقيل سمي بذلك تفاؤلاً بأن يعيش طويلاً حتى سن الشيب، وقيل لأنه وُلد وفي رأسه شيبة، وهذا هو القول الأشهر، واختُلف في سبب تسميته بعبد المطلب،

فقيل لأن عمه المطلب عندما جاء به من المدينة إلى مكة وهو صغير، كانت ثيابه بالية ممزقة، وكان الناس يسألون المطلب، من هذا الغلام؟ فيقول لهم عبدي،استحياءً أن يقول ابن أخي وهو في تلك الحالة، ثم ألبسه ثياباً جديدة وأخبرهم بأنه ابن أخيه، لكنهم ظلوا ينادونه عبد المطلب، وخصوصاً أن العرب كانوا يقولون لليتيم الذي يعيش في حجر أحد؛ هو عبده، وقيل لأن أباه هاشم عندما حضرته الوفاة، قال لأخيه المطلب -عمّ شيبة الحمد- أدرك عبدك، يعني بذلك ابنه شيبة الحمد. من «السيرة الحلبية» و«مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار».

[صفات عبد المطلب جد الرسول]

كان عبد المطلب رجلاً شريفاً في قومه، وكانت له مكانة مرموقة بين العرب، وكان حليماً وحكيماً، وكان كريماً شديد الكرم، وكان يلقب بسبب ذلك بالفياض، ولقب أيضاً بمُطع طير السماء، لأنه كان يضع الطعام للطيور والوحوش في الجبال، وقد حرم على نفسه الخمر، وكان مستجاب الدعاء، وكان يحث أولاده على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن الظلم والبغي، وكان يرفض عبادة الأصنام، ويوحد الله -تعالى-، وكان يدعو إلى الوفاء بالنذر، وقطع يد السارق، وينهى عن الزنا ونكاح المحارم، وقتل الموؤدة، وشرب الخمر، والطواف بالكعبة عرايا. وكان رجلاً جميلاً جداً، تعلوه الهيبة والوقار، حتى أن أبرهة الحبشي هابه لما رآه، فنزل عن كرسيه وجلس بجانبه إعظاماً وإكراماً له. من «السيرة الحلبية» و«القول المبين في سيرة سيد المرسلين».

[محبّة عبد المطلب للرسول]

كان عبد المطلب شديد المحبة للرسول ﷺ وهو صغير، فقد فرح فرحاً كبيراً في يوم ولادته، واستبشر به، وقام بختانه في اليوم السابع من ولادته، وكانت هذه عادة العرب، وعقّ عنه بكبش، وأقام له مؤدبة، وسماه محمّداً، ولم يكن هذا الاسم مألوفاً لدى العرب من قبل، فلما سألته قريش عن سبب تسميته بهذا الاسم، أجابهم: "أردت أن يحمده الله تعالى في السماء وخلقه في الأرض"، ومن شدة محبة عبد المطلب للرسول ﷺ أنه أرسله مرة في حاجة له وهو غلام، فتأخر في العودة، فقلق عليه حتى ذهب إلى الكعبة وأخذ يدعو الله تعالى أن يرده إليه قائلاً: "رَبِّ رُدَّ إِلَيَّ رَاكِبِي محمّدا... رُدَّهُ إِلَيَّ وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدَا"، فلما عاد قال له: "يَا بُنَيَّ لَقَدْ جَزِعْتُ عَلَيْكَ جَزَعًا لَمْ أَجْزَعْهُ عَلَى

شَيْءٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لاأَبْعَثُكَ فِي حَاجَةٍ أَبَدًا، وَلَا تُفَارِقُنِي بَعْدَ هَذَا أبدًا". من «اللؤلؤ المكنون» (وَأَدْخَلَهُ الْكَعْبَةَ) أي أدخل عبد المطلب النّبيّ داخل الكعبة (وَقَامَ عِنْدَهَا يَدْعُو اللَّهَ) أي عند الكعبة (وَيَشْكُرُهُ عزّ وجلّ عَلَى مَا أَعْطَاهُ) أي من ولده الزكيّ (وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَئِذٍ شِعْرًا) والشعر من عادة العرب (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ) وهذا يدلّ منصوصا على أنّه ﷺ على الملة الحنيفية وهو ملة أبيه إبراهيم عليه السلام، ولذا يترضى عليه أهل السنة والجماعة في حقه. قال الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية، أثناء ذكر قصة أبرهة مع هدم الكعبة, وأخذه إبل قريش : وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه،وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، تترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لأهدمه لا تكلّمني فيه! ؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. فقال: ماكان ليمتنع مني. قال:أنت وذاك اهـ وهذه القصة وردت في كثير من كتب السيرة كـ«سيرة ابن هشام».

[معنى الفترة]

قول الأئمة وهو في زمان الفترة، معناه: لم يدرك زمان الإسلام، ولايعارضه كونه مسلما بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا﴾ .[الحج : ٧٨]، قال الإمام إمام أهل السنة الماتريدي في تفسره، تأويلات أهل السنة: اختلف فيه: قال عامة أهل التأويل: قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ أي: اللّه سماكم المسلمين.اهـ، وعلى هذا التفسير أكثر المفسرين (الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلاَمَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ) يقال: فلانٌ طيّبُ الأردان: شريفٌ طاهر (قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ) أي صار ذلك الولد الزكي سيدا من المهد. والمهد السريرُ يُهيَّأ للصبيّ ويوطَّأُ لينام فيه (عَلَى الْغِلْمَانِ) أي على أولاد معاصريه، متعلق على ساد (أُعِيذُهُ) أي أحصن هذا الغلام (بِالْبَيْتِ) أي ببركة الكعبة المشرفة

(ذِي الْأَرْكَانِ) **أركان الكعبة**: الرُكن الشرقي:- وهو الركن الذي يكون بجوار باب الكعبة ويُقابلُ بئر زمزم تقريباً، يُسمى بالركن الشرقي لكونه باتجاه المشرق تقريباً، ويُسمَّى أيضاً بالركن الأسود لأن الحجر الأسود مُثَبَّتٌ فيه ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة. والرُكن العراقي:- وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الشمالي لمواجهته للشمال تقريباً، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حجر إسماعيل، ويُسمَّى أيضا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق. والرُكن الغربي:- وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الغربي لمواجهته للمغرب تقريباً، ويُسمَّى أيضاً بالركن الشامي لكونه باتجاه الشام، وهو الرُكن الذي يكون على الجانب الغربي من حجر إسماعيل. والرُكن اليماني:- وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الجنوبي لمواجهته للجنوب تقريباً، ويُسمَّى أيضا الركن اليماني لكونه باتجاه اليمن، ويُسمَّى أيضاً بالمُستجار. هو أحد أركان الكعبة المشرفة في اتجاه الجنوب وهو الركن الموازي لركن الحجر الأسود، وسبب تسميته باليماني أنه في اتجاه الجنوب وكانت العرب تسمي كلّ متجه إلى الجنوب يمناً باعتبار اليمن في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية. وذكر أنه تم إلصاق قطع الركن اليماني بالمسامير في عهد الفاطميين، كما أنه في عام ١٠٤٠هـ في عهد السلطان مراد الرابع الذي جدد بناء الكعبة، انكسر طرف حجر الركن اليماني فوضع في محل ذلك رصاص مذاب وألصق الجزء المكسور(حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبَيَانِ) أي أرى عبد المطلب ولده ﷺ الطيّب فصيح النطق، بإلهام من الله تعالى (أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَنْآنٍ) أي أحصن من ضرر بغض الباغين (مِنْ حَاسِدٍ) أي أحصن من شرّ حاسد (مُضْطَرِبِ الْعَيْنَانِ) أي من متحرّك العينان، وهذا إشارة إلى تأثير العين.

[الأدلّة من القرآن والسنة على تأثير العين]

ينبغي أن يعلم أولاً أن كلّ ما يجري في هذا الكون، إنما هو بتقدير من الله تعالى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩]. فيعيش المؤمن بهذه العقيدة شجاعاً واثقاً بأن الله تعالى مقدر الأرزاق والآجال، مستحضراً قوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى

ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. ولكن من حكمة الله تعالى أنه جعل للعين تأثيراً بإذن منه سبحانه، وقد دَّل على ذلك القرآن، وسنة رسوله ﷺ.

فمن أدلة القرآن:

١- قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يوسف:٦٧]. قال العلماء: إن ذلك كان خوفاً عليهم من العين، وقد وصف الله يعقوب بعد ذكره لهذه المسألة قائلاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾.

٢- وقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ [القلم:٥١].

ومن أدلة السنة:

١- الحديث الذي رواه أحمد ومسلم: أن النّبيّ ﷺ قال: العين حقّ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين.

٢- ما رواه أبو نعيم في «الحلية» وابن عدي بإسناد حسن عن جابر ﷺ أن النّبيّ ﷺ قال: العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر. وهذا كلّه لا يخرج عن كونه قدراً من الله تعالى، والواجب أن يدفع القدر بالقدر، فالعين قدر، وذكر الله ودعاؤه قدر كذلك وكذلك التبرك بالأذكار والقرآن والنذر، وكذلك كتابة أسماء الله تعالى على الجدار وما في معناها كما قال الأئمة في كتبهم. وقد أمرنا الله جل وعلا أن نستعيذ به من شرّ حاسد إذا حسد، فأرشدنا إلى أن ندفع شرّ حسد الحاسد بالاستعاذة ونحوها بالله سبحانه وتعالى.

[الأدلّة على نصب عظام رؤوس الجاموس في المزارع وتسويد وجه الطفل للعين]

فعن أم سلمة ﵂ أن النّبيّ عليه السلام رأى في بيتها جارية تشتكي وفي وجهها صفرة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة وأراد بها العين أصابتها من الجن كما في شرح المصابيح وفي الحديث : "لو كان شيء يسبق القدر لسبقة العين" أي لو كان شيء مهلكاً أو مضراً بغير قضاء الله وقدره لكان العين أي أصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام، إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر. قال الإمام البروسوي في تفسيره: ومم~ا يدفع العين ما روى إن عثمان ﵁ رأى صبياً مليحاً فقال دسموا نونته

لئلا تصيبه العين أي سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه إن النظر الشؤم يقع عليها أولاً فتنكسر سورته فلا يظهر أثره ومن الشفاء من العين أن يقال على ماء في أناء نظيف ويسقيه منه ويغله عنس عابس بشهاد قابس رددت العين من المعين عليه وإلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسي وست آيات الشفاء وهي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾. اهـ «تفسير روح البيان». وفي «غريب الحديث» للخطابي: قال: في حديث عثمان أنه رأى صبياً تأخذه العين جمالاً، فقال: دسموا نونته. رواه أحمد بن يحيى الشيباني عن محمّد بن زياد الأعرابي، ذكره أبو عمر عنه. قال: وسألته، فقال: أراد بالنونة النقرة التي في ذقنه ، والتدسيم التسويد ، أراد سودوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين.

قال الإمام قاضي عياض: (ومنه قوله عليه السلام في الصبي دسموا نونته أي سودوا حفرة ذقنه وقال ابن الأنباري هي غبرة في سواد وقال الحربي أراها من الدسم وهو كالدهن ونحوه). «مشارق الأنوار على صحاح الآثار». وقال الإمام البغوي: وروي أن عثمان رأى صبيا مليحا ،فقال : دسموا نونته كيلا تصيبه العين. ومعنى دسموا، أي :سودوا، والنونة: الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير. «شرح السنة» .وفي «شرح ابن بطال على البخاري»: ذكر أبو عمر المطرز أنها السوداء وذكره عن ثعلب، عن ابن الأعرابى قال: ومنه حديث عثمان بن عفان، أنه مرّ ببعض طرقات المدينة فرأى صبيًا ومعه حشمة فقال: دسموا نونته لكي لا تصيبه العين، معناه دسموا ذلك الموضع ليرد العين، والنونة: النقبة التى تكون في ذقن الصبى الصغير. وفي «الطيبي»: روى أن عثمان ﷺ رأي صبياً مليحاً فقال: دسموا نونته؛ كيلا تصيبه العين، ومعنى ((دسموا)) سودوا. و ((النونة)) النقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير. وروى عن هشام بن عروة أنه كان إذا رأي من ماله شيئاً يعجبه، أو دخل حائطاً من حيطانه، قال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ الآية. شرح المشكاة للطيبي «الكاشف عن حقائق السنن» .وفي «المرقاة»: وفي «شرح السنة» روي أن عثمان ﷺ رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته كيلا تصيبه العين ومعنى دسموا سودوا والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير. «مرقاة المفاتيح». وفي «النهاية» لابن الأثير:

ومنه حديث عثمان [رأى صَبِيّا تأخُذه العينُ جَمالاً فقال : دَسِّموا نُونَتَه] أي سَوِّدوا النُّقْرة التي في ذَقَنِهِ لِتَرُدّ العين عنه).«النهاية في غريب الأثر». وقال العلامة ابن القيم : فَصْلٌ [لِلِاحْتِرَازِ مِنْ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ سَتْرُ مَحَاسِنِ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ الْعَيْنُ] وَمِنْ عِلَاجِ ذَلِكَ أَيْضًا وَالِاحْتِرَازِ مِنْهُ سَتْرُ مَحَاسِنِ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ الْعَيْنُ بِمَا يَرُدّهَا عَنْهُ كَمَا ذَكَرَ الْبَغَوِيّ فِي كِتَابِ «شَرْحِ السّنّةِ»: أَنّ عُثْمَانَ رَأَى صَبِيّا مَلِيحًا فَقَالَ دَسّمُوا نُونَتَهُ لِئَلّا تُصِيبَهُ الْعَيْنُ ثُمّ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ وَمَعْنَى: دَسّمُوا نُونَتَهُ أَيْ سَوّدُوا نُونَتَهُ وَالنّونَةُ النّقْرَةُ الّتِي تَكُونُ فِي ذَقَنِ الصّبِيّ الصّغِيرِ. وَقَالَ الْخَطّابِي فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» لَهُ عَنْ عُثْمَانَ: إنّهُ رَأَى صَبِيّا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ فَقَالَ دَسّمُوا نُونَتَهُ فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: سَأَلْت أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى عَنْهُ ، قَالَ: أَرَادَ بِالنّونَةِ النّقْرَةَ الّتِي فِي ذَقَنِهِ . وَالتّدْسِيمُ التّسْوِيدُ . أَرَادَ سَوّدُوا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ ذَقَنِهِ لِيَرُدّ الْعَيْنَ. قَالَ وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ عَائِشَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ دَسْمَاءُ أَيْ سَوْدَاءُ . أَرَادَ الِاسْتِشْهَادَ عَلَى اللّفْظَةِ وَمِنْ هَذَا أَخَذَ الشّاعِرُ قَوْلَهُ : مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إلَى عَيْبٍ يُوَقّيهِ مِنْ الْعَيْنِ. انتهى الطب النبوي.

(أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ) أي أنت يارسول الله دعيت بإسمك في الكتب المنزّلة على الأنبياء من قبلك من التوارة والإنجيل أوقال جدّه ﷺ بإلهام من الله تعالى، بدليل حديث البخاري: «بُعِثتُ من خيرِ قُرونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فقَرْنًا، حتى كُنتُ من القَرْنِ الذي كُنتُ فِيهِ»، فقد بيّنت مرارا في هذا الشرح (أَحْمَدَ مَكْتُوبٌ عَلَى الْجِنَانِ) مبتدأ وخبر، أي إسمك أحمد مكتوب على قوائم العرش الذي يراه من الجنة كما رأى أبونا آدم عليه السلام كما ورد في الأخبار بألفاظ متعددة عند الطبراني والحاكم وغيرهما: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمّد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمّد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمّد ما خلقتك. وصحّح هذا الحديث الحاكم والشيخ ابن تيمية في الفتاوى، نعم فقد أورد الإمام السبكي في كتابه «شفاء السقام» وأقرّ تصحيح الإمام الحاكم النيسابوري، ثم قال الإمام تقي السبكي: [توسل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنبينا ﷺ]، وأما ماورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره

المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث، لجودته وتصحيح الحاكم له.اهـ «شفاء السقام بزيارة خير الأنام» (صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ فِي الْأَحْيَانِ) في كلّ وقت وحين (أَحْمَدُ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلاَنِ) أي أنت يارسول الله أحمد في كلّ وقت وحين، فشخصيته ﷺ بالحمد ثابت في الظهور والخفية منذ ولادته ﷺ إلى وفاته ﷺ (حَقًّا عَلَى الْإِسْلاَمِ وَالْإِيمَانِ) أي على قوام الإسلام والإيمان، والحق حال من أحمد (فَسُبْحَانَ مَنْ) أي أسبّح الله الذي (أَبْرَزَ) أي أظهر (فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ) أي في الثاني عشر من ربيع الأول قُبَيل الفجر أو بُعَيد الفجرفي يوم الاثنين، قال الإمام أحمد بن محمّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري في «أشرف الوسائل»: واختلف في عام ولادته، فالأكثرون: أنه عام الفيل، وحكى الاتفاق عليه، والمشهور: أنه بعده بخمسين يوما وقيل: بأربعين، وقيل: بعشر سنين، وقيل: غير ذلك، ثم الجمهور على أنه ولد في شهر ربيع الأول، فقيل: ثانيه، وقيل: ثالثه، وانتصر له كثيرون قيل: وهو اختيار أكثر المحدثين، وقيل: عاشره، وقيل: ثانى عاشره، وهو المشهور، وقيل: غير ذلك، ولم يكن بالأشهر الحرم، ولابيوم الجمعة، إشارة إلى أنه لا يتشرف بالزمان، بل الزمان هو الذى يتشرف به، فلو ولد في ذلك لتوهم أنه ﷺ يتشرف بذلك الزمان الفاضل، ثم الأصح بل الصواب، لصحة حديثه في «مسلم» أنه ولد في يوم الاثنين، وهو صريح في أنّه ولد نهارا أى عقيب الفجر، كما في رواية ضعيفة، ومن ثمة قال البدر الزركشى: الصحيح أنه ولد نهارا، وتضعيف ابن دحية رواية سقوط النجوم عند مولده بذلك غير صحيح، لأن سقوطها خارق للعادة، فلا فرق فيه بين الليل والنهار أي على أنه بعد الفجر، وللنجوم سلطان كما في الليل فلا ينافي سقوطها، ثم هل مدة حمله تسعة أشهر، أو عشرة أو ثمانية، أو سبعة، أوستة؟ أقوال، قيل وولد ﷺ بعسفان، والصحيح بل الصواب: بمكة بمولده المشهور الآن، وهو الأصح.اهـ ينظر شرح الهمزية له وفيه زيادة على هذا (طَلْعَةَ) أي وجه (قَمَرِ الْوُجُودِ) الإضافة بيانية (فَمَا أَجْمَلَهَا مِنْ طَلْعَةٍ وَأَبْهَاهَا وَمَاأَحْسَنَهَا مِنْ مَحَاسِنَ) أي أيّ شيئ زيّن هذا الولد وأحسنه وأشرقه، والضمير مرجع إلى الطلعة من حيث اللفظ (وَأَحْلاَهَا) أي أيّ شيئ ألطف ذلك الولد وأعذبه (حَمَلَتْ بِهِ آمِنَةُ) رضي الله عنها به ﷺ (فَجَاءَهَا آدَمُ عليه السلام وَهَنَّاهَا) أي في منامها من التهنئة (وَوَقَفَ نُوحٌ عليه السلام عَلَى بَابِهَا وَنَادَاهَا) في منامها (وَأَتَاهَا الْخَلِيلُ يُبَشِّرُهَا بِمَا أَتَاهَا) أي بولدها (وَقَصَدَ حِلَّتَهَا) بكسر الحاح أي قصد إبراهيم عليه السلام بيتها، أو بضمّ الحاح، أي

قصد إبراهيم عليه السلام بالإتيان عندها في المنام أنّ حلته ﷺ أكبر من حلة إبراهيم عليه السلام، وأول من الحلة كماتقدّم البحث (مُوسَى الْكَلِيمُ عليه السلام وَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا) من سلامة ولدها من أضرار الكفرة، والمراد بهذا التبشير أنّه ﷺ أعظم الأنبياء وأول الأنبياء وجودا وظهورا في الملأ الأعلى وأخيرا طلعة وجود الكون (كلّ ذَلِكَ لِأَجْلِ هَذَا الْمَوْلُودِ الَّذِي تَشَرَّفَتْ بِهِ الأرض وَثَرَاهَا) أي تراب الأرض الذي خلق من طينة قبره كمامرّ. وما الفرق بين الثَرَى والثُريَّا: الثَّرَى هو التُّراب النَّدِيّ، ويطلق عليه الثَّرْياءُ أيضا؛ ف"الثَّرَى" و"الثَّرْياءُ"اسمان لشيء واحد وهو التراب الذي يبلّه المطر أو نحوه. وأما الثُّرَيَّا فهي اسم لنجم في السماء (وَجَاءَتِ الطُّيُورُ) أي المبشرين بطفلها إلى بيت آمنة الزهراء ﵂ (مِنْ أَوْكَارِهَا) أي من بيوت الطيور (وَفِنَاهَا) أي من جانب بيتها (وَخَرَجَتِ الْحُورُ) من نحو السماء إلى دارها، إظهارا بمولده ﷺ، قال الإمام السيوطي في «الخصائص»:.. فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه فكانت آمنة تحدث عن نفسها.اهـ، وفي «مولد العروس» لابن الجوزي: قالت آمنة: لمّاوضعت ولدي محمّد ﷺ وضعته مكحولا مدهونا مسرورا، مطيّبا مختونا قد شرح الله له صدرا وحمله جبريل فطاف به برّا وبحرا، وحفّت به الملائكة عن يمينه وشماله، فرأوا جبينا وحاجبا يفوق حسنا ونورا وضياء وعطرا، وثغرا قد أودع الله منه في قلوب العاشقين خمرا. وسمعت آمنة صوتا من العلى يناديها: ياآمنة لك البشرى، فهذا هو جدّ الحسنين وأبو الزّهراء، وكان يسبّح اللّه في بطنها سرّا وجهرا، فسبحان من خلق هذا النّبيّ الكريم سلطان الأنبياء ورفع له في الملكوت قدرا وذكرا، وجعل لمن فرح بمولده حجابا من النّار وسترا، ومن أنفق في مولده درهما كان المصطفي ﷺ له شافعا و مشفّعا و أخلف اللّه عليه بكلّ درهم عشرا.اهـ (وَعَلَيْهِنَّ خِلَعُ السُّرُورِ) لباس خاص لإظهار الفرح والسرور (وَهُنَّ يُنَادِينَ) أي يقولهنّ (مَا هَذَا النُّورُ الَّذِي مَلَأَ الْبِقَاعَ وَكَسَاهَا) أي ظهر في الكون النور المحمّدي (فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام) من بين الملائكة، واختار الله تعالى جبريل عليه السلام لهذا القول،لإختصاصه بأمين النبوّة، وهو الواسطة بين الله وبين رسوله ﷺ (قَدْ وُلِدَ مَنْ فَاقَ الْبَرِيَّةَ) معنى البرية الأرض (وَمَا عَدَاهَا) من السماء والعرش والكرسي وغيرها (وَخَرَّتْ لِمَوْلِدِهِ الْأَصْنَامُ) أي إنعكست لولادته أصنام الدنيا (وَتَهَدَّمَتْ) أي خربت (صَوَامِعُ الْكُهَّانِ) أي أماكن الكاهنين، قال الإمام الدياربكري في تاريخه: وما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران

وجدل ابن حجل الكندى وابن خلصة الدوسى وسعدى بنت كرزين وفاطمة بنت النعمان ومن لايعدّ كثرة.اهـ وفي مولد الشيخ الإمام محمّد فتحا الفاسي: وورد أنه لما استقر في رحم أمه صارت الأصنام منكوسة، وصعد إبليس اللعين جبل أبي قبيس وصاح صيحة عظيمة، واجتمع عليه جنوده وقالوا له: مالك؟، فقال لهم: ويل لي ولكم، إن محمّدا حملت به أمه في هذه الليلة وإنه جاءت دولة السفاك الهتاك، الذي تقاتل معه الأملاك، ثم شاع عند الناس حمل آمنة بالمصطفي ، منهم من علم ذلك بإخبار الكهان، ومنهم من علم ذلك بإخبار أهل الكتاب، ومنهم من علم ذلك بإلهام من الله تعالى، فحسدها على ذلك نساء مكة، ومات منهن غمّا مائة امرأة.اهـ، وفي «الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النّبيّ الأزهر صلي الله عليه و آله و سلم»: ...لأن البشارة به ﷺ جاءت في ألسنة الأحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع أكثره ابن ظفر في كتابه «البشر بخير البشر».اهـ (وَزَالَ بِنَاهَا) أي الكاهنين (وَحَمَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى يَدَيْهِ وَهُوَ يُقَبِّلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ حم، أَنْتَ يس، أَنْتَ طه) تلفظ جبريل عليه السلام بهذين الإسمين: "حم"حمايته ﷺ عن أيدي الكفار، و"يس" لأنّ سورة يس من قلب القرآن فكذلك ﷺ قلب الإسلام لهذا إستعمل الملك الأمين جبريل عليه السلام. قال الإمام الشامي في سبله: ونقل الإمام الحسين بن محمّد الدمغاني رحمه الله تعالى في كتابه «شوق العروس وأنس النفوس» عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: اسم النّبيّ ﷺ عند أهل العرش: عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحيتان عبد القدوس، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وعند السباع عبد السلام، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وكذا نقله في «القول البديع» وهو غريب جدا !، ثم رأيت ابن الجوزي نقله في «التبصرة» عن كعب أيضا.اهـ، وفي «منتهى السؤل على وسائل الوصول»: وعند الله «طه» و «ياسين» وعند المؤمنين «محمّد»ﷺ .اهـ ومثله في «فتح الصمد» .

[فائدة في أسماء الرسول]

ثبت في الكتاب والسنة بعض الأسماء الصريحة للنبي ﷺ، فقد سمي في القرآن الكريم بـ:"محمّد"، و"أحمد"، وجاء في أحاديث صحيحة أنه له أسماء عدة، هي: « إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا محمّد، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ ». رواه الشيخان. وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: أَنَا محمّد، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ). رواه مسلم. وفي بعض الأحاديث ظاهره تحديد عدد الأسماء لكن مفهومه ليس بمراد كما قال الأئمة في قوله ﷺ «خمس من الغيب»، ففي البخاري عَنْ محمّد بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا محمّد، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ ». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ لِي خَمْسَة أَسْمَاء أَخْتَصّ بِهَا، لَمْ يُسَمَّ بِهَا أَحَد قَبْلِي, أَوْ مُعَظَّمَة، أَوْ مَشْهُورَة فِي الْأُمَم الْمَاضِيَة, لَا أَنَّهُ أَرَادَ الْحَصْر فِيهَا. وَقِيلَ: الْحِكْمَة فِي الِاقْتِصَار عَلَى الْخَمْسَة الْمَذْكُورَة فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّهَا أَشْهَر مِنْ غَيْرهَا مَوْجُودَة فِي الْكُتُب الْقَدِيمَة وَبَيْن الْأُمَم السَّالِفَة. اهـ، فقد صنف الأئمة في جمع أسماء النّبيّ ﷺ مصنفات كثيرة، تزيد على الأربعة عشر مصنفا، وخصص المصنفون في السير والشمائل أبوابا لبيان أسمائه ﷺ، كما فعل القاضي عياض في « الشفا بتعريف حقوق المصطفي » في "فصل في أسمائه ﷺ وما تضمنته من فضيلته" اهـ وأفرد لها الحافظ ابن عساكر بابا في «تاريخ دمشق»، وقال العلامة بكر أبو زيد رحمه الله: " أُلِّف في أسماء النّبيّ ﷺ عدة مؤلفات، وفي «كشف الظنون» و«ذيليه» تسمية أربعة عشر كتاباً، كما في «معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي» للشيخ عبد الله بن محمّد الحبشي اليماني وهي: لابن دحية، والقرطبي، والرصاع، والسخاوي، والسيوطي، وابن فارس وغيرهم. وتبحث مستفيضة في كتب السير، والخصائص النبوية، والشروح الحديثية، كما في «عارضة الأحوذي» في الجزء العاشر ، وقد طبع منها: «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة» للسيوطي.اهـ «معجم المناهي اللفظية».

وقد اختلف العلماء في أسماء كثيرة، هل تصح نسبتها إلى النّبيّ ﷺ أوْلاَ، فأدّى ذلك إلى اختلافهم في تعداد هذه الأسماء وقد كان من أهم أسباب الخلاف أن بعض العلماء رأى كلّ وصف وُصف به النّبيّ ﷺ في القرآن الكريم من أسمائه، فعد من أسمائه مثلا: الشاهد، المبشر، النذير، الداعي، السراج المنير، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝﴾. قال آخرون من أهل العلم: إن هذه أوصاف وليست أسماء أعلام. يقول الإمام النووي: بعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز. «تهذيب الأسماء واللغات». ويقول الإمام السيوطي: وأكثرها صفات.اهـ «تنوير الحوالك». ويقول العلامة بكر أبو زيد: جعلها بعضهم كعدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعين اسماً، وجعل منها نحو سبعين اسماً من أسماء الله تعالى. وعد منها الإمام الجزولي في «دلائل الخيرات» مائتي اسمٍ. وأوصلها الشيخ ابن دحية في كتابه «المستوفي في أسماء المصطفي» نحو ثلاثمائة اسم، وبلغ بها بعض الصوفية ألف اسم فقال: لله ألف اسم، ولرسوله ﷺ ألف اسم.اهـ «معجم المناهي اللفظية»، فكلّ هذا صحيح (أَنْتَ وَلِيُّ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ) أي يا الله أنت متولي أمر النفوس المؤمنة (أَنْتَ مَوْلاَهَا) ياالله (اَللَّه اَللَّه اَللَّهُ ، اَللَّه اَللَّه اَللَّهُ اَللَّهُ ،اَللَّه اَللَّه اَللَّهُ يَاخَالِقَ الْبَشَرِ) هذه الأبيات للأنس في المجلس (بَدَتْ لَنَا فِي رَبِيعٍ طَلْعَةُ الْقَمَرِ) تقدّم البيان (مِنْ وَجْهِ مَنْ) متعلق بمحذوف، حال من طلعة (فَاقَ) ذلك الوجه (كلّ الْبَدْرِ وَالْخَضَرِ) أي كلّ قمر وذهب (جَلَّوْهُ) فعل والواو فاعل يعود على الملائكة والضمير مفعول به، يعود إلى النّبيّ ﷺ (فِي الْكَوْنِ) أي الوجود، متعلق بجلوه (وَالأَمْلاَكُ تَحْجُبُهُ) أي الرسول ﷺ، مبتدأ وخبره تحجب، والخبر في محل النصب حال من الواو (فِي طَلْعَةِ الْحُسْنِ) متعلق بمحذوف حال من الهاء في جلوه العائدة إلى النّبيّ ﷺ (بَيْنَ التِّيهِ وَالْحُفَرِ) أي بين البرّ والبحر، متعلق بجلوه. المعنى: أظهر الملائكة بإذن الله تعالى، مرتبة الرسول ﷺ في الكون حال كونه ﷺ في أتم الحسن وأكمل الحسن (وَكَانَ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ) أي ربيع الأول (مَوْلِدُهُ) ولادته ﷺ (أَكْرِمْ) فعل ماض في صورة الأمر(بِمَوْلِدِ) أي يوم ولادته ﷺ ، فيتبع به كلّ يوم الاثنين، اسبوعيّا وكلّ ربيع الأول، حوليّا، فأمّا الأول لحديث مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثنين فَقَالَ: فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ. فتبين بما تقدم من الحديث الصحيح أن النّبيّ ﷺ صام يوم الاثنين شكرا لنعمة مولده في هذا اليوم، فيتكرّر في كلّ أسبوع إظهار الفرح

والسرور بميلاده ﷺ. وأمّا الثاني: قوله تعالى في يونس: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. المراد بالرحمة هو سيدنا محمّد ﷺ كما قال المفسّرون. وأيضا وهذان الحديثان دليل لكلّ منهما كما يأتي آنفا.

[تنبيه : إنّ ليلة مولد النّبيّ ﷺ أفضل من ليلة القدر بوجوه]

قال الإمام ابن مرزوق في «جنا الجنتين في شرف الليلتين»: الأول إنّ الشرف هو العلو والرفعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كلّ ليلة بحسب ما شرفت به، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عز وجل، فثبت بذلك أفضليتها بهذا الاعتبار. الثاني إن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ، وليلة القدر معطاة له حسبما قدمناه، وما شرف بظهور ذات المشرَّف أشرف مما شَرُف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف. الثالث إن ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجود من المواهب والمزايا وهي لا تحصى كثرة، وما شرف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة المشرف بوجوده، فظهر أن ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب. الرابع إن ليلة القدر شرفت باعتبار ما خُصت به وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأرجح من القولين، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره، وبهرت أنواره أبداً في كلّ فرد من أفراد الزمان إلى انقضاء الدنيا. الخامس إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهور النّبيّ ﷺ فيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب. السادس الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل، والليلتان معاً اشتركتا في الفضل بتنزل الملائكة فيهما معاً حسبما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق ﷺ في ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصّلاة والسلام. السابع إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصّلاة والسلام وانتقالهم في محلهم من الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجود ﷺ وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال. الثامن إن ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها فإذا قدرت أهل الأرض كلّهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة وإن كان في غيرها. فتثبت أفضلية المولد بهذا الاعتبار. التاسع شرفت

ليلة القدر لكونها موهوبة لأمة محمّد ﷺ عناية عليه السلام وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمته ﷺ اعتناء به فكانت أفضل. العاشر ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمّد عليه السلام وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فعمّت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعاً بهذا الاعتبار فكانت الشرف وهو المطلوب. الحادي عشر إن ليلة المولد فضلت على غيرها من ليالي السنة بولادته ﷺ فإنك تقول فيها ليلة مولد محمّد ﷺ وتقول في ليلة القدر ليلة القدر: وهو الشرف، وأما التقدير والإضافة إلى ليلة المولد إضافة اختصاص. وهي أفضل وأبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرف أو ليلة التقدير فهي وإن كان التقدير فيها من لوازم شرفها فاعتباره في ليلة المولد ليلة الشرف العام بلا افتراء فثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب. الثاني عشر إن ليلة القدر إنما يحظي بها العامل فيها فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها. وما كانت منفعتها متعدية أفضل من غيرها وهو المدعى. الثالث عشر إن ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلا أنه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرفع، وإن ضعف، وليلة مولده عليه السلام شرفها باق لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى فكانت أفضل بهذا الاعتبار. الرابع عشر المدعَى إن ليلة المولد أفضل، ويدل عليه أن تقول: زمن شرف بولادته ﷺ وإضافته إليه، واختص بذلك فليكن أفضل الأزمنة قياساً على أفضلية البقعة التي اختصت بمحمّد ﷺ ولُحِد بين أطباقها على سائر الأمكنة، وقد فضلت إجماعاً فليكن الزمن الذي اختص بولادته ﷺ أفضل الأزمنة بهذا الاعتبار. الخامس عشر إن ليلة القدر فرع ظهوره ﷺ والفرع لا يقوى قوة الأصل ففضلت ليلة المولد على ليلة القدر بهذا الاعتبار وهو المطلوب .السادس عشر إن ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي النوراني ما علم الوجود ووجوده مقارن لوجوده ﷺ، ولم يقع ذلك إلا فيما وجب فضلها على غيرها وهو المدعى. السابع عشر إن ليلة المولد أظهر الله تعالى فيها أسرار وجوده ﷺ التي ارتبطت بها السعادة الأخروية على الإطلاق واتضحت للحقائق وتميز بها الحق من الباطل وظهر ما أظهر الله تعالى في وجود من أنوار السعادة وسبيل الرشاد وافترق به فريق الجنة من فريق السعير وتميز وعلا به الدين وأظلم الكفر وهو الحقير، إلى غير ذلك من أسرار وجود الله عزّ وجلّ في مخلوقاته، وما هو الموجود من آياته ولم يثبت

ذلك في ليلة من ليالي الزمان، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب. الثامن عشر وهو تنويع في الاستدلال وإن كان معنى ما تقدم وهو أن نقول: لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور وهي: إما تفضيل الملائكة على النّبيّ ﷺ ، أو العمل المضاعف أو التسوية. وكلّها ممتنع، أما الأول فعلى الصحيح المرتضى وأما الثاني والثالث فباتفاق وبيان الملازمة أن التفضيل في الأول حصل بولادته ﷺ وفي الثانية إما بنزول الملائكة أو للعمل. التاسع عشر: أن بعض زمان المولد الشريف هو زمان ولادته، وولادته أفضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة، وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة، ففضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار. العشرون أن بعض زمان المولد الشريف هو زمان ولادته ﷺ ، وولادته ﷺ أفضل الأزمنة فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار. الحادي والعشرون إن أفضل الأزمنة زمن ولادته ﷺ، ولا شيء من زمان ولادته ﷺ بليلة القدر فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر، وينعكس إلى قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة هذا إبطال لدعوى الخصم إذاً.اهـ، ونقل بعض الوجوه الإمام القسطلاني في «المواهب». راجع مع الزرقاني، ثم قال الإمام ابن مرزوق في «جنا الجنتين في شرف الليلتين»، في بقاء شرف تلك الليلة في مثلها، ونص عبارته: أن الليلة التي ولد فيها ﷺ بعينها لا ينبغي أن يختلف في تفضيلها على كلّ ليلة على الإطلاق باعتبار الواقع فيها، وإنما الكلام في تفضيل ما وافقها من ليالي السنة وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر. فإن قلت: دلّ الدليل على أن ما تختص به ليلة القدر موجود في كلّ سنة على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها، ولم يتثبت في ليلة المولد ما يجب اعتبارها في كلّ سنة فوجب تفضيل ليلة القدر. قلت: دل الدليل على مراعات فضلها باعتبار تكرر زمانها حسبما رويناه في صريح الصحيح، وهو ما حدثناه به شيخنا شمس الدين بن القماح حدثنا رضي الدين إبراهيم بن مصر الواسطي، نا أبو التقى منصور بن عبد المنعم الفراوي، نا الإمام أبو عبد الله محمّد بن الفضل الصاعدي الفراوي، نا الإمام عبد الغافر الفارسي، نا أبو أحمد الجلودي، نا إبراهيم بن سفيان الفقيه، نا مسلم، نا زهير بن حرب، نا عبد الرحمان بن مهدي، نا مهدي بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معمر عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: « فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ » أخرجه مسلم وفي طريق « وفيه بُعثت أو أُنزل عليَّ فيه ». رويناه في

«سنن النسائي» من طريق ابن الأحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه في «برنامج المرويات» وفي كتاب «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع دون من أجاز بالمغرب والشام والحجاز»، وخرجه من طريق قتادة هذا عنه فليراجع.

قلت: ثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد وصبيحتها، فشرفها باقي ورعي زمانها ثابت. إذ لا نزاع في صحة الحديث ولا يرد عليه شيء من الأسئلة الواردة على المتون كما تقرر عند الأصوليين وأهل النظر. فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع مزية عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر. وهذا أدل دليل على ما ذهبت إليه والمنة لله عز وجل.

فإن قلت: ليلة القدر اختصت بأعمال لم توجد في ليلة المولد، وذلك يدل على كونها أفضل وأشرف. قلت: الأعمال التي اختصت بها ليلة القدر وإن كانت شريفة مشرفة إلا أن ما اختصت به ليلة المولد المشرف أعم نفعاً فإن ثمرة العمل في ليلة القدر إنما يعود بالنفع على العامل فقط دون غيره وليلة المولد عاد نفعها على كلّ الخلائق بما سبق. فإن قلت: ليلة القدر أنزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا ونُجم نزوله بعد على النّبيّ ﷺ بحسب الوقائع وتقرير الأحكام وهو معنى قوله تعالى﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ فوجب تفضيلها على غيرها.

قلت: أما كلام الله تعالى القديم فلا يوصف بالنزول، ولا يوصف بالاستقرار وإنما المستقر الألواح المشتملة على الألفاظ الدالة على المعنى القديم الذي نزل به الروح على سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم. وقد نزلت مفصلة على النّبيّ ﷺ واستقرت بين دفتي المصحف مَتْلُوَّةً لنا. ولله الفضل والمنة، فكانت ليلة المولد المكرم أشرف، فالموهبة فيها كانت لنبينا محمّد ﷺ من حيث إنها من جملة ما أنعم به عليه السلام لأجل الليلة بعينها فكانت ليلة المولد المكرم أشرف بهذا الاعتبار. فإن قلت: ليلة شرفت باعتبارات: منها أنها في رمضان ومنها نزول القرآن إلى سماء الدنيا كما تقرر، ومنها تنزل الملائكة عليهم السلام إلى الأرض للسلام على أهل الإيمان. قلت: وكلّها من خصائص النّبيّ ﷺ فهو أصل المواهب وسبب بعض الخيرات والرغائب. انتهى. ينظر: «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب» -تأليف: أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي-المتوفي بفاس سنة ٩١٤هـ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمّد حجي. ونقله في «شرح المنح المكية» وفي «مسالك

الحنفا في الصّلاة على النّبيّ» للقسطلاني، «وشرح مسالك الحنفا» (خَيْرِ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ) من عطف الخاص على العام (تَجَمَّعَ الْحُسْنُ فِيهِ) أي صفات الكمال والجمال كلّها مجتمعة في النّبيّ ﷺ (فَهُوَ وَاحِدُهُ) وهو فرد في الحسن من الخلق، ولامثل له (جَلَوْهُ) أي أظهر الملائكة قدر النّبيّ ﷺ ورفعته بين السماء والأرض، والإعراب فيه: فعل ماض والفاعل الواو يعود على الملائكة، والهاء يعود إلى النّبيّ ﷺ (فِي صُورَةٍ) متعلق بجلوه، والجملة حالية من الواو، أي في أحسن الصور وأكمل الصور (فَاقَتْ) صفة كاشفة (عَلَى الصُّوَرِ) أي على صور الكلّ (مَتَى) استفهام وترجي (أَرَى) أي الناظر على وجه قوله تعالى على تفسير النسفي في قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ (رَبْعَهُ) يقال الرَّبْعُ: الموضع يُنْزَلُ فيه زمن الرَّبيع، والمراد به روضته ﷺ، وقدره. حاصل المعنى: نظروه ورأوه في جماعة المسافرين لزيارته ﷺ. وفي عبارة المصنف بقوله ربعه، إشارة إلى أنّ ربيع الأول ربيع القلوب والأجساد كما نشرح في قول المخدوم الكبير الفناني في «مولد المنقوص»: "أحي ربيعَ القلب شهرُ مولد" (يَاسَعْدُ) أي نداء لشخص سعد مثلا مجازيا كزيد وعمرو في كتب النحو (وأَسْعَى لَهُ) معطوف على أرى، أي متى أذهب لزيارته ﷺ (سَعْيًا عَلَى الرَّأْسِ بَلْ سَعْيًا عَلَى الْبَصَرِ) والأول حال من ضمير أسعى. وأشار المصنّف بهذا القول إلى أنّ زيارة روضة الرسول من أكبر الفضائل ومشيرا إلى الحديث المشهور الوارد عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ». رواه الشيخان، قال الإمام النووي في شرحه: وقوله: الإيمان يَأْرِزُ إلى الْمَدِينَةِ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ أَوَّلًا وَآخِرًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ كَانَ كلّ مَنْ خَلَصَ إِيمَانُهُ وَصَحَّ إِسْلَامُهُ، أَتَى الْمَدِينَةَ إِمَّا مُهَاجِرًا مُسْتَوْطِنًا، وَإِمَّا مُتَشَوِّقًا إِلَى رُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُتَعَلِّمًا مِنْهُ وَمُتَقَرِّبًا. ثُمَّ بَعْدَهُ هَكَذَا فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ كَذَلِكَ، وَلِأَخْذِ سِيرَةِ الْعَدْلِ مِنْهُمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِجُمْهُورِ الصّحابة -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- فِيهَا، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا سُرُجَ الْوَقْتِ وَأَئِمَّةَ الْهُدَى؛ لِأَخْذِ السُّنَنِ الْمُنْتَشِرَةِ بِهَا عَنْهُمْ، فَكَانَ كلّ ثَابِتِ الْإِيمَانِ مُنْشَرِحِ الصَّدْرِ بِهِ يَرْحَلُ إِلَيْهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كلّ وَقْتٍ إِلَى زَمَانِنَا؛ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيّ ﷺ، وَالتَّبَرُّكِ بِمَشَاهِدِهِ وَآثَارِهِ، وَآثَارِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، فَلَا يَأْتِيهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ. هَذَا كلامُ الْقَاضِي.اهـ

(إِنْ لَمْ أَزُرْ قَبْرَهُ) أي لم أذهب إلى روضته ﷺ مع الإطاقة (يَاسَعْدُ فِي عُمُرِي) الإضافة إلى ياء المتكلّم، بمعنى في عمر القائل (مِنْ بَعْدِ هَذَا الْجَفَا) أي بعد هذا البُعد

يكون عمرك ضائعة فبان لك لافائدة في عيشك في الدنيا (يَاضَيْعَةَ الْعُمُرِ) أي هلاك العمر في عدم زيارتك أشرف الخلق ﷺ . وهذا ردّ صريح على ابن تيمية وأتباعه حيث حرّم زيارة النّبيّ ﷺ، خذلهم الله في الدارين كما قال الأئمة (تَقَسَّمَ) أي تنوّع، فبعضهم أعلى محبّة، وبعضهم الوسطى، وبعضهم قليل، وبعضهم أقلّ من القليل (الْحُبُّ فِيهِ) في النّبيّ ﷺ (كلّ جَارِحَةٍ) مفعول تقسّم، أي كلّ عبد من العباد ذكرا كان أو أنثى (فَالْوَجْدُ لِلْقَلْبِ) الفاء جواب لمحذوف أي فأمّا إن أردت أن تعرف الزائر السعيد فالعشق ثابت للقلب. ومعنى الوجد في قول المصنّف: المحبّة الشديدة والعشق المفرط. وما الفرق بين الحبّ والعشق، فالأول: قائم بذاته لايحتاج لشكل آخر ليتحدد فيه، وأما الثاني فقد يصحبه الشهوة والميل الجسدي للطرف الآخر، فالعشق عبارة عن الإفراط في المحبة والشوق والتعلق كليْلَى ومجنونها (وَالْأَجْفَانُ) معطوف على الوجد، مبتدأ خبره للسهر، يقول العرب: كَانَتِ الدُّمُوعُ تُرَاوِدُ أجْفَانِي: غِطَاءُ العَيْنِ مِنْ أَعْلَى إلى أسْفَلَ، معناه: دموع العين ثابت له لتذكّر المعشوق (لِلسَّهَرِ) أي سبب لترك النوم لتذكّر المعشوق (صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَاصَدَحَتْ) أي مادامت الحمائم في ورق الشجر، يقول العرب: صدَح الطَّائرُ: صاح (حَمَائِمُ الْوَرْقِ) حَمَائم جمع حَمَامَة، ومعنى الورق: ورق الشجر (فِي الْآصَالِ وَالْبُكَرِ) والآصال جمع أصيل: آخر النّهار، والبكر وهو أول النهار من طلوع الشمس في العرف (فَلَمّاَ آنَ أَوَانُ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمْ) أي فلمّا قرب زمان ولادته ﷺ (وَحَانَ) أي دخل (مَقْدَمُهُ الشَّرِيفُ الْعَظِيمْ) وقت قدومه ﷺ إلى عالم الأجساد (صَاحَ) جواب لمّا (شَاوُشُ الْإِشَارَةِ) أي وكيل الإعلام (بِالْبِشَارَةِ لِأَهْلِ الأرض أَجْمَعِيْنَ) أي بالبشارة المحمّدية لأهل الأرض أجمعين من الإنس والجنّ وسائر الحيوانات كما تقدّم وهذا إشارة إلى الحديث المذكور(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنْ) جملة معترضة مبيّنة للبشارة، والمقصود من إيراد هذه الآية: أنّ النّبيّ ﷺ متقدّم على جميع الخلق كما قال كثير من المفسرين، مثلا، قال الشيخ الألوسي: "وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار انه عليه الصلوة والسلام واسطة الفيض الإلهي على الممكنات على حسب القوابل ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات, ففي الخبر «أول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر» وجاء « الله المعطى وانا القاسم ».اهـ «تفسير روح المعاني»، ويفسّرها حديث البخاري: « بُعِثتُ من خيرِ قُرونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فقَرْنًا »، حتى كُنتُ من القَرْنِ الذي كُنتُ فِيهِ. كما بيّن قبلُ، وقدّمتُ هذا البحث في «تحشية تفسير الجلالين»، فراجع .

(فَعِنْدَ ذَلِكَ حَفَّتْ) يقال حَفَّ النَّاسُ بِالوَلَدِ: أَحَاطُوا بِهِ، أي طافت عند ولادته ﷺ (بِأُمِّهِ، آمِنَةَ) حول أمه ﷺ (الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ) فاعل حفت، ومعنى الأبرار: الأخيار والصادقون (تَحْجُبُهَا) أي تسترها (بِأَجْنِحَتِهَا) أي بأجنحة الملائكة (عَنْ أَعْيُنِ الْأَغْيَارِ) أي عن أعين الأشرار، كإبليس وقومه، قال الشيخ ابن الجوزي في مولده «العروس»: قالت آمنة: لمّا وضعته ﷺ وضعته مكحولا مدهونا مطيّبا مختونا، ساجدا للَّه عزّ و جلّ، رافعا يديه إلى السّماء ووجهه يسطع نورا، فاحتمله جبريل ولفّه في ثوب من حرير من الجنّة وطاف به مشارق الأرض ومغاربها. قالت آمنة: وسمعت مناديا ينادي: أخفوه عن أعين النّاظرين.اهـ ونقله الإمام النووي الجاوي في «شرح فتح الصمد»، وقال أيضا: و قالت آمنة: وسمعت قائلا يقول: أعطوا لمحمّد ﷺ صفوة آدم ومولد شيث وشجاعة نوح وحلم إبراهيم ولسان إسماعيل ورضا إسحاق وفصاحة صالح ورفعة إدريس وحكمة لقمان و بشرى يعقوب وجمال يوسف وصبر أيوب وقوّة موسى وتسبيح يونس وجهاد يوشع ونغمة داود وهيبة سليمان وحبّ دانيال ووقار إلياس وعصمة يحي وقبول زكريّا وزهد عيسى وعلم الخضر واغمسوه في أخلاق النّبيّين و المرسلين، فإنّه سيّد الأوّلين و الآخرين. ورأيت سحابة أقبلت و قائلا يقول: قبض محمّد ﷺ على مفاتيح النّصر وعلى مفاتيح البيت ورأيت ملكا أقبل وتكلّم في أذنيه ثمّ قبّله وقال: ابشر حبيبي محمّد فإنّك سيّد ولد آدم أجمعين بك ختم الله الرّسل فما بقي علم في الأوّلين و الآخرين إلّا أوتيته. وسمعت آمنة قائلا يقول: ياآمنة لاتفتحي عليه الباب[١] إلى ثلاثة أيام حتى تفرغ من زيارته ملائكة السّبع سماوات. قالت: ففرشت له البيت وأغلقت عليه الباب وكنت أنظر إلى الملائكة تنزل عليه أفواجا أفواجا.اهـ (فَوَقَفَ عَنْ يَمِينِهَا مِيكَائِيلُ عليه السلام) أي وقف ميكائيل عليه السلام عن يمين آمنة ﵂ حارسا لها عن شرّ الأباليس (وَبَيْنَ يَدَيْهَا جَبْرَائِيلُ عليه السلام) أي بين آمنة الزهراء ﵂ (وَلَهُمْ) أي الملائكة، خبر مقدّم (زَجَلٌ) صوت خاص مرتفع (بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ لِلْمَلِكِ الْجَلِيلِ) أي الله تعالى (وَأَقْبَلَتِ الْحُورُ الْعِينُ) من الجنّة (إِلى أُمِّهِ آمِنَةَ تُبَشِّرُهَا بِأَنَّهَا مِنْ جَمِيعِ الْمَخَاوِفِ آمِنَةٌ) أي أنها آمنة من كلّ خوف ووجع، سواء كان لفقد والده أو لفقد زوجته (وَتَنُوبُ) أي تقوم الحور العين مكان القابلة، لسهولة الولادة خدمة لها (عَنِ

---

(١) قوله: لاتفتحي عليه الباب: أي غرفة الولادة، ففعلت، ولايعارض هذا زيارتها جدّه ﷺ عبد المطلب وقومه، لأنّ عادة أهل البلد إعطاء طفل حديث الولادة، خارج غرفة الولادة، الى الأهل.

الْقَوَابِلِ الْبَشَرِيَّةِ وَتُبَشِّرُهَا بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ) أي أنّها مؤمنة وناجية عن كلّ شرّ من الشرور (وَالْغُرَّةِ الْقَمَرِيَّةِ) أي الوجه المنسوبة إلى القمر، وهو ﷺ (وَالطَّلْعَةِ الْمحمّديَّةِ) أي الذات المحمّدية والحقيقة المحمّدية (أَخَذَهَا) أي نزلها (الْمَخَاضُ) أي مرض الولادة (وَاشْتَدَّ بِهَا آلاَمُهُ) أي مرض الولادة، وهي في حزن شديد في موت الزوج، لأنّ النساء حين الولادة، من أمسّ الحاجة إلى الزوج في قيام أمورها، فلمّا تفكّرت هذه الأمور إشتدّ بها آلام الولادة (فَوَلَدَتِ النَّبِيَّ ﷺ) أي سهولة من غير مشقة، ففرحت فرحة شديدة، فزالت همومها وأحزانها فنظر إلى ولدها الطيّب (كَأَنَّهُ الْبَدْرُ) ففي ذلك الوقت إنعدمت أحزانها (فِي تَمَامِهِ) أي كأنّه البدر نزل بيت عبد المطلب ، وروى ابن سعد أيضا عن همام بن يحيي عن إسحاق بن عبد اللّه: أن أم رسول اللّه ﷺ قالت لما ولدته: خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر. وأخرج أبو نعيم: أن آمنة قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام. نقله الإمام السيوطي في «الخصائص». (من فرجي) أي من جهة الفرج.

[القيام عند ذكر ولادة النّبيّ ﷺ مندوب لاالبدعة الشرعية]

إن غالب العلماء استحسنوا إحياء ذكرى مولد خير البرية ﷺ ، بل جعلوا ذلك اليوم عطلة، فهذا منشئ المولد النبوي الشريف القاضي أبي العباس أحمد بن محمّد اللخمي العزفي السبتي (المتوفي عام: ٦٧٧هـ) عطل قراءة الصبيان في المساجد والمكاتب يوم هذا المولد العظيم، ونقل أيضا رحمه الله تعالى عن الحجاج والسفار، أن يوم المولد بمكة لايقام فيه شغل ولايشترى ولا يباع، ولايشتغلون إلا بزيارة مسقط رأسه الكريم مسرعين إلى ذلك، وتفتح فيه الكعبة وتزار فيه. «التآليف المولدية» (في التعريف بما أفرد بالتصنيف في المولد الشريف) للكتاني، نقلا من «الدر المنظم في مولد النّبيّ المعظم» للعزفي. وهذا العلامة الخطيب محمّد بن أحمد ابن مرزوق الجد (المتوفي عام: ٧٨١هـ) قال: "سمعت شيخنا الإمام أبا موسى ابن الإمام رحمة الله عليه، وغيره من مشيخة المغرب يحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب، وما وضعه العزفي في ذلك واختياره، وتبعه في ذلك فيه وولده الفقيه أبو القاسم -وهما من الأئمة- فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده فيه والقيام بها، وقد نُقل عن بعض علماء المغرب إنكاره، والأظهر في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضا، وقد وقع الكلام في ذلك فقال: معناه لا شك أن المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن، إلا أن

المشتغل في هذه الليلة بالصّلاة على النّبيّ صلى اللَّه عليه وسلم، والقيام بإحياء سنته ومعونة آله، ومساهمتهم، وتعظيم حرمهم، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر، وإغاثة الملهوف، وفك العاني، ونصر المظلوم". «جنى الجنتين في شرف الليلتين ليلة القدر-ليلة المولد». هذا الكلام في المولد عموما، وكذا تحدث العلماء بإسهاب في جزئية تحدث عند إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، وهي القيام عند الوصول لذكر الولادة النبوية الشريفة، وهذه جملة من أقوال العلماء في هذه المسألة:

فقد قال العلامة زين العابدين جعفر بن حسن البرزنجي (المتوفي عام: ١١٧٧هـ) في المولد النبوي المنظوم:

وقد سنّ أهل العلم والفضل والتّقى   قياما على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفي وهو حاضر   بأي مقام فيه يذكر بل دان

«منظومة البرزنجي في هامش ترغيب المشتاقين لبيان منظومة السيد البرزنجي زين العابدين في مولد سيد الأولين والآخرين» لمحمّد نووي الجاوي .

وقال أيضا في المولد النبوي المنثور: "هذا، و قد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية ورويّة، فطوبى لمن كان تعظيمه صلى اللّه عليه و سلم غاية مرامه و مرماه". مولد البرزنجي . قال شارح منظومة البرزنجي في المولد النبوي الشيخ محمّد نووي بن عمر الجاوي (المتوفي عام: ١٣١٦هـ): "(قياما على الأقدام) أي: حكموا بسنيته شرع، قال محمّد السمهودي في الدر الثمين: وقيام الناس عند ذكره ﷺ بدعة حسنة" . «ترغيب المشتاقين لبيان منظومة السيد البرزنجي زين العابدين في مولد سيد الأولين والآخرين».

وقال الشيخ محمّد بن علوي المالكي الحسني (المتوفي عام: ١٤٢٥ هـ): "وقد جرت العادة بالقيام عند قراءة مولده عليه الصّلاة والسلام لدى ذكر الوضع الشريف، وما يتبعه من حسن التوصيف، و هذا القيام لم يفعله السلف، و إنما عمل به من بعدهم من الخلف، و ليس هو في الحقيقة للذات المحمّديّة كما توهمه قوم من البرية، فاعترضوا و أطنبوا، و إلى إنكار فعله ذهبوا، و إنما هو قيام فرح و سرور، وابتهاج وطرب وحبور، ببروزه صلى اللّه عليه وسلم لهذا الوجود، وإشراق نوره فيه على كلّ موجود، و شكر للَّه تعالى على ما به أولى من هذه النعمة العظيمة، والمنّة الجسيمة، التي هي مِنّة الإنعام به على الخليقة، ومن غير استحقاق منهم، ولا سبب ظاهر، ولا

عمل طريقة، و القيام فرحا بالمصطفي صلى الله عليه وسلم، أو بما هو منه أو راجع إليه، له أصل أصيل في الشرع الشريف، يعتمد و يعول عليه، فقد لعبت الحبشة بحرابهم المستلزم لزفنهم واضطرابهم لما قدم عليه الصّلاة والسلام المدينة فرحا بقدوم طلعته المباركة، أخرج ذلك أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك، وكذلك لعبوا في المسجد النبويّ في يوم عيد من الأعياد بالدرق و الحراب لعبهم المعتاد، و جعلوا يزفنون- أي يرقصون- والنّبيّ صلى الله عليه وسلم و عائشة ينظران إليهم، وهو عليه الصّلاة و السلام يقول تهيضا لهم و تنشيطا: «دونكم يا بني أرفدة»، يعني: جدّوا فيما أنتم فيه من هذا اللعب المباح، الذي لا حرج فيه و لا جناح! والأحاديث بذلك في الصحيحين وغيرهما مسطّرة، ولدى كلّ إمام من أئمة الحديث معلومة مقررة -وأورد الأحاديث في الباب- ويصح أن يكون هذا القيام الذي يقع عند ذكر ولادته، لتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كلّه في فرح وسرور بولادة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وخروجه إلى الدنيا؛ فيقوم السامعون جميعا فرحا و سرورا وابتهاجا بهذه النعمة، معبرين بذلك عن شعورهم وحبّهم، فهي مسألة عادية محضة، وليست عبادة ولا شريعة ولا سنّة". «البيان والتعريف في ذكرى المولد النّبويّ الشّريف» ضمن «مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي». قلت: من أراد أن يتوسع في مسألة القيام، فطالع كتابي في عمل المولد النبوي «الأدلة الباهرة في أسرار احتفال الميلاد النبوي»، ومع ذلك ينظر «مرقاة الأنوار» لهذا الفقير، وفيهما منهج جديد لإثبات عمل المولد النبوي، وفيه أدلة أخرى للقيام عن الإمام السبكي وغيره، وبعض الأجوبة على بعض الناس.

(يَا نَبِي سَلاَمْ عَلَيْكُمْ ۞ يَارَسُولْ سَلاَمْ عَلَيْكُمْ ۞ يَاحَبِيبْ سَلاَمْ عَلَيْكُمْ ۞ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أوّل من أشاد بهذه الأبيات هو المصنّف، ونقلها عدة أئمة، بعده من كبار العلماء، مع إستفادتها من الآيات القرآنية والآحاديث الصحيحة. فالأول: قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾. والثاني قوله ﷺ: عن ابن عباس ﵄ قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبا إن الله عزّ وجلّ اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر:

ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم، وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم. إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولافخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. رواه الترمذي والحاكم وصحّحه، ورواه البخاري والمسلم في صحيحهما في عدة أحاديث.

(أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا) أي أظهر وأضاء نور سيدنا محمّد ﷺ (فَاخْتَفَتْ مِنْهُ الْبُدُورُ) الفاء للسببية أي سترت لأجله ﷺ ضوء الشمس والقمر.أو المراد بالبدور: سائر الأنبياء لأنّ دعوتهم وكتبهم وصحفهم نسخت لأجله ﷺ ، فلذا جمع الله كلّ الأنبياء تحت رياسته ﷺ في بيت المقدّس، وصلى بهم إماما، إظهارا وإثباتا لهذه الأسرار في قلوبهم، ومن بينهم مع شهودهم وعلمهم وإقرارهم ، إرتقى مع جبريل عليه السلام فوق السبع السموات للرحلة المعراجية ثم وقع ماوقع من الأمور العجيبة الغيبية (مِثْلَ حُسْنِكَ مَا رَأَيْنَا) متعلق برأينا، وما نافية، أي ماأبصرنا أحدا من الناس مثل حسنك يا رسول الله (قَطُّ) الألبتة (يَا وَجْهَ السُرُورِ) أي صاحب الفرح والسرور ﷺ (أَنْتَ شَمْسٌ أَنْتَ بَدْرٌ) وليس هذا من التشبيه والتشبيب بل التنظير أو التمثيل. الفرق بين التشبيه والتشبيب والتنظير: فالتشبيه: إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض، والأمر الأول يسمى المشبَّه، والثاني المشبَّه به، والوصف وجه الشبه، والأداة الكاف، أو نحوها، نحو: العلم كالنور في الهداية؛ فالعلم مشبَّه، والنور مشبَّه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه، فإذا: للتشبيه أربعة أركان: مشبَّه، ومشبَّه به، وأداة تشبيه، ووجه الشبه، هو الأمر الخاص في المشبّه به، نحو زيد كأسد، في الشجاعة. والتشبيب: الشِّعْرُ الرقيق فيه كلامٌ حسَنٌ في ذِكْر النساء، وأوصافهن. ومثاله ما ذكره الفقهاء من تحريم التشبيب بامرأة معينة غير الزوجة، ولم يتعرض لماحقه الإخفاء من أعضائها، وشاهدهم على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. عبارة الخطيب الشربيني في «المغني» شرحا لقول الإمام النووي في المنهاج: ويباح قول شعر وإنشاده إلّا أن يهجو أو

يفحش أو يُعرِّض بامرأة معينة، قال: (أو) إلّا أن (يعرض)... (بامرأة معينة) غير زوجته وأمته، هو ذكر صفاتها من طول وقصر وصدغ وغيرها، فيحرم وترد به الشهادة لما فيه من الإيذاء، واحترز بالمعينة عن التشبيب بمبهمة فلا ترد شهادته بذلك..أما حليلته من زوجته أو أمته فلا يحرم التشبيب بها كما نص عليه في الأم.. ويشترط أن لا يُكثر من ذلك وإلا ردت شهادته، قال الجرجاني: ولو شبب بزوجته أو أمته مما حقه الإخفاء ردت شهادته لسقوط مروءته، وكذا لو وصف زوجته أو أمته بأعضائها الباطنة كما جرى عليه ابن المقري تبعا لأصله وإن نوزع في ذلك،... وليس ذكر امرأة مجهولة كليلى تعيينا. انتهى. والتنظير: فهو دخول الصورتين تحت قاعدة عامة، أو دليل كلّي، ونحو ذلك، وهو في الصورة في الأكثر بأداة الكاف، ويأتي بغير أداة الكاف، كقول الفقهاء: هذا نظير ما لو قال كذا، أو فعل كذا. راجع إلى المصطلحات الفقهية. والتمثيل: إثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر مشابه له (أَنْتَ نُورٌ فَوْقَ نُورِ) أي أنت يارسول الله خلق أوّلاً نورا يسبّح ذلك النور بتيسبيحه ويسبّح الملائكة معه كماجاء في الحديث، ونزل إلى عالم الأجساد نورا مثل الأقمار، ولذا يقول المصنّف رحمه الله تعالى بهذا الإطلاق (أَنْتَ إِكْسِيرٌ وَغَالِي) معنى الإِكْسِير: مادَّة مركَّبة، كان الأَقْدَمون يزعُمون أَنها تحوِّل المعْدِن الرَّخيص إلى ذهبٍ، وهو الكيمياء، أو الإِكْسِير بمعنى الشراب في زعمهم يُطيل الحياة، وهذان الوصفان يصح في هذا المقام، لأنّه ﷺ سبب للعيش الأبدي في الجنة، فالأول: فبسببه ﷺ يصير الذليل إلى العزة الغالية كسيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه الصحابيّ المشهور، والثاني: فبسبب محبّته ﷺ ينال طوال الحياة الأخروية الأبدية. ومعنى الغالي: يقال غالى الشيء أوبه: اشتراه بثمن رفيع (أَنْتَ مِصْبَاحُ الصُّدُورِ) أي أنت يارسول الله تنوّر قلوب المؤمنين بالإسلام أوأنت سراج القلوب بالمعرفة الربّانية (يَا حَبِيبِي يَا محمّد) من أنوار الإستغاثة (يَاعَرُوسَ الْخَافِقَيْنِ) شبّه الرسول ﷺ بالعروس في البهجة والوضاحة والزينة، ومنه سمىّ الإمام ابن الجوزي الحنبلي لمولده الشريف «مولد العروس». ومعنى الخافقين: المشرق والمغرب (يَا مُؤَيَّدُ يَا مُمَجَّدْ) المؤيّد: المقوّي بالعناية الإلهية أوبعلماء أمته ﷺ أوبنصرة الملائكة المقرّبين. والممجد: المعظّم وهو معظّم من كلّ الوجوه (يَا إِمَامَ الْقِبْلَتَيْنِ) أي الكعبة والمسجد الأقصى، والمعنى: يارئيس القبلتين أوبمعنى الحقيقي وأنّه ﷺ صلى إماما في المسجد الحرام والمسجد الأقصى (مَنْ رَأَى) أي من نظر (وَجْهَكَ) بعين العناية كمانظر سيدنا الصديق الأكبر

بعد نبوته ﷺ فأسلم على وجه الكمال (يَسْعَدْ) أي اليُمْن، وهو نقيض النَّحْس (يَا كَرِيمَ الْوَالِدَيْنِ) الكريم الجامع أنواع الشرف، أي ياجامع الشرف من الوالدين من حيث الإسلام، لولاك ماأسلمت (حَوْضُكَ) أي أنت صاحب الحوض في المحشر وهو يتفجّر من الحوض الكوثر في الجنة وهو يتشعب إلى الأنهار في الجنة، وعزّ من قال ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الصَّافِي) من الصفاء (الْمُبَرَّدُ) أي المكيّف بالبرد الشديد يوم عطشان في يوم كانت الشمس فوق الرؤوس في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدّون. وهذا مختص لأهل السنة والجماعة كما في حديث المسلم، ونص الحديث: «وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا». وهم أهل البدع، وهم بدّلوا أحكام الإسلام إلى الشرك والكفر، كالإستغاثة والتوسّل. والإعراب: خبر لمبتدأ محذوف والمبرد صفة، أوخبر حوضك.

[الفرق بين الحوض والكوثر]

فإن الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله للنبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وفي الحديث : «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ...رواه البخاري. وأما الحوض، فإنه خارج الجنة يرده المسلمون قبل دخولهم الجنة، كما هو ظاهر كلام شراح الحديث ويشخب فيه ميزابان من الجنة، كما في حديث مسلم. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، ثم صرح بعد كلام أن النهر الذي يصب في الحوض من الجنة هو الكوثر. وبناء عليه، فإن الكوثر غير الحوض الذي يرده المسلمون قبل الجنة، ولكن هذا الحوض يستمد من الكوثر الذي هو داخل الجنة، كما يفيده كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الأئمة، وإلى مزيد من البحث راجع إلى «تحشية تفسير الجلالين» في سورة الكوثر. قال الخطيب الشربيني في شرح المنهاج: روى الدارقطني وغيره عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن الله أعطاني نهرا يقال له الكوثر في الجنة لايدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، قالت فقلت: يا رسول الله: وكيف

ذلك؟ قال: أدخلي أصبعيك في أذنيك وسدي فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر» وهذا النهر تتشعب منه أنهار الجنة: وهو مختص بنبينا محمّد ﷺ .اهـ، ونقله كثير من المحدثين والفقهاء من المذاهب الأربعة (وِرْدُنَا) أي حاصل لنا (يَوْمَ النُّشُورِ) أي يوم المحشر،حين كان الناس عطشان (مَارَأَيْنَا) أي ما نظرنا (الْعِيسَ) أي إبل بيض يخالط بياضها شقرة أو سواد خفيف (حَنَّتْ) أي إشتاقت (بِالسُّرَى) جمع سرية وهو السير في الليل (إِلاَّ إِلَيْكَ) المجروران متعلقان بحنّت. وشبّه المصنف الزائرين والقاصدين ﷺ بالإبل الذي يسري ليلا إلى أنحاء شتى، وهذا إشارة إلى الحديث النبوي الذي روى أئمة الصحاح «إنَّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كَمَا تَأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحرِها» رواه مسلم في صحيحه، قال الإمام النووي في شرحه: وهذا شاملٌ لجَميعِ الأزمنةِ؛ أمَّا زَمَنُه ﷺ فللتَّعلُّمِ منه، وأمَّا زمَنُ الصّحابة والتابعينَ وتابعِيهم فللاقْتِداءِ بهَدْيِهم، وأمَّا بعْدَهم فللصَّلاةِ في مَسجدِه الشَّريفِ وزِيَارَةِ قَبرِهِ الشَريفِ. انتهى حاصل كلامه، فهذا الحديث أدلّ دليل على إستحباب زيارة قبره الشريف، ولذا أجمع العلماء عليه إلّا ابن تيمية الحراني فقد خرق إجماع المسلمين وكان مثلة بين العالم، فقد أورد تلميذه الحافظ ابن كثير في مسنده الفاروق الآحاديث الصحيحة على زيارة قبره ﷺ .

وقد وردت أحاديث في فضل الزيارة ذكرها الشيخ عبد العزيز بوطيبان وحقّقها ومنها: من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى نائيًا أبلغته، قال الحافظ السخاوي في القول البديع: وسنده جيد كما أفاد شيخنا (أي الحافظ ابن حجر) وكذلك حديث «من زار قبري وجبت له شفاعتي» أخرجه الدارقطني في «سننه»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والسبكي في «شفاء السقام»، وصحّحه أو حسّنه، والسيوطي في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء» (راجع: «رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة»، للشيخ محمود عبد ممدوح) وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمَهُ الله تعالى في «تحفة الزوار» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام» (أخرجه أبوداود، وقد صدر به البيهقي باب زيارة قبر النّبيّ ﷺ واعتمد عليه جماعة من الأئمة، قال السبكي: هو اعتماد صحيح لتضمنه فضيلةً للزائر، فيا لها من نسمة بالغة فنحمد الله على ذلك حق الحمد.اهـ «تحفة الزوّار إلى قبر النّبيّ ﷺ» (وَالْغَمَامَة قَدْ أَظَلَّتْ) قال ابن اسحاق: وكانت خديجة بنت

خُوَيْلِد إمرأةً تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتُضاربهم إياه (أى تُقارضهم)، بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا؛ فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه، بعثَت إليه فعرضَت عليه أن يخرُج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيرَه من التُجار ، مع غلام لها يُقال له مَيسرة ، فَقَبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها مَيسرة حتى قَدِم الشام. فنزل رسول الله ﷺ في ظِل شجرة قريبة من صومعة راهب من الرهبان (ويدعى نسطورا) ، فاطّلع الراهب إلى مَيْسرة ، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم ؛ فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نَبِيّ. ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسَرَة .فكان ميسرة- فيما يزعمون- إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحر، يرى ملَكَين يُظِلانه من الشمس – وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعمَّا كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة إمرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بَعثَت إلى رسول الله ﷺ فقالت له - فيما يزعمون- يابن عمّ . إنى قد رَغبتُ فيك لقرابتك، وَسِطَتِك (شرفِك) في قومك وأمانتك وحُسنُ خُلقِك، وصِدق حديثك، ثم عرضَت عليه نفسَها وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسباً ، وأعظمُهُنَّ شَرفاً، وأكثرهن مالاً؛ كلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.اهـ من «سيرة ابن هشام». وسافر رسول الله ﷺ مع عمه أبو طالب إلى الشام وعمره ١٣ سنة ، وكان الراهب بحيرا يقف في نافذة الدير الذى يتعبد فيه في سوريا حين استلفتت نظره سحابة بيضاء من الغيم، تعترض – على خلاف العادة – زرقة السماء الصافية، وكان الجو صحواً، فبدت هذه الغيمة مثيرة للدهشة ...وهبط نظر بحيرا من السماء إلى الأرض ، فوجد السحابة التى تشبه طائراً أبيض، تحلق فوق قافلة صغيرة تتجه نحو الشمال... ولاحظ بحيرا أن السحابة تتبع القافلة ..وحين أناخت القافلة لتستريح أسفل الدير ، ولجأت إلى الظل.. تبخرت السحابة.. دق قلب الراهب بعنف .. يعلم من أوراقه المسيحية الصادقة أن نبياسيخرج إلى الدنيا بعد عيسى ..نبيا تذكر الأوراق القديمة صفته وتبشربه، تحرك بحيرا من مكانه وأسرع يأمر

بإعداد طعام كثير، ثم أرسل إلى القافلة رسولاً يدعوها إلى تناول الطعام.. وكان ذلك ليتعرف على النّبيّ الذى بشرت به الكتب السماوية.. فعاد الرسول يرافقه المكيون إلى بحيرا. روى مصدره الترمذي والحاكم وابن أبي شيبة أن النّبيّ ﷺ كانت تظله غمامة في سفرة إلى الشام مع عمه أبي طالب (وَالْمَلاَ صَلَّوْا عَلَيْكَ) أي الجماعة صلوا عليك يارسول الله، وهذا الإشارة إلى قوله تعالى في الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (وَأَتَاكَ الْعُودُ يَبْكِي) فعن يعلى بن مرة ﷺ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا، فنام رسول الله ﷺ فجاءت شجرة استأذنت تشق الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له ذلك، فقال: هي شجرة استأذنت ربها عزّ وجلّ أن تسلم عليّ فأذن لها) رواه أحمد. وعن أنس بن مالك ﷺ: (أن النّبيّ ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد، حزنا على رسول الله ﷺ ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه (ضمه إليه) وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن، ثم قال: أما والذي نفس محمّد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة، حزنا على رسول الله ﷺ، فأمر به رسول الله ﷺ فدُفِن) رواه الترمذي (وَتَذَلَّلْ بَيْنَ يَدَيْكَ) أي إنقاذ العود بين يديك يارسول الله ﷺ (وَاسْتَجَارَتْ يَاحَبِيبِي) أي طلبت الظبيّة منك الأمانة (عِنْدَكَ الظَّبْيُ النَّفُورُ) أي شديد الفزع والخوف، صفة للظبيّ، وهذا إشارة إلى الحديث: فعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: أردفني (حملني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليَّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبدا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل (مجموعة)، فدخل يوما حائطاً (بستانا) من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، قال بَهْز وعفان: فلما رأى النّبيّ ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سَرَاته وذِفْراه (ظهره وأذنيه) فسكن، فقال: من صاحب الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال ﷺ: أما تتقى الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه) رواه أبو داود.

وفي الفجر المنير في الصّلاة على البشير النذير للفاكهاني: روت أم سلمة ﷺ قالت: كان النّبيّ ﷺ في صحراء، فنادته ظبية: يارسول الله، قال: ماحاجتك؟، قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما، وأرجع. قال: أوتفعلين؟، قالت: نعم. فأطلقها، فذهبت، ورجعت، فأوثقها، فانتبه، الأعرابي، وقال: يارسول الله ألك حاجة؟، قال: تطلق هذه الظبية. فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.اهـ

(حِينَ مَا) أي عندما، متعلق بشدوا (شَدُّوا الْمَحَامِلْ) أي عندما شدّت وقيّدت أثقال السفر فوق الجمال والمراكب (وَتَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ) أي يقول البعض للبعض بالخروج للسفر إلى المدينة المنورة لزيارة قبره ﷺ الشريف (جِئْتُهُمْ) فعل ماض وضمير متكلّم فاعل في محلّ رفع وضمير غائب مفعول به في محلّ نصب، أي إلى حضرة الرسول ﷺ وصاحبيه ﷺ (وَالدَّمْعُ سَائِلْ) مبتدأ وخبر، أي دموع العين سائلة بين الخدين، فقد روى البيهقي في أسمائه: أن عمر خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كلّ غبراء مظلمة هكذا رواه الليث. وفي شعبه: عن محمّد بن المنكدر قال: رأيت جابرا وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ وهو يقول: ها هنا تسكب العبرات سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».اهـ، وقال الإمام البيهقي في «الشعب»: سمعت أبا إسحاق القرشي يقول: كان عندنا رجل بالمدينة إذا رأى منكرا لايمكنه أن يغيره أتى القبر فقال: (أيا قبر النّبيّ وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تعلمونا).اهـ «شعب الإيمان»، وقال الشيخ نور الدين ملا علي القاري في «شرح المشكاة» ما نصه: قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين بن الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح: إني زرت قبره بنيسابور (يعني مسلم بن الحجاج القشيري) وقرأت بعض صحيح علي سبيل التيمن والتبرك عند قبره ورأيت آثار البركة ورجاء الإجابة في تربته.اهـ، فالإستغاثة عادة جارية بين السلف، لا كما يفهم بعض الناس في الزمان الحاضر، من أنّهم يقولون لا أقوم بالإستغاثة بل

نتوسّل، فهو من عظماء المنافقين والزنديقين، لأنّ الإستغاثة واجب على كلّ مسلم ومسلمة خمس مرات في كلّ يوم وليلة على الأقلّ، وإلى هذا المعنى أشار سيدنا عاشق الرسول عمر بن علي البلنكوتي المليباري الهندي عند زيارته ﷺ حين منع الشرطيّون عن الدخول إلى داخل مقبرته ﷺ، فقال شكاية للنبي ﷺ مستغيثا، فقال شعرا:

صَلَّى الإِلَاهُ عَلَى ابنِ عبد الله ذِي   خُلُقٍ بِنَصِّ اللهِ كَانَ عَظِيمًا

ثم قال:

يَا أَكْرَمَ الكُرَما عَلَى أَعْتَابِكُمْ   عُمَرُ الفَقِيرُ المُرتَجِي لِجَنَابِكُمْ
يَرْجُو العَطَاءَ عَلَى البُكَاءِ بِبَابِكُمْ   وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيهِ سَالَ سَجِيمًا

... فإذاً انفتح باب الروضة الشريفة ودخل داخل الروضة وزار ﷺ. انتهى، وسبب ذلك قال الإمام سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تفارق في الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبوروالاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا ما بالبدن وبالتربة التي دفنت فيها فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات.اهـ، وإلى هذا أشار الإمام الرازي في تفسيره الكبير: فقوله: (أعوذ بكلمات الله التامات) استعاذة من الأرواح البشرية بالأرواح العالية المقدسة الطاهرة الطيبة في دفع شرور الأرواح الخبيثة الظلمانية الكدرة، فالمراد بكلمات الله التامات تلك الأرواح العالية الطاهرة.اهـ (قُلْتُ) لرئيس الزيارة (قِفْ لِي) قف لهذا الفقير كثير الأوقات في مقام الرسول لتكثير الزيارة (يَا دَلِيلُ) أي يا رئيس المراكب والزيارة. وهذا إشارة إلى تكثير الزيارة عندما رحلنا إلى المدينة المنورة وشكايته ﷺ كثيرا، وهو عادة سلف الأمة كماتقدم. قال الإمام أبوبكر الشلي باعلوي في كتابه «المشرع الروي» في مناقب شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس رضي الله عنهم :... وكان مدة مجاورته بمكة يزور النّبيّ ﷺ، وطلب منه شيخه الشيخ ابن حجر أن يبلغ سلامه النّبيّ ﷺ، وأن يدعوله عند القبر الشريف بدعوات أن يعافيه الله من البواسير والقبول في كتبه وقد استجاب الله دعاءه. انتهى «المشرع الروي»، وكذلك ورد عن الخطيب الشربيني شارح منهاج النووي (وَتَحَمَّل) أي اسمح لي

يا رسول الله، حرف عطف وفعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر مفعول به (لِّي) أي لهذا الفقير (رَسَائِلْ) أي إجازة إرسال السلام اليك يارسول الله، شفويا أو كتابة إلى حضرتك كما فعل ساداتنا وكبرانا.

[موقف العلماء في ذلك الأمر]

الصّلاة والسّلام على سيدنا النّبيّ ﷺ من أجلِّ المندوبات التي يحرص عليها المسلم المتمسك بدينه، وقد أمرنا الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم بها، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ الأحزاب، وقد تضافرت النصوص في بيان فضل الصّلاة والسلام على النّبيّ ﷺ، قال النّبيّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» رواه مسلم. وكيفية السّلام على سيدنا محمّد ﷺ لاتنحصر في كيفية أو صورة أولفظ، أو كتابة بل لكلّ مقام مقال، فمن التقاه بالجسد فله حال يناسب ذلك، ومن زار روضته وصلى بجواره عليه الصّلاة والسلام فله حال آخر، وكلّ واحد من المسلمين يحمل بين جوانحه حباً للنبيّ ﷺ، وقد عرف الصّحابة حقيقة الحب للنبي ﷺ، فقد ورد أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النّبيّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا. قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النّبيّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. رواه البخاري. وأمّا من اشتاق لسيدنا النّبيّ ﷺ واشتدّ حبّه له، وتذكر صفاته الإنسانية الجميلة، وأخلاقه العالية النّبيلة، فله أن يقول السلام من ذلك الوقت من غير وكالة فقل: السلام عليك يارسول الله، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام. رواه النسائي، وله ايضا أن يرسل السلام مع من يزور النّبيّ عليه الصّلاة والسلام أو يجاوره شفوياكان أوكتابة، وهذا ما أفتى به علماؤنا الصالحون من أهل المذاهب المعتبرة، جاء في «المجموع» للنووي: "وإن كان قد أوصي بالسلام عليه ﷺ، قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، وفلان ابن فلان، يسلم عليك يا رسول الله، أو نحو هذه العبارة".اهـ ، وقد ذهب الأئمة إلى أن إبلاغ السلام إلى النّبيّ ﷺ واجب على من تحمّل هذه الأمانة، من باب الوفاء بالأمانات، جاء في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: "فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلى النّبيّ ﷺ بأن قال الموصي: قل:

السلام عليك من فلان، أوسلم لي عليه ﷺ، وتحمل ذلك، ورضي به، وجب عليه إبلاغه؛ لأنه أمانة يجب أداؤها، فليقل: السلام عليك يارسول الله من فلان".اهـ، وقال الإمام السمهودي في «الوفاء الوفا»: قال أبو منصور الكرماني من الحنفية: إن كان أحد أوصاك بتبليغ التسليم تقول: السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان، يستشفع بك إلى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع له.اهـ، وقال الشيخ الفاكهاني المشهور في «الفجر المنير»: حكي عن الحافظ أبي الطاهر إسماعيل بن الأنماطي قال: حكى لي (سمجول) هكذا الناسخ: أنه أسرته الروم، فبقي عندهم زماناً؛ ففكر في نفسه، فقال: ليس لي مال، ولا أهل يفكُّوني من هذا الأسر، فما لي إلا أن أكتب ورقة أذكر فيها قصتي وأسيّرها إلى رسول الله ﷺ، قال: فكتبت ورقة بقصة حالي، وسيَّرتها مع بعض التجار الذين كانوا في البلد الذي كنت فيه مأسوراً، وقلت له: إذا وصلت إلى قبر رسول الله ﷺ؛ فعلِّق هذه الورقة على قبر رسول الله ﷺ ففعل ذلك الرجل؛ فلما كان بعد عود الناس من الحج، قدم بعض التجار إلى البلدة التي أنا مأسور بها، وطلبني من الملك، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءني رسول الملك، واستدعاني، وأخذني، ومضى بي إليه، فلما دخلت عليه وجدت عنده رجلاً أظنه من العجم، فقال له الملك: هو هذا؟. قال: ما أدري. فسألني عن اسمي؟ فأخبرته، قال: اكتب خطك حتى أنظر إليه، فلما رأى خطي قال: هو هذا، واشتراني وأخذني، وأخرجني من بلاد الكفار، فسألته ما السبب الموجب لما فعلته معي؟، قال: إني حججت هذه الحجة، وجئت إلى المدينة المنورة لزيارة قبر النّبيّ ﷺ، فلما زرته، جلست عند قبره، وقلت في نفسي: وددت أن رسول الله ﷺ كان حياً وأمرني بحاجة أقضيها له. فبينما أنا كذلك مفكراً، إذ نظرت إلى ورقة معلقة يلعب بها الهواء، فقلت في نفسي: قد رآني رأيته فأمرني بهذه الورقة فأخذتها، ووجدت فيها اسمك وأنت تستغيث برسول الله ﷺ في خلاصك من الأسر، فقصدت البلد الذي ذكرت أنك فيه، فدخلته، وطلبتك من مَلِكِه؛ فلما حضرت وسألتك تحققت أنك كاتب الورقة فاشتريتك، وقلت: هذا الأمر لأجل رسول الله ﷺ.اهـ (أَيُّهَا الشَّوْقُ الْجَزِيلُ) أي العظيم. معنى الشوق: نزوع النفس إلى الشّيء أو تعلّقها به، لهفة لرؤية المحبوب

(نَحْوَ) أي جهة، فهو منصوف على الظرفية متعلق بتحمل (هَاتِيكَ الْمَنَازِلْ) أي المدينة المنورة، والجمع ليس للتعظيم، لأنّ في المدينة المنورة أمكنة تستحبّ زيارتها، قال الشيخ علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني في «الفجر المنير»:

وينبغي لمن قصد الزيارة أن يكثر من الصّلاة على رسول الله ﷺ عند توجهه، وإذا وقع بصره على معالم المدينة وأشجارها فليزد من الصّلاة عليه والتسليم ﷺ، وليسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعه بزيارته، ويسعده بها في الدنيا والآخرة. واستحب بعضهم أن يقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة نبيك ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك، واغفر لي، وارحمني، ياخير مسؤول وأكرم مأمول.اهـ، وقال الإمام النووي في «الإيضاح»: يستحب أن يخرج كلّ يوم إلى البقيع خصوصا يوم الجمعة، ويستحب أن يزور قبور الشهداء بأحد وأفضله يوم الخميس وابتداؤه بحمزة عم رسول الله ﷺ، ويستحب استحبابا متأكدا أن يأتي مسجد قباء وهو في يوم السبت أولى، ناويا التقرب بزيارته والصّلاة فيه، ويستحب أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة، وهي نحو ثلاثين موضعا يعرفها أهل المدينة، فليقصد ما قدر عليه منها، وكذا يأتي الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل فيشرب ويتوضأ وهي سبع آبار.اهـ.

وعبارة الشامي في «سبله»: وكذلك تقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها، ويغتسل، ويشرب، وهي سبع آبار طلبا للشفاء، وتبركا به ﷺ. وقال الحافظ العراقي في المغني: وهي بئر أريس، وبيرحاء، وبئر رومة، وبئر غرس، وبئر بضاعة، وبئر البصة، وبئر السقيا، أو بئر العهن أو بئر جمل، فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاثة.اهـ.

(فِي الْعَشَايَا وَالْبُكُورِ) أي الصباح والمساء. والمقصود من هذا الكلام تكثير الشوق إلى المدينة المنورة، وهو عادة الصلحاء والأخيار كما في حديث المسلم المذكور (كلّ مَنْ فِي الْكَوْنِ) أي كلّ شيئ من مخلوقات الله تعالى في العالم (هَامُوا) اي أحبّوا النّبيّ ﷺ ،محبّة تليق بالمخلوقات (فِيكَ) يا رسول الله (يَا بَاهِي الْجَبِينْ) أي ياحسن الجبين، والمراد وجهه ﷺ (وَلَهُمْ) للمخلوقين (فِيكَ) يارسول الله (غَرَامٌ) أي تعلّق القلب على الوجه الخصوص، ولذا وقعت شكاية الظبية والجذع والجبل حين كان ﷺ في الغار، والحيّة في الغار، وكذلك سلام الحجر (وَاشْتِيَاقٌ) أي رغبة اللقاء (وَحَنِينٌ) أي كآبة تأخذ للنفس بسبب البعد عن الأهل والوطن والحسرة على مافات، مثل موت الأولاد، والمقصود منه الصعوبات، نعم الحنين بالنسبة إلى النّبيّ ﷺ، الحزن على عدم الإطاقة على زيارته ﷺ، وقد رزق لهذا الفقير زيارة الحرمين الشريفين، سنة ١٤٢٢ هـ في كفالة الشيخ عمير بن يوسف الإماراتي رحمه الله تعالى، بواسطة الشيخ/ أبوبكر بن أحمد

الكاندابوراميّ المليباري الهندي (مفتي الأعظم في الدولة الهندية)، حفظه الله من كلّ سوء، وحصلت الإجازات والأثبات عن الشيخين في موسم الحجّ، فالأول: الشيخ السيد محمّد بن علوي المالكي المكي رحمه الله، وحضرت في درس البخاري، وحصلت عنه الإجازات والمسلسلات، سيما إجازة أبواب الفرج، والثاني: شيخنا الكاندابورميّ وحصلت عنه المسلسل في يوم عرفة، وكذلك حضرت معه والسيد تاج العلماء مولانا المرحوم عبد الرحمن البخاري، المشهور بِ" أُضَّاضْ تَغَّضْ"، في روضة من رياض الجنّة، تجاه القبة الخضراء في وقت واحد

(فِي مَعَانِيكَ) متعلق بحائرين، أي في الصفات الحميدة الجميلة الجليلة للرسول ﷺ (الْأَنَامُ) مبتدأ وخبره قد تبدت، أي جميع ما على الأرض (قَدْ تَبَدَّتْ) أي قد ظهرت (حَائِرِينَ) أي متحرين ولم يدركوا سبب ذلك، ولذلك صار بعض العرفاء فانين في محبته ﷺ كالتابعي الجليل أوالصحابي على قول الإمام الشعراني، سيدنا أويس القرني ﵁، لأنّه ﵁ قسّر رباعيته ﵁ لتكسير الكفار رباعيته ﷺ في أحد، فأدّى إجتهاده ﵁ لتكسير رباعيته ﵁، كما فعل بعض الصّحابة في واقعة أخرى (أَنْتَ لِلرُّسُلِ خِتَامٌ) أي أنت يارسول الله خاتِم النّبيّين بدليل قوله تعالى في الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (أَنْتَ لِلْمَوْلَى شَكُورُ) أي أنت يارسول الله، عبد شكور لله تعالى، كما روى البخاري في الصحيح: عن المغيرة ﵁، يقول: إن كان النّبيّ ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أوساقاه فيقال له فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا».

(عَبْدُكَ).

[هل يطلق "عبدك" على الرسول كما في بعض الموالد ؟]

الإطلاق بكاف الخطاب ليس بشرك، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. [الزمر:٥٣]، فالخطاب في الآية للنبي ﷺ، كقوله تعالى عن نبيّ الله عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]، فقد أمر الله تعالى لعيسى عليه السلام أن ينسب الشفاء والإحياء إلى نفسه بسبب المعجزة، لتعليم أمة الإسلام، أنّ المعجزة والكرامة تقعان على الإحياء والإماتة والشفاء ونحو ذلك ممّا

يعجز العقل، لأنّ المعجزة والكرامة لاتقعان إلّا من وراء العقول لأنّ شفاءالأمراض بسبب الرقية الشرعية ليس معجزة ولاكرامة في الإصطلاح، سواء قال الملقّظ لفظة "مشية الله تعالى" في آخر الألفاظ أمْ لَا كما بسط الأئمة في موضعه. وقال علي (ﷺ): أنا عبدُ مَن علّمني حرفا واحدا؛ إن شاء باع، وإن شاء أعتق، وإن شاء استرق. انتهى قاله الإمام الزرنوجي في كتابه المشهور تعليم المتعلم، وكتب عليه الشارح، الإمام الشيخ ابراهيم بن اسماعيل: أي جعلني رقيقا وأسيرا لأخدمه في بابه، وهذا كمال التعظيم، وقد قال عليه السلام من علّم عبدًا آية من كتاب الله فهو مولاه.انتهى «شرح تعليم المتعلم»، وأورده الحافظ ابن كثير في كتابه «جامع المسانيد والسنن»، توثيقا، وروى الطبرانى: عن أبى أمامة. قال رسول الله ﷺ: «من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه، لاينبغى له أن يخذله ولا يستأثره عليه». انتهى «جامع المسانيد والسنن». وقال الإمام السخاوي مستدلا: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم اطلبوا العلم ولو بالصين، أغد عالما أومتعلما كن عالما إنما العلم بالتعلم لايتعلم العلم مستحي ولا متكبر، جالسوا العلماء من جالس عالما فكأنما جالس نبيا، تفقهوا قبل أن تسودوا وبعد أن تسودوا... الدال على الخير كفاعله، علم عبدا آية من كتاب الله فهو له عبد، ما أهدى مسلم لأخيه أفضل من كلمة حكمة، مثل الجليس الصالح والجليس السوء مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة... انتهى «المقاصد الحسنة» للسخاوي. وقال الحافظ في الفتح: المولى المحب والمولى الجار والمولى الناصر والمولى الصهر والمولى التابع والمولى القرار والمولى الولي والمولى الموازى وذكروا أيضا العم والعبد وبن الأخ والشريك والنديم ويلتحق بهم معلم القرآن جاء فيه حديث مرفوع من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه الحديث أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة ونحوه قول شعبة من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد وقال أبو إسحاق الزجاج كلّ من يليك أو والاك فهو مولى.اهـ «فتح الباري». فإن هذا الحديث "من علمني حرفا صرت له عبدا"، فهو ايضا تفسير لحديث آخر وهو: (مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَهُوَ مَوْلَاهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْذُلَهُ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان والشجري في الأمالي من طريق عبيد بن رزين. وأخرجه تمام في "الفوائد"، من طريق عبد الوهاب بن الضحاك: كلاهما عن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاشٍ، قال حَدَّثَنِي

محمّد بْنُ زِيَادٍ الْأَلْهَانِيُّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَهُوَ مَوْلَاهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْذُلَهُ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ ».

فمحط إستدلالنا بهذا الحديث توثيق الحافظ ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير مع أنّ الإمام الزرنوجي وشارحه إستدلا به مع الشاهد المذكور، وهذا كاف لنا في استعمال هذا اللفظ. فلاشك أن مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب: التواضع للعالم، خاصة الذي علم الإنسان أعظم العلم ، وهو العلم بالله، وبكتابه، وسنة نبيه، وما يرضي رب العالمين عنه ومن شيم الكرام : الاعتراف بحق المعلم ، ماعاشوا. وقد ورد عن شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث مثل هذا المعنى. فقد روى الإمام ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن شعبة أنه قال: "من كتبت عنه أربعة أحاديث : فأنا عبده حتى أموت ".اهـ وروى الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» عن شعبة أيضا أنه قال: " كنت إذا سمعت من الرجل الحديث ، كنت له عبدا ما حي، فكلّما لقيته ، سألته عنه".اهـ وقال الإمام الحسين ابن المنصور اليمني في آداب المتعلمين:.... الرابع: إن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، فعن أبي إمامة الباهلي مرفوعاً: من علّم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه. ومن ذلك، إن يعظم حضرته ويرد غيبته ويغضب لها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس، وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه وأولاده بعد وفاته، ويتعاهد زيارة قبره، والاستغفار والصدقة عنه، ويسلك في الهدى والسمت مسلكه، ويتأدب بآدابه، ولا يدع الاقتداء به. انتهى «آداب العلماء والمتعلمين». وفي «بريقة محمودية في شرح طريقة محمّدية» وشريعة نبوية- في السخرية:.. قال عليه الصّلاة والسلام «من علم عبدا آية من كتاب الله تعالى فهو مولاه» ولا ينبغي أن يخذله ولا يؤثر عليه أحدا ومن أسباب انقراض العلم عدم مراعاة حق المعلم. قيل: من تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع به إلا قليلا وينبغي أن يقدم حق معلمه على حق أبويه.اهـ وقال الإمام ابن منظور:حدث عن أبي الحسن أحمد بن أبي رجاء نصر بن شاكر بسنده عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه، لا ينبغي له أن يخذله ولا يتبرأ منه، فإن فعل فقد فصم عروةً من عرى الإسلام. انتهى «مختصر تاريخ دمشق». وقال الإمام حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني :...عن أبي أمامة قال قال رسول

الله ﷺ من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه لا ينبغي له أن يخذله... انتهى «تاريخ جرجان». فلا يخفي على أحد، أن "مقام العبودية" الطوعية هنا لاالعبادة له كما شذّ به بعض الناس (الْمِسْكِينُ) صفة (يَرْجُو فَضْلَكَ) أي عطاءك وجودك، وإليه أشار إمام العارفين في بردته: فَإِنَّ فَضْلَ رسُوْلِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ❁ حدٌّ فَيُعْرب عَنْهُ نَاطِقٌ بفَمِ (الْجَمَّ الْغَفِيرْ) أي الكثير الواسع، صفة للفضل (فِيكَ) يارسول الله ، متعلق بأحسنت (قَدْ) للتحقيق (أَحْسَنْتُ ظَنِّي) أي أنّك شفيع فيّ وفي أهلي وفي أموري (يَا بَشِيرُ يَا نَذِيرْ) فالبشير النذير هو النّبيّ ﷺ، كما قال الله تعالى واصفاً إياه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨]، قال الحافظ ابن كثير عند تفسير البشير النذير قال: تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين.اهـ، وقال الإمام الطبري: مبشراً من اتبعك فأطاعك وقبل منك ما دعوته إليه من الحق بالنصر في الدنيا والظفر بالثواب في الآخرة والنعيم المقيم فيها، ومنذراً من عصاك فخالفك ورد عليك ما دعوته إليه من الحق بالخزي في الدنيا والذل فيها والعذاب المهين في الآخرة.اهـ (فَأَغِثْنِي) أي أنصرني في أموري، والخطاب إمّا لله تعالى، وإمّا للنبيّ ﷺ وكلاهما صحيح (وَأَجِرْنِي) أي أمني مما أخاف في الدنيا والآخرة (يَا مُجِيرُ مِنْ سَعِيرِ) أي يا منقذ من النار، قال الشيخ الفاكهاني في الفجر المنير في الصّلاة على البشير النذير:...فلذلك أمرنا بالصّلاة عليه صلى الله ﷺ مع ما ينضاف إلى ذلك من موضوع العقيدة، وإخلاص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة التي أنقذنا الله بها من الهلكة، ونلنا بها كلّ خير وبركة، ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾. اللهم اجعلنا من خيار أمته، ولا تخالف بنا عن اتباع سنته، يا أكرم الأكرمين. رويناه في كتاب «الشفا» عن ابن عمرﷺ: أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبًّا، فقال: ما هذا؟، قالوا: نبي الله. فقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب؛ وطرحه بين يدي النّبيّ ﷺ ؛ فقال النّبيّ ﷺ: يا ضبُّ؛ فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافي القيامة. قال: من تعبد؟. قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟. قال: رسول رب العالمين، وخاتم النّبيّين، وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم

الأعرابي.اهـ وقال أيضا منقولا: أن رجلاً كان في عسكره لا يدع شاذة ولافاذة إلااتبعها يضربها بسيفه، وقال أصحابه: ما أجزى منا اليوم أحد كما أجزى فلان. فقالﷺ: إنه من أهل النار فأصابته جراحة؛ فاستعجل الموت؛ فاتكأ على ذؤابة سيفه؛ فقتل نفسه.اهـ (يَا غِيَاثِي) أي يامعيني في شدائدي وفي مشقتي، وأنت يارسول الله ناصر ومعين لهذا الفقير، في كلّ أحوالي سيّما عند آجالي وفي برزخي، قال الشيخ علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني الإسكندري في «فجره»، بعد كلام في" فصل في استغاثة من لاذ بقبره واشتكى إليه بفقره وضرره": فلما وصل إلى قبر رسول الله ﷺ، قال: السلام عليك يارسول الله، ثم قرأ عشراً جمع فيه الأئمة السبعة، وقال: هذه قراءتي على فلان بن فلان، عنك، عن جبريل عليكما السلام، عن الله عز وجل، وقد سألت شيخي الإجازة فأبي، وقد استغثت بك يا رسول الله في تخليصها، ثم نام، فرأى النبيّ ﷺ، فقال له: سلّم على شيخك، وقل له: الرسول ﷺ يقول لك: أجزني بلا شيء، فإن لم يصدّقْك، فقل له: بأمارة (زمراً زمراً)، فلما وصل الفقير إلى مصر اجتمع بشيخه، وبلَّغه الرسالة عريَّة عن الأمارة، فلم يصدِّقه، فقال: بأمارة: زمراً زمرا، فصاح الشيخ وخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال أصحابه: يا سيدنا ماالخبر، قال: كنت كثيراً ما تتلو القرآن فمررت يوماً على قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، فحلفت أن لاأقرأ القرآن إلا متدبرا، فأقمت لاأتجاوز من القرآن إلا اليسير مدة طويلة حتى نسيته، فكفَّرت عن يميني، وشرعت في حفظه، فحفظته، فبينما أنا أتلو ذات يوم إذ مررت على قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، الآية. فقلت: ليت شعري من أي الأقسام؟ ثم قلت: لست من الثاني، ولا من الثالث بيقين، فتعين أن أكون من القسم الأول، فنمت تلك الليلة فرأيت النبيّ ﷺ، فقال: بشِّر قراء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمراً زمرا، ثم أقبل على الفقير فقبَّل وجهه، ثم قال: أشهدكم أني قد أجزته ليقرأ ويقريء من شاء، أين شاء، وكلّ ذلك ببركة الاستغاثة بالنّبيّ ﷺ. وحدثت عن الشيخ أبي إبراهيم ذي الكرامات المستفيضة بالمغرب؛ أنه حج مع رفقة؛ فلما وصلوا إلى مكة وقضوا حجَّهم وزاروا، سافر أصحابه وتركوه، لقلة ما بيده؛ فأتى إلى النّبيّ ﷺ، واستغاث به، وقال: يارسول الله أما ترى أصحابي سافروا وتركوني؟، قال: فرأى النّبيّ ﷺ في النوم؛ فقال له: اذهب إلى مكة، فإذا أتيت إلى زمزم تجد عليها رجلاً

يسقي الناس فقل له: إن رسول الله ﷺ يقول لك: احملني إلى أهلي.قال: فجئت إلى مكة، فأتيت زمزم، فلما رآني قال لي قبل أن أسأله: ترفق علي قليلاً حتى يفرغ الناس؛ فلما فرغ ودخل البيت، قال لي: ودِّع البيت، واخرجْ بنا إلى أعلى مكة؛ ففعلت، وخرجت معه أتبع أثره، فلما كان عند الصباح إذا أنا بواد فيه أشجار ومياه، فقلت: ما أشبه هذا بوادي شفشاده، فإذا هو وادي شفشاده، فجئت إلى أهلي فأخبرتهم، فتعجبوا من ذلك، وعجب الناس، فسألوني عن الرفقة؟ فأخبرتهم أنهم تركوني عند النّبيّ ﷺ، فمنهم المصدِّق، ومنهم المكذِّب. فبعد مدة وصل رفاقي فأخبروهم الخبر، هذا أو معناه.

ولما نزل أبو عزيز قتادة المدينة ورام أخذها؛ فدخل من باب البلاط إلى باب الجديد، وتملك نصف المدينة، وجاء بعض الخدام اسمه بشري؛ فأخذ صبيان الكتاب، ودخل بهم إلى رسول الله ﷺ، وجعل العمامة في أعناقهم، فجعلوا يقولون: استجرنا بك يارسول الله. ثم إن رجلين شريفاً ومولى، ردَّا العسكر إلى أن رجع عن المدينة، ولو تبع هذا وصرفت إليه العناية لانصرفت عنه العناية. وروي عن الشريف أبي محمّد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسني القابسي أنه قال: أقمت بمدينة النّبيّ ﷺ ثلاثة أيام، لم أستطعم فيها، فأتيت منبره ﷺ، فركعت ركعتين، ثم قلت: يا جدي جعت وأتمنى عليك ثريداً. ثم غلبتني عيناي، فبينما أنا نائم وإذا برجل يوقظني، فانتبهت؛ فرأيت معه قدحاً من خشب فيه ثريد ولحم وسمن، وقال لي: كل، قلت: من أين هذا؟، قال: إن صغاري لهم ثلاث أيام يتمنون هذا الطعام، فلما كان اليوم فتح لي بشيء عملته به، فنمت فرأيت النّبيّ ﷺ في النوم وهو يقول: إن أحد إخوانك تمنى هذا الطعام فأطعمه منه.اهـ ففيه تفصيل في كتابي «الدرة المضيئة عن التوسل والإستغاثة» (يَامَلاَذِي) أي ملجئي، في حياته ﷺ وبعد وفاته ﷺ ، قال االفاكهاني: فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت مع النّبيّ ﷺ في غزاة تبوك، فقال المسلمون: يارسول الله عطشت دوابنا وإبلنا، فقال: عَليَّ مِن فضلة ماء، فجاء رجل بشيء من الماء في شيء، فقال: هاتوا صحفة، فصب الماء، ثم وضع راحته في الماء، قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه، قال: فسقينا إبلنا ودوابنا، وتزودنا، فقال: أكفيتم؟، فقالوا: نعم اكتفينايا نبي الله، فوضع يده فارتفع الماء. وأن الله تعالى أمر ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النّبيّ ﷺ، فسترته، وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار.وروي عن ابن عباس ﷺ: أن أبا بكر كان مع رسول الله ﷺ في الغار، فعطش أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ : اذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر:

فانطلقت إلى صدر الغار، فشربت ماء أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأزكى رائحة من المسك. ثم عدت إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشربت؟ فقلت: شربت يارسول الله، فقال: ألا أبشرك؟، فقال: بلى، فداك أبي وأمي يارسول الله. قال: إن الله أمر الملك الموكّل بأنهار الجنة أن يخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب يا أبا بكر، فقال أبو بكر: أولي عند الله هذه المنزلة؟ قال:نعم، وأفضل، والذي بعثني بالحق نبياً لايدخل الجنة مبغضك، ولو كان له عمل سبعين نبياً. وخرج الرجل وأصاب أهل المدينة سنة وجهد، قال: فأخرجها أبي وأنفقها. قال: فلم يلبث الرجل أن قدم فطلب ماله، فقال له أبي عد إلي غداً. قال: وبات في المسجد متلوذاً بقبر رسول الله ﷺ مرة، وبمنبره مرة، حتى كاد يضج، فإذا شخص في السواد يقول: دونك هايا محمّد؛ فمد يده فإذا صرة فيها ثمانون ديناراً. قال: وغدا عليه الرجل فدفعها إليه.اهـ ما في «الفجر المنير» (فِي مُلِمَّاتِ الْأُمُورِ) أي في شدائد الشؤون والنازلات (فَازَ عَبْدٌ قَدْ تَّمَلَى) حرف تحقيق، أي أي سعد شخص الذي إستمتع بمحبته ﷺ كسيدنا محمّد بن محمّد بن أبي بكر بن رشيد، أبو عبد الله، مجد الدين الوتري صاحب القصيدة الوترية، ونقل العلامة النبهاني في المجموعة عنه: إنه رأي النبّيّ ﷺ بعد فراغه منها وهي في يده الشريفة ومعه جماعة من أصحابه عرف منهم ابابكر الصديق ﷺ فلما رآني قام إليّ ضاحكا مستبشرا ثم جعل يدفعها إلى واحد واحد من أصحابه يقول لهم "انظروا بأي شيئ مدحت وما قيل فيّ ثم رآه مرتين وهو ﷺ يقول له: قد شفعني الله في أهلك وزوجك وخادمك وفي جميع اصحابك.اهـ (وَانْجَلَى عَنْهُ الْهُمُومُ) أي انكشف عن الشخص أو العبد الأحزان بسبب المحبة النبوية (فِيكَ) متعلق بمحذوف أي همت (يَابَدْرٌ) وصف من أوصاف الرسول ﷺ، لقوله، وعن أشعث عن أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو أحسن كان في عيني من القمر.وفي لفظ قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أماثل بينه وبين القمر. رواه الترمذي في «الشمائل» (تَجَلَّى) أي ظهر في وجود الأكوان (فَلَكَ الْوَصْفُ الْحَسِينُ) مبتدأ وخبر وصفة، أي فلك يارسول الله ثناء جميل لوصفه الجميل (لَيْسَ) أي ليس أحد (أَزْكَى) أي أصفي (مِنْكَ) يارسول الله (أَصْلاً) سواء كان الأنبياء أو الأولياء أو الآباء أو الأمهات (قَطُّ) تأكيد (يَاجَدَّ الْحُسَيْنِ) ﷺ (فَعَلَيْكَ اللَّهُ صَلَّى دَائِمًا طُولَ الدُّهُورِ) أي دائما في كلّ أزمان (يَا وَلِيَّ

الْحَسَنَاتِ) الخطاب إمّا الله سبحانه وتعالى على سبيل التضرع والإبتهال أوالرسول ﷺ كلاهما صحيح، فالأول ظاهر والثاني لحديث المسلم «وإنَّمَا أَنا قاسِمٌ وَاللَّه يُعْطِي» (يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ) معناه بالنسبة إلى الله: ياالله إنك رفيع لفظا ومعنى لأنّه ربّ غفور رحيم، والمعنى بالنسبة إلى الرسول: أنّه رفيع بالنبوة والرسالة وختم النبوة (كَفِّرْنْ عَنِّي ذُنُوبِي) أي ستّر عن العباد أوزارهم يا الله، أو ببركة الرسول يا الله، وهكذا ما يلي (وَاغْفِرَنْ لِي سَيِّئَاتِي) أي لهذا العبد الأوزار (أَنْتَ غَفَّارُ الْخَطَايَا) لقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. أوالمعنى: أنت سبب ستّار الذنوب بشفاعتك يارسول الله، فالإسناد على سبيل المجاز كما في الآية المذكورة في حق عيسى عليه السلام (وَالذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ) أي المعاصي المهلكات، لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (أَنْتَ سَتَّارُ الْمَسَاوِي) أي المعايبُ والنقائصُ (وَمُقِيلُ الْعَثَرَاتِ) أي الزلات (عَالِمُ السِّرِّ وَأَخْفي) أي الظاهر والباطن، أمّا بالنسبة إلى الرسول ﷺ فالحديث المشهور: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصّلاة فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ: بَلِيتَ؟ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ حَرَّمَ عَلَى الأرض أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ». رواه أبو داود والنسائي وصححه في «إرواء الغليل»، فالرسول ﷺ حيٌّ في قبره كحياتنا الدنيوية، ولانعلم صورة الحياة، لأنّ عالم البرزخ غيب فيجب على المؤمنين الإيمان على الغيب، ولهم في العالم البرزخية كلام وسماع ومزاح وأني وأنيس كما في الجنة، لانعلم صورتها حقيقة، لأنّ البدريّين جاؤوا إلى جنازة عمر بن عبد العزيز ﷺ، وتكلّم معهم بعض الصّحابة رضي الله عنهم كما بسطت في «شرح مولد بدر» (مُسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ) أمّا الأول: فظاهر، وأمّا الثاني: أي مستجيب النداء، قال الإمام الآجري والإمام الرازي وابن الجوزي وغيرهم بموقف صحيح: وأوصى أبوبكر الصديق ﷺ، أن يدفن إلى جنب رسول الله وقال إذا أنا مت فجيئوا بي على الباب يعني باب البيت الذي فيه قبر رسول الله ﷺ فادفعوه فإن فتح لكم فادفنوني قال جابر فانطلقنا فدفعنا الباب وقلنا هذا أبو بكر الصديق قد اشتهى أن يدفن عند النبيّ ﷺ، ففتح الباب ولا ندرى من فتح لنا

وقال لنا ادخلوا ادفنوه كرامة ولا نرى شخصا ولا نرى شيئا. كذا في «الصفوة»، وفي شواهد النبوّة سمعوا صوتا يقول ضموا الحبيب إلى الحبيب.اهـ (رَبَّنَا ارْحَمْنَا جَمِيعًا بِجَمِيعِ الصَّالِحَاتِ) وهذا الخطاب مختصّ بالله تعالى بدليل القرينة الصارفة، لإظهار الفرق بين العبد والإله.

(فَلَمَّا أَشْرَقَ نُورُهُ فِي الْوُجُودِ) عطف على محذوف،أي لمّا ظهر روح النّبيّ ﷺ، وجسده إلى عالم الدنيا (أَذْعَنَ لِلَّهِ بِالسُّجُودِ) أي خضع لله تعالى بالسجود كما أورد الإمام السيوطي: اخرج عن موسى بن عبيدة عن أخيه قال لما ولد رسول الله ﷺ فوقع إلى الأرض وقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء وقبض قبضة من التراب بيده فبلغ ذلك رجلا من لهب فقال لصاحب الخبر لئن صدق هذا الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الأرض .اهـ (وَلَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهُ مَوْلُودٌ) أي قبلُ ولابعدُ (ثُمَّ أَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى السَّمَاءِ) أي أشار بإصبعيه إلى نحو السماء، لأنّه قبلة الدعاء، فقد أخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء قالت لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله.اهـ «الخصائص»، وفي «المواهب» للقسطلاني: أنه وقع إلى الأرض ساجدا رافعا أصبعيه كالمتضرع المبتهل.اهـ وفي «شفاء السقيم»: ومن عجائب ولادته، ما رواه الطبراني أنه لما وقع على الأرض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبّح بها. ومنها ما في سيرة الواقدي أنه ﷺ تكلّم في أول ما ولد وفي الروض للسهيلي عن الواقدي: أول ما تكلّم به النّبيّ لما وجد: جلال ربي الرفيع. وفي رواية: لما وقع على الأرض رفع رأسه وقال بلسان فصيح: لا إله إلّا اللّه واني رسول اللّه. وعند ابن عائذ: أول ما تكلّم به: اللّه أكبر كبيرا والحمد للّه كثيرا وسبحان اللّه بكرة وأصيلا. ويمكن الجمع بأنه تكلّم بالجميع لكن يؤخذ من بعض الروايات أن الذكر الأخير تكلّم به عقب فطامه من الرضاع، ومنها نطق الملائكة عند ولادته بالصّلاة عليه ﷺ كما ذكرته أم عبد الرحمن بن عوف، وهي الشفاء، قابلته ﷺ، قالت: لما ولدت آمنة رسول اللّه ﷺ وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول: رحمك اللّه، وأخبرت أنها رأت النجوم نزلت إليه عند ولادته وأنه خرج منه نور عظيم رأوا به قصور بصرى من أرض الشام وهم بمكة، وأنه ولد ساجدا رافعا طرفه إلى السماء وأن الملائكة عند ولادته نطقوا بالصّلاة عليه صلى الله عليه وسلم.اهـ، ولهذا الأثر روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أهمه أمر رفع طرفه إلى السماء فقال: «سبحان الله العظيم» وإذا

اجتهد في الدعاء قال: «يا حي يا قيوم».اهـ مستفاد من السير(فَوُلِدَ مَخْتُونًا مُكَحَّلاً) أي بكحل الهداية (مَدْهُونًا) بدهن الولاية (مُعَطَّرًا) بعطر المعجزة والكرامة (مُكَرَّمًا) أي معظّما (وَخَرَجَ مِنْ ثَغْرِهِ) أي من جهة فمه ﷺ (نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) قال الإمام الحلبي: وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام قال الحافظ العراقي وسيأتي أنها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكون طرقه متصلة ويجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته أي وكلاهما يقظة ولامانع من ذلك أو هذه أي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين.اهـ (وَخَرَّتْ لِهَيْبَتِهِ جَمِيعُ الصُّلْبَانِ وَالْأَصْنَامِ) أي سقطت جميع الآلهة في الدنيا ذليلا لعظم ولادته ﷺ، أخرج البيهقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام وغاضت بحيرة ساوة فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشجعا فلما عيل صبره رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه وأخبرهم بما رأى فبينما هم كذلك إذ ورد عليه الكتاب بخمود النار فازداد غما إلى غمه فقال له الموبذان وأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فقال أي شيء يكون يا موبذان قال حادث يكون من ناحية العرب. اهـ من الخصائص وفي تاريخ الخميس: في ليلة ميلاده ﷺ صارت الشياطين وكبيرهم إبليس محجوبة من السماء مرمية بالشهب الثواقب وكانت قبل تصعد فتسترق السمع قال الشيخ الزرندى في كتاب الأعلام كان من أعظم الحوادث عند مولد النبيّ ﷺ انشقاق إيوان كسرى ثم بقاؤه كذلك إلى زماننا سنة ست وأربعين وسبعمائة ثم الله أعلم إلى أيّ زمان يبقى. روى مخزوم بن هانئ المخزومى عن أبيه وكانت له مائة وخمسون سنة قال لما ولد رسول الله ﷺ ارتجس ايوان كسرى أنوشروان فسقطت منه أربع عشرة شرفة وكانت له اثنتان وعشرون شرفة وانشق بحيث سمع صوته وبقى كذلك آية وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة وغاضت بحيرة ساوة وهى بين همدان وقم وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت يعبر عنها بالسفينة.اهـ من «تاريخ الخميس» (وَأَصْبَحَ كلّ جَبَّارٍ بَعْدَ عِزَّتِهِ ذَلِيلاً) أي عاقبتها وقعت كذلك (وَمُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ أَنْ تَسْتَرِقَ) أي

خطف السمع من مجمع أخبار الملائكة ففي «شرح البرزنجي»: الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم.اهـ وفي «البداية» لابن كثير: فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الانسي.اهـ (السَّمْعَ فَلَمْ تَجِدْ بَعْدَ ذَلِكَ إلى السَّمَاءِ وُصُولاً) بل إلى جهة السماء كما هو شاهد لبعض الرجال (فَلَمَّا بَدَتْ أَنْوَارُ غُرَّتِهِ الْبَهِيَّةِ) أي لمّا ظهرت أضواء القمر المحمّدية (وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ طَلْعَتِهِ الْعُلْوِيَّةِ) مترادف، والألفاظ المترادفة في مقام المدح في مقام الإستئناف (أَضَاءَتْ بِمَوْلِدِهِ ظُلَمُ الْحَنَادِسِ) أي تنوّر بمولده ظلم الليالي (وَانْشَقَّ) أي سقط (إِيوَانُ) وهو بيت عظيم (كِسْرَى وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ) أي سكنت النار (وَكُسِرَتِ الصُّلْبَانُ) أي صلبان النصارى (تَعْظِيمًا لِقُدُومِهِ وَتَوْقِيرًا) لقدومه ﷺ إلى عالم الوجود الذاتي (وَنَادَى الْمُنَادِي) أي ملك من ملائكة (فِي الْأَكْوَانِ تَنْبِيهًا لِأُمَّتِهِ عَلَى كَرَامَتِهِ وَتَذْكِيرًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾) قال الإمام المناوي في مولده: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما ولد محمّد ﷺ نادى المنادي تنبيها على رضاعة درّته اليتيمة الفرديّة، فقالت الملائكة: ربّنا مرنا أن نحمله إلى السماوات ونقوم بتربيته حقّ القيام. وقال الغمام: ربّنا مرنا أن نحمله معنا إلى جوانب الأرض الشرقيّة والغربيّة. وقالت الوحوش: ربّنا مرنا أن نحمله إلى أوكارنا. وقالت الطّيور: ربنا مرنا أن نحمله إلى أعشاشنا ونلتزم بكفالته حق الالتزام. فخرج النداء بلسان حال القدرة الإلهيّة: معاشر الخلائق قد جعله الله رضيعا لحليمة، فكان لها بذلك الحظّ الأوفر و الاغتنام.اهـ، والآيات القرآنية التي ساقت لعظم شأنه ﷺ (فَلَكَمْ) أي المؤمون، وهذه الأشعار من بحر الكامل، مقتبس من النثر السابق (لَهُ) ﷺ (مِنْ آيَةٍ مَشْهُورَةٍ) المذكورة قبلُ (نَصُّ الْكِتَابِ) أي نصوص من القرآن، مبتدأ مؤخّر (بِهَا غَدَا مَسْطُورًا) أي بالآيات المذكورة قبلُ صارت سيرته ﷺ منشورا في بطون الكتب (خَمَدَتْ لَهُ نَارُ الْمَجُوسِ وَنُكِّسَتْ) تقدّم البيان (أَصْنَامُهُمْ) فاعل نكّست، أي أصنام المشركين (فَدَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا) أي فنادوا عند رؤية ذلك من الهالكين (وَأَتَى يُبَشِّرُ بِالْهِدَايَةِ وَالتُّقَى) أي ظهر ﷺ بفص النبوة في هذه الدنيا يبشّر بفرح الهداية والتقوى (فَلِذَاكَ يُدْعَى هَادِيًا وَبَشِيرًا) فلسبب ذلك يوصف هاديا وبشيرا ونذيرا (وَلَمَّا وُلِدَ ﷺ سَأَلَ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ رَضَاعَتَهُ) أي إرضاعه، قال الإمام الديابكري في تاريخه: وفي «المواهب اللدنية» لما ولد ﷺ قيل من يكفل هذه الدرّة اليتيمة التى لا يوجد لها مثل ولا

قيمة.. قالت الطيور نحن نكفله ونغنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش نحن أولى بذلك نثال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة أن يا جميع المخلوقات إنّ الله كتب في سابق حكمته القديمة أنّ نبيّه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة. روى عن مجاهد أنه قال قلت لابن عباس أوقد تنازعت الطيور في إرضاع محمّد ﷺ فقال أي والله وكلّ نساء الجنّ وذلك أنه لما نادى الملك في سماء الدنيا هذا محمّد سيد الأنبياء طوبى لثدي أرضعته.. تنافست الجنّ والطير في إرضاعه فنوديت أن كفوا فقد أجرى الله ذلك على أيدى الإنس فخص الله تعالى بتلك السعادة وشرف بذلك الشرف حليمة بنت أبى ذؤيب. روي أنه كان من عادة أشراف قريش وديدن صناديدهم أن يدفعوا أولادهم الرضعاء إلى المراضع ليتيسر اشتغال نسائهم بالأزواج في كلّ الحال بحضور القلب وفراغ البال ولازدياد النسل والأولاد وبقائهم مصونة عن مضرة الغيل والفساد ولنشوهم في القبائل المعروفة بلادهم بطيب الهواء وقلة الرطوبة وعذوبة الماء إذ لها مدخل عظيم وتأثير بليغ في فصاحة المولود ولهذا قال ﷺ أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بنى سعد بن بكر وكانت مشهورة بين العرب بكمال الجود وتمام الشرف وكانت نساء القبائل التى حوالي مكة ونواحي الحرم يأتينها في كلّ عام مرّتين ربيعا وخريفا يلتمسن الرضعاء، ويذهبن بهم إلى بلادهنّ حتى تتمّ الرضاعة. وفي «المواهب اللدنية» قالت حليمة فيما رواه ابن إسحاق وابن راهويه وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم قدمت مكة في نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على أتان لى ومعى صبى لى وشارف لنا والله ما تبض بقطرة لبن وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك لا يجد في ثديى ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة إلّا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل يتيم فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلّا أخذت رضيعا غيرى فلم أجد غيره قلت لزوجى والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه رائحة المسك وتحته حريرة خضراء وهو راقد على قفاه يغط فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر إلي، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر إليه فقبّلته بين عينيه وأعطيته ثديى الأيمن فأقبل عليه بما شاء من اللبن فحوّلته إلى الأيسر فأبى

وكانت تلك بعد عادته. قال العلماء فأعلمه الله أن له شريكا فألهمه العدل فروى وروى أخوه ثم أخذته فما هو إلّا أن جئت به رحلي فقام صاحبى تعنى زوجها إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى روينا، وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي: يا حليمة والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة، ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا. وفي رواية ذكرها ابن طغريك في «النطق المفهوم» فلما نظر صاحبي إلى هذا قال اسكتي واكتمي أمرك فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الأحبار قوّاما على أقدامها لا يهنؤها عيش النهار ولا نوم الليل. وفي «شواهد النبوّة» قالت حليمة فلما ذهبت بمحمّد إلى منزلي مكثنا بمكة ثلاث ليال. انتهى، قالت حليمة فودّعت النساء بعضهنّ بعضا وودّعت أنا أم النبىّ ﷺ ثم ركبت أتانى وأخذت محمّدا ﷺ بين يدىّ قالت فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ثم مشت حتى سبقت دوابّ الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني، وتقول النساء لي وهنّ ورائي يا بنت أبى ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طور أو ترفعك أخرى، فأقول: تالله إنها هي، فيتعجبن منها ويقلن إنّ لها لشأنا عظيما، قالت: فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله إن لي لشأنا ثم شأنا بعثنى الله بعد موتى وردّ لي سمني بعد هزالي، ويحكنّ يا نساء بني سعد إنكنّ لفي غفلة عظيمة وهل تدرين من على ظهري، على ظهري خير النّبيّين وسيّد المرسلين وخير الأوّلين والآخرين وحبيب رب العالمين.اهـ ما في «تاريخ الخميس» (وَسَأَلَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَرْبِيَتَهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ أُرَبِّيَهُ مِنْ غَيْرِ رَضَاعٍ وَلاَ سَبَبٍ) تبكتا لهم على الحقيقة (وَلَكِنْ سَبَقَتْ كلمَتِي) أي قضائي (وَتَمَّتْ حِكْمَتِي) أي علمي (وَكَتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فِي الْأَزَلِ) أي في كتابي مبرما (أَنْ لاَ يُرْضِعَ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ الْيَتِيمَةَ غَيْرُ أَمَتِي حَلِيمَةَ) بنت أبي ذؤيب من قبيلة بني سعد بن بكر، وزوجها هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة، وهي أشهر مرضعات النّبيّ ﷺ، فهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه، وقد رأت هي وزوجها بشارات ودلائل على فضل وبركة النّبيّ ﷺ في فترة رضاعته، وقد روي في ذلك حديث حليمة السعدية الطويل المشهور الذي رواه كافة أهل السير، وقال عنه الحافظ الذهبي: "هذا حديث جيد الإسناد"، وقال الحافظ ابن كثير: هذا الحديث قد روي من طرق أخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السيرة والمغازي"، وفيه: "أنها (حليمة السعدية) خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في

نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء. قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان (أنثى الحمار) لي قمراء (بياض فيه كدرة)، ومعنا شارف (ناقة مسنة) لنا، والله ما تَبِضّ بقطرة (ما ترشح بشيء)، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أذَمَّتْ بالركب (تأخر الركب بسببها) حتى شقَّ ذلك عليهم، ضعفاً وعجفاً هزالا)، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلّا وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجَدُّه، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلّا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره . قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حال، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريَّاً وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذْتِ نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني (أنثى الحمار)، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أرْبِعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (شديدا). قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على

مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلّمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا. اهـ. فلاشكّ أن إرضاعها النّبيّ ﷺ من تفضُّل الله عليها وهي منقبة عظيمة لها، وقد حصل لها من الخير والبركة بمقدمه ﷺ عليها ماهو مشهور معلوم ، قال الحافظ ابن كثير في سيرته: "والمقصود أن بركته عليه الصّلاة والسلام حلّت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير، ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضلُه حين أسرهم بعد وقعتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر. فمنّوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم".اهـ. روى البيهقي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحُنَيْنٍ، فَلَمَّا أَصَابَ مِنْ هَوَازِنَ مَا أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَسَبَايَاهُمْ أَدْرَكَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَنَا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلاَءِ مَالَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. وَقَامَ خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالاَتُكَ وَعَمَّاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللاَّتِى كُنَّ يَكْفُلْنَكَ وَذَكَرَ كلامًا وَأَبْيَاتًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ فَقُومُوا وَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا سَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ). فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَقَالُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ). وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَتِ الأَنْصَارُ: وَمَاكَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.اهـ من السير، وقال الحافظ ابن كثير في سيرته: وسيأتي أنه عليه الصّلاة والسلام أطلق لهم الذرية، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، أعطاهم أنعاما وأناسي كثيرا، حتى قال أبو الحسين بن فارس: فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ: خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كلّه من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة".اهـ (فَطُرْقُ الْوَصْلِ) الفاء سببية، أي وصل حليمة السعدية إلى إرضاع الرسول (أَضْحَتْ مُسْتَقِيمَة) أي صارت معتدلة بل كان الرسول عندها أعلى من الأبناء (وَأَسْرَارُ الْهَوَى) أي أسباب محبّتها له ﷺ (عِنْدِي مُقِيمَة) أي ثابت عندي من كتب السير.

(فَلاَ تَخْشَى) أي أنتِ يا حليمة السعدية (صُدُودًا مِنْ حَبِيبٍ) أي إعراضا وردودا من حبيب الله، بل وقع وفاقا عظيما (لَهُ نِعَمٌ) أي للحبيب ﷺ نعمة كثيرة من الله وفضل

كثير(بِمَا أَوْلَى) أي بما أعطى ربّ البرية (عَمِيمَةٌ) أي نعمة كثيرة (إِذَا زَلَّتُ عَبْدٍ) أي وقعت الزلات من العبد (بَاعَدَتْهُ) أي العبد عن الخير (تُقَرِّبُهُ عَوَاطِفُهُ) أي حسنات العبد (الرَّحِيمَة) صفة للعواطف (وَإِنْ عَثُرَ) أي إن ظهر (الْعَجُولُ) أي الثكل (بِسُوءِ فِعْلٍ) أي بسبب فعل سوء (يُلَاطِفُهُ بِأَوْصَافٍ كَرِيمَة) أي العبد (وَإِنْ يَشْكُ الْغَرَامَ) مفعول مقدّم، أي تعلّق القلب (حَلِيفُ) فاعل مؤخر(شَوْقٍ) أي حزن (يُقَرِّبُهُ) أي العبد (وَيَجْعَلُهُ نَدِيمَة) أي يجعله جليسا (قَالَ أَهْلُ السِّيَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم: وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ عَادَاتِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا بِالْأَطْفَالِ إِلى الْمَرَاضِعِ) قال الإمام السهيلي: وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها: تفريغ النساء إلى الأزواج كما قال عمار بن ياسر لأمّ سلمة ﷺ وكان أخاها من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة، فقال دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ وقد يكون ذلك منهم أيضا لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية كما قال عمر ﷺ تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا. رواه ابن أبي داود. وقد قال عليه السلام لأبي بكر ﷺ حين قال له ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال وما يمنعني، وأنا من قريش، وأرضعت في بني سعد فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات. وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول أضر بنا حب الوليد لأن الوليد كان لحانا، وكان سليمان أقام مع أمه وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعربوا، ثم أدبوا فتأدبوا، وكان من قريش أعراب ومنهم حضر فالأعراب منهم بنو الأدرم وبنو محارب، وأحسب بني عامر بن لؤي كذلك لأنهم من أهل الظواهر،وليسوا من أهل البطاح.اهـ (قَالَتْ حَلِيمَةُ فَأَصَابَتْنَا فِي بَنِي سَعْدٍ سَنَةٌ) أي عظيمة الفقر (شَهْباءُ) أي زمن كثير الحرارة قد غيّرت ألوان البلد (مُغْلِيَةٌ) صفة شهباء، كالمياه الساخنة، والمراد لازمه وهو كثير الحرارة، وهو ستون درجة من الحرارة أو فوقها (لِعَدْمِ الْغَيْثِ) في زمان الربيع (فَجِئْنَا إِلى مَكَّةَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ اِمْرَأَةً مَعَ كلّ اِمْرَأَةٍ مِنَّا بَعْلُهَا) الفاء للسببية أي جماعة من النساء مع أزواجهم (نَلْتَمِسُ) الجملة حالية (الرُّضَعَاءَ) جمع رَضيع، مفعول لما قبله (وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ بِأَطْفَالِهِمْ إِلى الْمَرَاضِعِ) موضع معيّن حول الكعبة، لعلّه جهة شارع أجياد كما يقال (فَوَضَعُوهُمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَسَبَقَنِي النِّسَاءُ إِلى كلّ رَضِيعٍ بِمَكَّةَ وتَأَخَّرْتُ أَنَا لِضُعْفِي وَضُعْفِ أَتَانِي) أي الإتيان (لِقِلَّةِ سَيْرِهَا) أي سير حليمة السعدية لسبب الفاقة لضغف

القوة (وَجِئْتُ) إلى موضع الرضاع تأخّرا (أَنَا فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الرُّضَعَاءِ) أي لم أجد طفلا للرضاعة (وَسَمِعَتْ آمِنَةُ) من بيتها على جهة جوار النساء (بِقُدُومِنَا) إلى موضع الرضاع (فَقَالَتْ) آمنة ﵂ (لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ)جدّ النبيّ ﷺ (أُنْظُرْ لِمَوْلُودِكَ مُرْضِعَةً مِنْ بَنِي سَعْدٍ) اختر يا عبد المطلب للرضاعة من بني سعد (فَقَدْ قَدِمَتِ الْمَرَاضِعُ السَّعْدِيَّاتُ) إلى حضرة عبد المطلب ﵁ (أُنْظُرْ لِمَوْلُودِكَ مُرْضِعَةً مِنْ أَشْرَفِ الْبَرِيَّاتِ) من هذه النساء (فَخَرَجَ عَبدُ الْمُطَّلِبِ يَمْشِي إِذْ سَمِعَ هَاتِفًا) الهاتف إما أن يكون جنّا أو الخضر أو الملك وهو الأليق (يَقُولُ لَهُ) يقول الملك لعبد المطلب (أُنْظُرْ إلى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّة) نسبة لجدها السابع سعد بن بكر لأنه أشهر آبائها و به عرفت القبيلة بأسرها، وبنو سعد من أكرم العرب وأفصحهم، وحليمة من أوسطهم ولذا اختارها الله تعالى لرضاعه ﷺ ؛ لأن الرضاع يؤثر في الطباع، وكان من عادة نساء قريش دفع أولادهن إلى المراضع من غير قبيلتهم؛ لينشأ الولد عربيا فيكون أنجب ولسانه أفصح كما في الحديث: «أنا أعربكم؛ أنا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر».اهـ «الكوكب الأنور» (تُرْضِعُ اِبْنَ آمِنَةَ الْأَمِينَ محمّدا ﷺ خَيْرَ الْأَنَامِ) أي خير الخلق (وَصَفْوَةَ الْجَبَّارِ) أي من خيار الله تعالى بالنبوة والرسالة والختمية. وهذه القصة مذكورة في «سبل الهدى والرشاد» للامام الشامي وفي «المواهب» للقسطلاني وفي «تاريخ الخميس» مبسوطا للامام الدياربكري، والمصنّف قد غيّرت العبارة منقولة إلى مولده رحمه الله تعالى (مَا إِنْ لَهُ) إن زائدة للبيت،أي ليس له ﷺ (إِلاَّ حَلِيمَةَ مُرْضِعٌ) مبتدأ مؤخّر،أي ليس له مرضع إلّا الحليمة (نِعْمَ النَّبِيّ الْمُصْطَفي الْمُخْتَارِ لاَ تُسْلِمُوهُ إِلى سِوَاهَا) وهو خطاب من الله لأمه ﷺ كما تقدّم الرواية: إن الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة. قاله الإمام القسطلاني في مواهبه وغيره من الأئمة (إِنَّهُ) ﷺ (أَمْرٌ وَحُكْمٌ) أي نبيّ من الشريعة الغراء (جَاءَ مِنْ قَهَّارٍ) جاء من الله تعالى، واستعمل المصنّف من أوصافه "القهار" دون غيره، إشارة إلى الجزاء في الآخرة إيجابيا أوسلبيا فاختار جهة السلبية (قَالَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيّةُ: ثُمَّ إِنّي مَرَرْتُ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ رَضِيعِ أَرْضِعُهُ فَقَالَ: مَااسْمُكِ وَمَا عَرَبُكِ) أي من أيّ قبيلة (فَقُلْتُ اِسْمِي حَلِيمَةُ وَعَرَبِي) أي قبيلتي (بَنُو سَعْدٍ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا) أي ضحكا وسطا وهو عادات الأشراف (وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ فَرَحًا) أي تقرّ عينه ووجهه دموحا فرحا برسول الله، موافقا للمنام (فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ) اسم فعل للمدح والإعجاب والرّضا بشيء (لَكِ يَاحَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، هَلْ لَّكِ فِي

إِرْضَاعِ غُلاَمٍ يَتِيمٍ) أي هل تمكن لك أن ترضع لغلام يتيم، فإذا كان الأمر كذلك تكون من الناصرين (تَسْعَدِينَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالِي) فوقع ماقال جده عبد المطلب ﷺ (يَارَبِّ صَلِّ عَلَى النّبِيّ محمّد ** مُنْجِي الْخَلاَئِقِ مِنْ جَهَنَّمَ فِي غَدٍ) لهذا البيت أنس عظيم إذا قرئ جوابا (فَازَتْ حَلِيمَةُ مِنْ رَضَاعِ محمّد) ﷺ (خَيْرِ الْوَرَى طُرًّا) أي جميعا (بِأَعْظَمِ مَقْصَدٍ) أي بإرساله إلى الخلق (وَرَأَتْ مِنَ الْبَرَكَاتِ حِينَ مَضَتْ بِهِ) أي حين الرضاعة له ﷺ (فَالسَّعْدُ) أي الفوز من كلّ الجهات (قَارَنَهَا بِطَلْعَةِ أَحْمَدٍ) حين جاء محمّد ﷺ إلى بيته للرضاعة (قَدْ دَرَّ) أي ملأ لبنا (مِنْهَا الثَّدْيُ) في ثديها (عِنْدَ رَضَاعِهِ) من حين الرضاعة، فقد زال الشقا (أَمِنَتْ بِهِ مِنْ كلّ جُهْدٍ) أي مشقة (مُجْهِدٍ) أي مشقة عظيمة (وَأَتَانُهَا) الحليمة السعدية من الفرح والسرور والرزق والغنى (لِلرَّكْبِ) أي ماحصل للراكبين إلى مكة للرضاعة، بل حصلت لها خير منهم (قَدْ سَبَقَتْ بِهَا) أي الحليمة في مكة، لأنهم كانوا أعزاء حين جاؤو إلى مكة للرضاعة (فَرَحًا) أي قبولا بالفرح (وَتِيهًا بِالرَّسُولِ الْأَمْجَدِ) أي كفاية بالرسول ﷺ اليتيم وهو ذو الأمجد (أَغْنَامُهَا كَانَتْ شِبَاعًا) أي ضعيفة وقليلة اللبن قبل الرضاع (كلّمَا سَرَحَتْ) أي وفقت بالرضاعة، يقال: سَرَحَ الله فلانا: وفّقهُ (تَجُودُ لَهَا) أي بسبب الرضاعة تكثّر الله البركة (بِدَرٍّ مُزْبِدٍ) أي بلبن كثير كالبحر (وَرَأَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَهِيَ تَحُفُّهَا) أي وهي تجمعها بأيدها (وَالنَّاسُ) أي في تلك القرية (فِي مِحَنٍ) أي في بلاء (وَعَيْشٍ أَنْكَدٍ) أي في عيش فاقة مع قلة البركة (نَالَتْ بِهِ كلّ الْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا) أي كلّ فرح وطيب، والمقصود منه: البركة والغنى (فَهُوَ الَّذِي قَدْ سَّادَ كلّ مُسَوَّدٍ) وهو ﷺ سيدٌ لكلّ سادة من سادات الدنيا.

(قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَجِئْتُ إِلَى بَيْتِ أُمِهِ آمِنَة، وَهِيَ اِمْرَأَةٌ هِلاَلِيَّةٌ) أي جميلة (تَزْهَرُ) تضئ (كَالْكَوْكِبِ الدُّرِيِّ) المضئ (فَسَأَلْتُهَا عَنْهُ) أي الغلام (فَقَالَتْ يَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ تَطْلُبُونَ مَنْ تَجِدُونَ رِفْدَهُ) أي عطاءه والفلوس الكثيرة (وَهَذَا طِفْلٌ يَتِيمٌ، مَاتَ أَبُوهُ وَكُنْتُ بِهِ حَاملاً فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ. قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَعْلِي) أي إلى زوجي (لِأُشَاوِرَهُ فِيهِ) أي الغلام (فَقَالَ: أَرِينِي هَذَا الْغُلاَمَ. قَالَتْ: فَتَقَدَّمْتُ أَنَا وَبَعْلِي إِلَى بَيْتِ آمِنَةَ) إسم البعل: كان زوجها ابن عم لها و هو الحارث بن عبد العزيز بن رفاعة بن ملان ابن ناصرة، قال الحافظ ابن كثير في سيرته: قال: واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعه-يعنى زوج حليمة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن وإخوته عليه الصّلاة والسلام من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث،

وخدامة بنت الحارث، وهي الشيماء، وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم.اهـ

[إسلامها مع أهلها]

جزم بإسلامها وصحبتها كثير من الأئمة منهم، الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه، فذكرها في أسماء الصحابيات اللائي روين عن رسول الله ﷺ ثم قال باب الحاء حليمة بنت أبي ذؤيب. وكذلك ذكرها أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في ذكر النساء اللائي روين عن النّبيّ ﷺ وخرج أسماءهن على الحروف فقال في حرف الحاء المهملة بعد ذكرها ونسبها وهي أم رسول الله ﷺ التي أرضعته وفصلته. وذكرها ابن مندة وأبو نعيم في كتابيهما في الصّحابة وكذلك ابن عبد البر وقال هي التي أرضعت رسول الله ﷺ حتى أكملت رضاعه ورأت له برهانًا وعلمًا جليلا. وذكرها الحافظ ابن الجوزي في الصحابيات في كتبه «التلقيح» و«الحدائق» و«الوفاء» وقال في «الوفاء» قدمت عليه (يعني حليمة) بعد الإسلام فأسلمت وزوجها وبايعاه. وقال في الحدائق: قدمت حليمة ابنة الحارث على النّبيّ ﷺ بعدما تزوج خديجة فشكت إليه جذب البلاد، فكلّم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرًا، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها الحارث. وقال القاضي أبو الفضل عياض في «الشفاء»: لما وردت حليمة السعدية على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها، فلما توفي قدمت على أبي بكر فصنع لها مثل ذلك. وروى ابن سعد عن عمر بن سعد مرسلا قال: جاءت ظئر النّبيّ ﷺ ، فبسط لها رداءه، وقضى حاجتها، ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك، ثم جاءت عمر ففعل ذلك. وقال الحافظ أبو محمّد المنذري: حليمة السعدية أمه عليه أفضل الصّلاة والسلام أسلمت وجاءت إليه وروت عنه عليه الصّلاة والسلام. وذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة وغيرهم. وأخرج أبو داود من طريق عمارة بن ثوبان، أن أبا الطفيل أخبره قال رأيت النّبيّ ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النّبيّ ﷺ فبسط لها رداءه، فجلست عليه فقلت من هي؟ فقالوا هذه أمه التي أرضعته. وروى أبوداود عن عمرو بن الحارث، أن عمر بن السائب حدَّثه، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من

الرضاعة، فقام له ﷺ فأجلسه بين يديه. وقال الإمام ابن سعد في الطبقات: قدمت حليمة بنت عبد الله على رسول الله ﷺ مكة وقد تزوج خديجة، فتشكت جدب البلاد وهلاك الماشية فكلّم رسول الله ﷺ خديجة فيها، فأعطتها أربعين شاة.

[إخوته ﷺ من الرضاعة]

وإخوته عليه الصّلاة والسلام (يعني من الرضاعة) من حليمة: عبد الله بن الحارث، وَأُنَيْسَةُ بنت الحارث، وحُذَافَةُ بنت الحارث وهي الشيماء. روايتها قصة إرضاعه ﷺ : روى عنها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: حديثه عنها بقصة إرضاعها أخرجه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة. قالت حليمة ﷺ خرجت في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء بمكة فخرجت على أتانٍ (الأنثى من الحمير) لي قمراء (بياض فيه كدرة) في سنة شهباء (سنة الجدب والقحط) لم تبقِ شيئًا، ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى، ومعنا شارف لنا (المسنّة من النوق) والله ما تَبضّ (أي ماترشح) علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لي، لاننام ليلتنا من بكائه، وما في ثديّ لبن يغنيه، ولا في شارفنا من لبن يغذيه، إلا أنّا نرجو الخصب والفرج، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود، وكان ﷺ يتيمًا. فقلنا ما عسى أن تصنع بنا أمه؟ فكنا نأبى حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا وأخذت رضيعًا غيري. فكرهت أن أرجع ولم ءاخذ شيئًا، فقلت لزوجي والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قالت والله ما هو إلا أن وضعته في حجري، فأقبل على ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي، وشرب أخوه (تعني ابنها) حتى روي، وقام زوجي إلى شارفنا من الليل فإذا بها حافل (أي ممتلئة الضرع من اللبن) فحلبنا من اللبن ما شئنا وشرب حتى روي، وشربت حتى رويت،وبتنا ليلتنا تلك شباعًا رواءً وقد نام صبياننا. قالت قال أبوه (تعني زوجها) والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مباركةً قد نام صبياننا. وكان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة. فبينما هو يلعب يومًا من الأيام هو وأخوه خلف البيت، إذا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه أدركا أخي القرشي فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه. قالت خرجت وخرج أبوه يشتد نحوه، فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه، فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال (ما لك يا بني) قال (أتاني رجلان

عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني، والله ما أدري ما صنعا). والذي حصل هو أن الملكان جبريل وميكائيل أتيا النبيّ عليه الصّلاة والسلام بشكل رجلين، فأضجعاهُ وشَقَّا بَطنَهُ الكريمَ كما ورد، وغسَّلاه بماء زمزم والثلج والبردِ، وَخَاطَاهُ بإذن ذي الإكرام والجلالِ، وختَمَا على ظَهرِهِ بِخَاتَمِ النّبوةِ في الحالِ. وقد ذُكِرَ أن حليمة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين. وفاتها: توفيت حليمة السعدية ﵂ بالمدينة المنورة، ودفنت بالبقيع (فَقُلْنَا هَلُمِّي بِهِ) أي أسرعوا بالغلام (فَأَتَتْ) أي الآمنة (بِهِ ﷺ) عندنا (مَدْهُونًا مُدْرَجًا) أي مطويّا (فِي ثَوْبِ صُوفٍ أَبْيَضَ) أي يفوح منه المسك والعنبر والعود الهندي (وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ فَإِذَا وَجْهُهُ ﷺ يُضِيءُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) الواو للحال (فَنَظَرَ بَعْلِي فِي وَجْهِهِ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَخَرَجَ مِنْهُمَا) أي من عينيهما أومن جهتهما (نُورٌ سَاطِعٌ) أي نور منتشر (وَضِيَاءٌ لاَمِعٌ) أي متلالئ حتى دخل خلال السماء (فَحَارَ عَقْلِي وَعَقْلُ بَعْلِي) أي التغيّر والخوف من نظره إلى ذلك النور (فَقَالَ) أي الزوج (وَيْحَكِ يَاحَلِيمَةُ) معنى قول البعل لها: انّك ظننت انّ العطاء أمر مشكل فظنّك ليس بصحيح لأنّ الله يمنّ علينا ببركة هذا الغلام، وهذا الكلام وقع منه لكونهم على ملة إبراهيم عليه السلام. ففي قول الرجل للرجل ويحك قولان: قال المفسرون: الوَيْح: الرحمة. وقالوا: حسن أن يقول الرجل لمن يخاطبه: ويحك. وقال الفرّاء: الويح والوَيْس كنايتان عن الويل، وقال: معنى ويحك: ويلك، قال: وهو بمنزلة قول العرب: قاتله الله، وقد يقال: ويحٌ لفلان وويحاً له، وهما بمعنى ويحك.

(هَذَا الْمَوْلُودُ هُوَ كلّ الْمُنَا وَالْمَقْصُودِ) أي كلّ ما يتمناه الإنسان من آماله ومطلوبه (فَقُلْتُ لَهُ هُوَ يَتِيمٌ فَمَاذَا نَصْنَعُ بِهِ. فَقَالَ) أي البعل (خُذِيهِ) أي الغلام (فَلَعَلَّ اللّهَ بِبَرَكَتِهِ يَرْزُقُنَا إِنْ شَاءَ اللّهُ تعالى فَكَانَ كَذَلِكَ) فوقع ماقال الزوج (قَالَتْ حَلِيمَةُ فَأَخَذْتُهُ) أي الغلام (وَ) للحال (لَيْسَ فِي ثَدْيِي لَبَنٌ) أي لبن يكفي لهذا الغلام (وَ) للحال (وَلَدِي طُولَ اللَّيْلِ) مفعول مقدّم (يُقْلِقُنِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ) يقال قَلِقَ الرَّجُلُ: اِضْطَرَبَ، اِنْزَعَجَ، لم يستقرّ في مكانٍ واحد (فَلَمَّا حَمَلْتُ محمّدا ﷺ وَأَنَا ضَعِيفَةٌ فَقَوِيتُ وَزَالَ عَنِّي مَا أَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ. ثُمَّ وَضَعْتُ ثَدْيِي فِي فِيهِ فَثَارَ) أي غلي (اللَّبَنُ حَتَّى فَاضَ وَتَبَدَّدَ) أي تدفّق (وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: طُوبَى) أي السعد، فإن طوبى في أصلها اللغوي "فُعْلَى" من الطيب مؤنث أطيب أفعل التفضيل. وتطلق على الجنة أوعلى شجرة فيها، وقد ذكر الحافظ ابن كثير والإمام البغوي في تفسيريهما عدة آثار عن السلف في ذلك (لَكِ أَيَّتُهَا السَّعْدِيَّةُ بِالطَّلْعَةِ)

أي الذات (الْهَاشِمِيَّةِ وَالْغُرَّةِ الْقَمَرِيَّةِ وَالْهِمَّةِ) أي النسب (الْقُرَشِيَّةِ سَعْدٌ لَكِ يَاحَلِيمَةُ بِالدُّرَّةِ الْيَتِيمَةِ) المراد بالدرة: المنفردة، وهذه الحكاية العظيمة قد حكاها كثير من علماء السير كإبن اسحاق وابن هشام وغيرهما من أكابر علماء السير.

[حاصل الكلام في إرضاعه ﷺ]

فأوّل امرأة أرضعت رسول الله ﷺ هي ثويبة كما في تاريخ الطبري، حيث قال: أول من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.اهـ، وثويبة هذه مولاة لأبي لهب عم النّبيّ ﷺ، كما هو مذكور في كتب السيرة. قال الإمام الدياربكري: قال أهل السير أرضعت رسول الله ﷺ أمّه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة ثم أرضعته ثويبة الأسلمية جارية أبى لهب أياما قبل قدوم حليمة من قبيلتها ثم أرضعته حليمة. روى انها أرضعت النبيّ ﷺ ثمان نسوة غير آمنة ثويبة وحليمة وخولة بنت المنذر ذكرها أبو الفتح اليعمرى وأم أيمن ذكرها أبو الفتح عن بعضهم والمعروف انها من الحواضن وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم في الهدى وثلاث نسوة اسم كلّ واحدة منهنّ عاتكة نقله السهيلى عن بعضهم في قوله ﷺ أنا ابن العواتك من سليم كذا في «مزيل الخفا». وفي «حياة الحيوان» العواتك ثلاث نسوة كنّ من أمّهات النبيّ ﷺ وفي «نهاية» ابن الأثير العواتك جمع عاتكة وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب والعواتك ثلاث نسوة كنّ أمّهات النبيّ ﷺ : احداهنّ عاتكة بنت هلال بن فالخ بن ذكوان وهى أم عبد مناف بن قصي. والثانية عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالخ وهى أمّ هاشم بن عبد مناف. والثالثة عاتكة بنت الأوقص ابن مرّة بن هلال وهى أمّ وهب أبى آمنة أمّ النبيّ ﷺ فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة وبنو سليم تفخر بهذه الولادة والمشهور انه أرضعت رسول الله ﷺ ظئران. الظئر الأولى ثويبة الأسلمية جارية أبى لهب وفي شواهد النبوّة عن ابن عباس أرضعته ثويبة بعد مضي ثلاثة أيام من مولده إلى أن قدمت حليمة من قبيلتها بعد أربعة أشهر وكانت ثويبة قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى. وفي المواهب اللدنية أرضعته ﷺ ثويبة عتيقة أبى لهب أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ وكانت تدخل على رسول الله ﷺ فيكرمها أيضا وتكرمها خديجة وهى يومئذ أمّه. وفي

الاستيعاب قال أحمد بن محمّد أعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فأثابه الله على ذلك بأن سقاه الله ليلة كلّ اثنين في مثل نقرة الابهام كذا في «سيرة مغلطاى» والمنتقى وكان ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. وفي «سيرة مغلطاى» سنة سبع من الهجرة فبلغ وفاتها النبىّ ﷺ وسأل عن ابنها مسروح فقيل مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد ذكره أبو عمرو كذا في «ذخائر العقبى». قال أبو نعيم الأصفهانى انه قد اختلف في إسلامها. وفي «سيرة مغلطاى» قال أبو نعيم لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن مندة عن عروة لما مات أبو لهب رآه أخوه العباس في المنام بعد سنة فقال له ماذا لقيت يا أبا لهب قال ما رأيت بعدكم روحا غير أني سقيت من هذه يعنى من عتق ثويبة لأمر محمّد وأشار إلى ما بين الإبهام والسبابة وفي رواية وأشار إلى النقرة التى في الإبهام. وفي المواهب اللدنية وقد رؤى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار إلّا أنه خفف عنّي كلّ ليلة اثنين وأمصّ من بين اصبعىّ هاتين ماء وأشار برأس إصبعه وانّ ذلك باعتاقى ثويبة عند ما بشرتنى بولادة النبىّ صلّى الله عليه وسلم وبإرضاعها له. وفي «الاكتفاء» قال ما لقيت بعدكم راحة إلّا أنّ العذاب يخفف عنّي إلى آخر ما ذكر قال ابن الجوزى: فاذا كان هذا أبو لهب الكافر الذى أنزل القرآن بذمّه جوزى في النار بفرحة ليلة مولد النّبيّ ﷺ فما حال المسلم الموحد من أمّته عليه السلام يسرّ بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته ﷺ لعمرى انما يكون جزاؤه من الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم. ومما جرّب من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ولقد أطنب ابن الحاج في «المدخل» في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والتغنى بالآلات المحرّمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فإنه حسبنا ونعم الوكيل. الظئر الثانية أمّ كبشة حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر ابن رزام بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان ابن مضر وهى التى أرضعته حتى أكملت رضاعه بلبن زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملآن بن ناضرة بن قصية بن

عيلان بن مضر.اهـ «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس»، ثم قال المصنف ستة أبيات من بحر الوافر.

(تَعَلَّمَ لِينَهُ الْغُصْنُ الْقَوِيمُ) انّ المصنف يبيّن في هذه الأبيات رفق النّبيّ ﷺ، ففيها تشبيب، معناه: أنّ لين الغصن وهو تتشعّب من ساق الشجر إلى قامة الشجر فكذلك لين النّبيّ ﷺ ترى في حياته من حين الطفولة. والغصن فاعل تعلم واللين مفعول به (وَمِنْ أَلْطَافِ مَعْنَاهُ) أي حقيقته ﷺ مع خصوصيته من النور الإلهيّ يمثّل ويشبّب بالريح الطيّب ليس شدّة (النَّسِيمُ) أي الريح الطيب. والإعراب: الواو للإستئناف، ومن ألطافه جار ومجرور متعلق بمحذوف، خبر مقدّم والنسيم مبتدأ مؤخّر (مَلِيحٌ) وهو مليح (لَمْ يَحُزْ) أي لم يجمع (بَشَرٌ) أي أيّ بشر، إلّا هو (حُلاَهُ) أي مقامه ومرتبته (فَدَلَّ بِأَنَّهُ بَشَرٌ كَرِيمُ) الفاء للسببية، وهذا الكلام دفع سؤال مقدّر كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، ففي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بني آدم في البشرية واستعداد الإنسانية سواء النّبيّ والولي والمؤمن والكافر، والفرق بينهم بفضيلة الإيمان والولاية والنبوة والوحي والمعرفة بأن إله العالمين إله واحد (وَسِيمٌ) وهو ﷺ حسن الوجه (فِي مَلاَحَتِهِ) اي حسنه، متعلق بحشيم (حَشِيمٌ) أي شديد الحياء (وَمَا فِي الْحُسْنِ) الواو للإستئناف، وما نافية، وجار ومجرور متعلق بقسيم (قَطُّ) أي الألبتة، وكلمة قطّ: ولها ثلاثُ أحوال: الأولى أَن تكون ظرفَ زمان لاستغراق الماضي، مضمومة وتختص بالنفي، ما فعلتُ هذا قطُّ: فيما مضى وانقطع. والثانية: أن تكون بمعنى حَسْب: أي كاف، وقلَّما تذكر غيرَ مقرونة بالفاء، أَخذت درهماً فقط والثالثة: أن تكون اسم فعل بمعنى يكفي فتزاد نون الوقاية مع ياء التكلّم، فقَطْني: كفاني وفقَطْكَ: كفاك (لَهُ) متعلق بقسيم (قَسِيمٌ) أي مثله ﷺ أو مشارق أو مقابل وكلّها بمعنى واحد (فَمَا) الفاء للفصيحة، ومازائدة زيد للبيت (كلّ الشَّقَاءِ) أي كلّ العسر والمشقّة (سِوَى جَفَاهُ) أي ﷺ، والمعنى: كلّ العسر في عشينا لايكون إلّا بجفاه، ومن جفائه ﷺ عدم الصّلاة والتسليم عليه ﷺ (وَلَيْسَ سِوَى تَوَاصُلِهِ نَعِيمٌ) أي ليس نعيم أبدا وسلامة إلّا بتعلّقه ﷺ ومحبّته ﷺ، فمن تواصله زيارته ﷺ على حسب طاقة الزائر، وإليه الأحاديث كما مر بيانه كحديث مسلم مع شرح الإمام النووي.

واتفق علماء الأمة الراسخون والأئمة الهدى المتبوعون على أن الزيارة مندوبة ومستحبة. قال الإمام ابن بطال في شرح صحيح البخاري: والأمة مجمعة على زيارة قبر الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر، ولا يجوز الإجماع على الخطإ، قال الشيخ خليل في «مناسكه»: ونقل ابن هبيرة في كتاب «اتفاق الأئمة» قال: اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على أن زيارته مستحبة».اهـ، فقد قال الحافظ ابن الهمام من الحنفية: "قال مشائخنا: زيارة قبر النّبيّ ﷺ من أفضل المندوبات". «فتح القدير»، وقال ابن عابدين الشامي: وزيارة قبر النّبيّ ﷺ مندوبة بل قيل: واجبة لمن له سعة. «رد المحتار». وقال الإمام ابن قدامة الحنبلي: يستحب زيارة قبر النّبيّ ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر: قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»، ثم ساق رواية العتبي عن الأعرابي الذي أتى قبر الرسول ﷺ .اهـ «المغني» ومثله في «كشاف القناع» للبهوتي الحنبلي. وقال الحافظ الذهبي: فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلمًا مصلِّيًا فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه. «سير أعلام النبلاء». وقال الإمام النووي: إنه ينبغي لكلّ من حج أن يتوجه إلى زيارة قبر النّبيّ ﷺ سواءٌ كان ذلك صوب طريقه أو لم يكن، فإنها من أعظم القربات وأنجح المساعي وأفضل الطلبات؛ وكذلك قال القسطلاني في «المواهب اللدنية». وأما المالكية فقد ذكرنا ما قاله الشيخ خليل في «مناسكه»، ينظر كتب المذاهب الأربعة في المناسك، ولم يختلف أحد من المسلمين إلّا شرذمة قليلة كإبن تيمة ومن تبعه، ونص في الفتاوى بعدم السنّية قطّ، وهو قول لايصحّ أبدا، لكن لم يتفق موقفه تلميذه الحافظ ابن كثير، وصرّح بالسنيّة وواقف أقوال جمهور المسلمين وصحّح الأحاديث الوادرة في الزيارة، أنظر «مسنده الفاروق»، وردّ استاذه ابن تيمية الحراني، وهذا يدلّ من شدّة إيمان الحافظ ابن كثير، وشذّ إبن تيمة عن طريق جمهور المسلمين، فعلى المؤمنين إتباع السواد الأعظم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، وقوله ﷺ: عن أنس بن مالك، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم». رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما

من كبار أئمة الحديث، وصحّح الحديث المحققون (لَهُ) ﷺ ، خبر مقدّم (فِي طَيْبَةٍ) إسم مدينة، متعلق بأسنى (أَسْنَى مَقَامٍ) أي مرتبة أرفع في قلوب مؤمني المدينة المنورة من أهل مكة (لَدَيْهِ) ﷺ ، خبر مقدّم (الْخَيْرُ) مبتدأ مؤخّر أي مقام الخير(أَجْمَعُهُ) اي الخير (مُقِيمٌ) في المدينة، ففي الأحاديث آحاديث جامعة بين رفق رسول الله ﷺ (إِذَا غَنَّى) أي إستلذّ الصوت (بِهِ) أي ﷺ (حَادِي) أي سائق (الْمَطَايَا) جمع مدية، أي الركوب إلى حضرته ﷺ ، لأنّ زيارته أشرف الأعمال بإجماع المسلمين (رَأَيْتَ النُّوقَ) جمع ناقة (مِنْ طَرَبٍ) أي من أجل الفرح، متعلق بتهيم (تَهِيمُ) أي تمشي من عشقها إلى حضرة الحبيب ﷺ ، وهذه الأبيات لزيادة العشق الحبيب ﷺ ، والعشق يستلزم زيارته ﷺ مرارا، وكم رجال في المليبار قد شغف حبّهم برسول الله ﷺ يزور الحبيب ﷺ في كلّ سنة مرات بعد مرات، وكذلك وقد شغف الحبّ بسلطان الهند خواجا غريب نواز، شيخ الشيوخ، ملك المشايخ، سلطان التاركين، قدوة الواصلين، وقطب الأولياء، وشيخ الإسلام والمسلمين، ونائب رسول الله ﷺ في الهند، العارف بالله، الواصل إلى مدارج السلوك والمعرفة، العابد الزاهد، السخي الكريم، معين الملة والدين، دائرة سلاطين الهند، سيدنا ومرشدنا مولانا السيد الشيخ معين الدين الجشتي السنجري ثم الأجميري رحمه الله رحمةً واسعةً، وأفاض علينا ببركاته وفيوضه دائمًا أبدًا، وهم يزورونه في ثلاثة أشهر، وكذلك ترشد الأولياء بزيارة الرسول ﷺ فكانت هذه الزيارة زيارة مقبولة على الإطلاق، لأنّه ﷺ هو الوسيلة للهنود إلى أشرف الخلق ﷺ ، وكذلك إذا دعا الرسول ﷺ فكانت الزيارة زيارة مقبولة أيضا، وإليه أشار الشيخ محمّد نووي الجاوي في شرح هذا المولد، مانصه:.... أن النّبيّ ﷺ إذا دعا واحدا من أمته للوصول إلى المدينة قدر عليه وإلا فلا كما هو شأن العظيم على الأدني كما نقل عن قول الصالحين فكما أن بعض الرعية لايمكن أن يدخل على السلطان إلّا بالإذن منه كذلك الأمة لا يمكن أن تصل إلى رسول الله إلا بالإذن منه.اهـ. فهذا يقع إمّا مواجهة أو بواسطة الغير، فمنهم سلطان الهند، قدّس الله أسرارهم في الدارين (قَالَتْ حَلِيمَةُ فَأَخَذْتُهُ) أي الغلام للرضاعة من أمّه ﷺ (وَدَخَلْتُ بِهِ) ﷺ، لبعض الحوائج (عَلَى الْأَصْنَامِ) أي حول أصنام الكعبة، لأجل تبرّك الكعبة بدخول إلى داخلها (فَنَكَسَ) نكس الشيء: قلبه على رأسه (هُبَلُ) اسم صنم كان يُعْبد في الجاهليّة في مكّة (رَأْسَهُ) أي على رأس الصنم (وَخَرَّتِ الْأَصْنَامُ مِنْ أَمَاكِنِهَا) أي سقطت الأصنام من أماكنها، ومثله خرت الأصنام سجّدا عند نزلت الآية

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ...﴾ قال الشيخ ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»: قال سعيد بن جبير، كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان لكلّ حيّ من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية، خرّت الأصنام سجداً.اهـ (فَـ) الفاء بمعنى ثم (جِئْتُ إلى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ) لأجل التبرّك (فَخَرَجَ الْحَجَرُ) أي تحرّك حجر الأسود كرامة ومعجزة (مِنْ مَكَانِهِ) أي مكانه الأصليّ (حَتَّى الْتَصَقَ بِوَجْهِهِ ﷺ) وهكذا تقع معجزة وكرامة، فأمّا مثال الكرامة فقد قال الإمام سعد الملة والدين التفتازاني في «شرح المقاصد»: ظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء ، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية، وفي ذلك اليوم بمكة أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفي حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور أحدا من الأولياء هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة.اهـ قال الجامي: النفس الناطقة الكاملة إذا تحققت بمظهرية الاسم الجامع تظهر في صور كثيرة من غير تقييد وانحصار فتصدق تلك الصور عليها وتتصادق لاتحاد عينها، كما تتعدد لاختلاف صورها، ولذلك قيل في إدريس عليه السلام إنه هو إلياس المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أن العين خلع الصورة الإدريسية ولبس لباس الصورة الإلياسية وإلا لكان قولا بالتناسخ، بل إن هوية إدريس عليه السلام مع كونها قائمة في آنية وصورة في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في آنية إلياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدا ومن حيث التعين الصوري اثنين كنحو جبريل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكان بصور شتى كلّها قائمة بهم، وكذلك أرواح الكمل كما يروى عن قضيب البان الموصلي أنه كان يرى في زمان واحد في مجالس متعددة مشتغلا في كلّ بأمر يغاير ما في الآخر ، ولما لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغلين في الزمان والمكان تلقوه بالرد والعناد وحكموا عليه بالبطلان والفساد، وأما الذين منحوا التوفيق للنجاة من هذا المضيق فسلموا. اهـ . وقول التفتازاني :وإنما العجب من بعض فقهاء إلخ لعله أشار بذلك لما قاله صاحب «الفتاوى البزازية» سئل الزعفراني عمن يزعم أنه رأى ابن أدهم يوم التروية بالكوفة ورآه أيضا في ذلك اليوم بمكة قال: كان مقاتل بكفره فيقول ذلك من المعجزات لا من الكرامات، وأما أنا فأستجهله ولا أطلق عليه الكفر، وقال محمّد بن يوسف:

يكفر وعلى هذا ما يحكيه جهلة خوارزم أن فلانا كان يصلي سنة الفجر بخوارزم وفرضه بمكة اهـ «الدرر البهية» للمؤلف (فَأَخْبَرْتُ بَعْلِي بِذَلِكَ) أي بتلك الكرامة أو المعجزة (فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَّكِ إِنَّهُ مُبَارَكٌ فَخُذِيهِ وَانْصَرِفِي بِنَا) أي إلى بيتنا في البادية (قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَمَا انْصَرَفَ أَحَدٌ كَمَا انْصَرَفْنَا وَلاَظَفِرَ أَحَدٌ كَمَا ظَفِرْنَا) فمكثنا في مكة ثلاثة أيّام، ثم انصرفنا إلى باديتنا مع الغلام (قَالَتْ فَرَكِبْتُ الدَّابَةَ الَّتِي جِئْتُ عَلَيْهَا وَكَانَتْ ضَعِيفَةً لاَتَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ) أي نسبيّا (فَـ) الفاء للسبية(جَعَلَتِ الدَّابَّةُ) أي بسبب الرسول (تَسْبِقُ) أي الدابة المبروكة بسبب النّبيّ ﷺ (دَوَابَّ الْقَافِلَةِ كلّهَا حَتَّى كَانَتِ النِّسَاءُ يَقُلْنَ لِي: أَمْسِكِي أَتَانَكِ عَنَّا) تقول النساء معها عجبا إحبسي وافقي في السير، أهذه الدابة تمشي معنا عند القدوم (يَا حَلِيمَة. قَالَتْ) أي حليمة السعدية (وَكُنْتُ لاَ أَمُرُّ عَلَى شَجَرٍ وَلاَمَدَرٍ) المدر: جمع مدرة، مثل قصب وقصبة، وهو التراب المتلبد، قال الأزهري المدر قطع الطين، نعم المراد به: يوافق في السلام كلّ رطب ويابس في جميع الأرض (إِلاَّ وَيَقُولُ "اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْمُرْسَلِينْ" وَكُنَّا لاَ نَنْزِلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ) قبل الوصول إلى بيتنا (إِلاَّ اخْضَرَّتْ وَأَثْمَرَتْ لِوَقْتِهَا بِبَرَكَتِهِ ﷺ فَسِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا) في البادية. وإسم قرية حليمة السعدية الآن: على مسافة تقدر بحوالى٧٠ كل. م. جنوب محافظة الطائف، وفي وادي الشوحطة ببني سعد جنوب الطائف تقع قرية حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ.

(وَعِنْدَنَا شُوَيْهَاتٌ) أي الأغنام التي ليست لها السمن (عِجَافٌ) أي ذهب سمنها (ضِعَافٌ) أي مراض لقلة العلف (فَأَخَذْتُ يَدَ محمّد ﷺ وَوَضَعْتُهَا) أي اليد (عَلَيْهِنَّ) أي الأغنام (فَدَرَرْنَ) أي سمن سمنا ذا العجب (لِوَقْتِهِنَّ) أي في ذلك الوقت (وَمُنذُ أَخَذْنَاهُ) أي الغلام (لَمْ يَكُنْ لَنَا مِصْبَاحٌ فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ إِلاَّ نُورُ وَجْهِهِ ﷺ) وقد جاء في بعض الأحاديث في صفة النّبيّ ﷺ أنه يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. يعني لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه، ما في وصف ابْنَ أَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيَّ له ﷺ. وعند الترمذي من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ. قال العلماء: شَبَّهَ جَرَيَانَ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا بِجَرَيَانِ الْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ ﷺ، وفي حديث كعب بن مالك في الصحيحين: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ.اهـ. وَفِي الْبُخَارِيِّ: وَسُئِلَ الْبَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ، قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ. والمعنى أنه ﷺ كان مشرق الوجه مضيئة. وقد أحسن من قال:

كأن الثُرَيَّا عُلِّقَتْ في جبينه وفي جِيْدِه الشِّعْرَى وفي وجهِهِ القَمَرُ- عليه جَلالُ المَجْدِ لوْ أنَّ وَجْهَهُ أضَاءَ بليلٍ هلَّلَ البَدْوُ والحَضَر. ويلزم من هذا أن تنار الغرفة التي هو فيها كما تنار بالمصباح، فقد جاء في «الخصائص الكبرى» للسيوطي: أخرج ابن عساكر عن عائشة قالت كنت أخيط في السحر فسقطت مني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فأخبرته فقال «يا حميراء الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى وجهي». وجاء في «شرح الشفا» للهروي: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أدخل الخيط في الإبرة حال الظلمة لبياض رسول الله ﷺ . وجاء في كتاب «المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري» لشمس الدين محمّد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي: أن عائشة رضي الله عنها كانت تخيط شيئاً في وقت السحر، فسقطت الإبرة من يدها، وطفئ السراج، فدخل عليها النّبيّ ﷺ فأضاء البيت بضوءه ﷺ ووجدت الإبرة فقالت: ما أضوء وجهك يا رسول الله، قال: «ويل لمن لا يراني يوم القيامة» قالت: ومن لا يراك يوم القيامة؟ قال: «البخيل» قالت: ومن البخيل؟ قال: «الذي لا يصلي عليّ إذا سمع باسمي». وفي «شرف المصطفي ﷺ» للنيسابوري الخركوشي: روي أن عائشة ﵂ كانت تخيط ثوبا في وقت السحر، فضلّت الإبرة وطفيء السراج، فدخل عليها النّبيّ ﷺ فأضاء البيت، ووجدت عائشة الإبرة بضوئه، فضحكت، ثم قال النّبيّ ﷺ : ويل لمن لا يراني يوم القيامة، قالت عائشة: ومن لا يراك يا رسول الله؟ قال: البخيل، قالت: ومن البخيل؟ قال: الذي لا يصلي عليّ إذا سمع اسمي. وأخرج الأصبهاني في دلائله: عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ قالت استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت عني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة لشعاع نور وجهه فضحكت فقال يا حميراء بم ضحكت قلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته ياعائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى هذا الوجه. وجاء في كتاب: «جزء من تخريج أحمد بن عبد الواحد البخاري». المؤلف: الشَّمْسُ، أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، المُلَقَّبُ بِالبُخَارِيّ بلفظ عن عائشة ﵂ قالت: استعرت إبرة من حفصة بنت رواحة كنت أخيط بها ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم , فسقطت عني الإبرة, فطلبتها, فلم أقدر عليها , فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه, فضحكت, فقال: «مما ضحكت؟»

فقلت: كان كيت وكيت, فنادى بأعلى صوته: «يا عائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى هذا الوجه , ما من مؤمن ولا كافر إلّا ويشتهي أن ينظر إلى هذا الوجه. أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه، فقال: (أنبأنا أبو محمّد الحسن بن أحمد السمرقندي (انظر المشيخة) أنبأنا الحسن الحافظ قراءة أنبأنا أبو إبراهيم بن إسماعيل بن عيسى بن عبد الله التاجر السمرقندي (انظر «سير أعلام النبلاء») أنبأنا أبو الحسن علي بن محمّد بن أحمد بن يحي بن الفضل بن عبد الله الفارسي أنبأنا أبو الحسن بن علي بن الحسين الجرجاني الحافظ السمرقندي أنبأنا مسعدة بن بكر الفرغاني بمرو وأنا سألته فأملي علي بعد جهد أنبأنا محمّد بن أحمد بن أبي عون أنبأنا عمار بن الحسن أنبأنا سلمة بن الفضل بن عبد الله عن محمّد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن رومان وصالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: استعرت من حفصة بنت رواحة إبره كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت مني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة من شعاع نور وجهه فضحكت فقال يا حميراء لم ضحكت قلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته يا عائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهي أن ينظر إلى وجهي) اهـ . وأخرجه أيضاً الأصبهاني في «الدلائل» من نفس مخرج ابن عساكر، فقال: (أخبرنا أبو محمّد الحسين بن أحمد السمرقندي الحافظ بنيسابور أنا أبو إبراهيم إسماعيل بن عيسى بن عبدالله التاجر السمرقندي بها ثنا أبو الحسن علي بن محمّد بن يحي بن الفضل بن عبدالله الفارسي ثنا أبو الحسن محمّد بن علي بن الحسين الجرجاني الحافظ بسمرقند ثنا مسعدة بن بكر الفرغاني بمرو وأنا سألته فأملي علي بعد جهد ثنا محمّد بن أحمد بن أبي عون ثنا عمار بن الحسن ثنا سلمة بن الفضل عن محمّد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن رومان وصالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ قالت: استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت عني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة لشعاع نور وجهه، فضحكت فقال: يا حميراء بم ضحكت ؟ قلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته: ياعائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى هذا الوجه) اهـ وعزاه السيوطي في «الجامع الكبير» ، والمتقي الهندي في «كنزه» إلى الديلمي وابن عساكر. وقد جعلها السيوطي من خصائص النّبيّ ﷺ ، فقال في

«الخصائص الكبرى» ولم يعلق عليه قال: (وأخرج ابن عساكر عن عائشة قالت كنت أخيط في السحر فسقطت مني الابرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فأخبرته فقال يا حميراء الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى وجهي)قال السيوطي في جامعه،عن عائشة قالت: استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فضحكت فقال ياحميراء لم ضحكت؟ قلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته يا عائشة الويل ثم الويل لمن حرم النظر إلى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهى أن ينظر إلى وجهى (الديلمى، وابن عساكر) .

وقد يعترض بعض أهل البدع والزندقة، بأن الحديث ضعيف أقول: إن كان الحديث ضعيفا فإنها تصح روايته ويستدلّ به في السير إجماعا كما قال الإمام ابن حجر في «شرحه على الهمزية» في مبحث ولادة الرسول، وتتقوى هذه الرواية بما في «الشمائل» وغيرها من بيان أن وجه رسول الله ﷺ عند الناظر إليه أضوأ من القمر ليلة البدر ومن ذلك حديث جابر بن سمرة ﷺ: وكان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية فقال رجل: وجهه مثل السيف قال: لا بل مثل الشمس والقمر. رواه مسلم في «صحيحه» والنسائي. وحديث أبي هريرة ﷺ: ما رأيت أحسن من النبيّ ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه «الترمذي». وحديث أنس ﷺ قال: شهدته ﷺ يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولاأضوأ من يومٍ دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وشهدته يوم موته فما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يومٍ مات فيه رسول الله ﷺ. رواه أحمد والحاكم في مستدركه والدارمي وابن ابي شيبة وابن ماجه وعبد بن حُميد والترمذي في السنن والشمائل وفي رواية للترمذي عن أنس ﷺ قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه النبيّ ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلّ شيء، وما نفضنا الأيدي من دفنه وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. «الترمذي».

وروى الدارمي في المقدمة عن الربيع بنت مسعود ﷺ يابني لو رأيته (أي النبيّ ﷺ) رأيت الشمس طالعة قال القرطبي في كتاب الصّلاة أنه ﷺ لم يظهر لنا تمام حسنه لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ قلت: فإذا كان وجه رسول الله ﷺ مثل

الشمس والقمر، أضاء منه كلّ شيء، ألا تضيء من نوره حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها حتى ترى الإبرة ؟ بلى فليس ذلك بمستحيل شرعاً ولا عقلاً، بل في الأحاديث الحسنة والصحيحة السابقة ما يؤكده ويثبته ﷺ وبارك عليك ياسيدي يارسول الله ﷺ، وهذه الروايات الصحيحة ردود على أهل البدع والزندقة من الملحدين المنسوبين إلى الإسلام (قَالَتْ حَلِيمَةُ: وَكُنْتُ إذَا أَعْطَيْتُهُ ثَدْيِي الْأَيْمَنَ شَرِبَ وَإذَا حَوَّلْتُهُ لِثَدْيِي الْأَيْسَرِ أَبَى) وهو حق الأخ له (لِأَنَّ اللَّهَ تعالى أَلْهَمَهُ الْعَدْلَ حَتَّى فِي الرَّضَاعِ، عَلِمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا فَنَاصَفَهُ عَدْلاً مِنْهُ ﷺ) لأنّه يبعث بعدُ بالعدل (قَالَتْ حَلِيمَةُ: وَانْقَطَعَ الْغَيْثُ عَنَّا سَنَةً كَامِلَةً مِنَ السِّنِينَ فَأَخَذْنَاهُ وَخَرَجْنَا بِهِ إلى الصَّحْرَاءِ وَقُلْنَا: اَللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ هَذَا الْمَوْلُودِ) أي ببركة هذا الغلام، فالتوسل في زمانهم بالأشراف أمر جار بينهم وحقّق الإسلام عليه.

[الفرق بين التوسّل والإستغاثة]

معنى التوسل: اعلم أنه لا دليل حقيقي يدل على عدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله، لأنه ليس عبادةً لغير الله تعالى، لأنّ مجرد النداء لحي أوميتٍ ولامجرد التعظيم ولا مجرد الاستغاثة بغير الله، ولا مجرد قصد قبر ولي للتبرك، ولا مجرد طلب مالم تجربه العادة بين الناس، ولا مجرد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى، أي ليس ذلك شركًا لأنه لا ينطبق عليه تعريف العبادة عند اللغويين، لأن العبادة عندهم الطاعة مع الخضوع.

[ما هي العبادة عند اللغويين؟]

العبادة عند اللغويين الطاعة مع الخضوع. قال الأزهري الذي هو أحد كبار اللغويين في كتاب تهذيب اللغة نقلاً عن الزجاج الذي هو من أشهرهم: العبادة في لغة العرب الطاعة مع الخضوع، وقال مثله الفراء كما في «لسان العرب» لابن منظور. وقال بعضهم: أقصى غاية الخشوع والخضوع، وقال بعض: نهاية التذلل، كما يفهم ذلك من كلام شارح «القاموس» مرتضى الزبيدي خاتمة اللغويين، وهذا الذي يستقيم لغةً وعرفًا.

[ما الدليل على أن مجرّد التذلّل ليس عبادة لغير الله؟]

مجرد التذلل ليس عبادةً لغير الله وإلا لكفر كلّ من يتذلل للملوك والعظماء. وقد ثبت أن معاذ بن جبلٍ لما قدم من الشام سجد لرسول الله، فقال الرسول: "ما هذا" فقال: يارسول الله إني رأيت أهل الشام يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم وأنت أولى بذلك، فقال: "لا تفعل، لو كنت ءامر أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"، رواه ابن حبان وابن ماجه وغيرهما. ولم يقل له رسول الله ﷺ كفرت، ولا قال له أشركت مع أن سجوده للنبي مظهر كبير من مظاهر التذلل.

[ما هو التوسّل؟]

التوسّل هو طلب حصول منفعةٍ أو اندفاع مضرةٍ من الله بذكر اسم نبيّ، أو وليّ إكرامًا للمتوسّل به.

- ما معنى قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ؟: قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة: ٣٥] أي كلّ شىءٍ يقربكم إليه اطلبوه يعني هذه الأسباب، اعملوا الأسباب فنحقّق لكم المسببات، نحقّق لكم مطالبكم بهذه الأسباب، وهو قادر على تحقيقها بدون هذه المسببات.

- لم نقول "اللهم إني أسألك بجاه رسول الله أوبحرمة رسول الله أن تقضي حاجتي وتفرج كربتي"؟: جعل الله سبحانه وتعالى من الأسباب المعينة لنا لتحقيق مطالب لنا التوسل بالأنبياء والأولياء في حال حياتهم وبعد مماتهم، فنحن نسأل الله بهم رجاء تحقيق مطالبنا، فنقول: اللهم إني أسألك بجاه رسول الله أو بحرمة رسول الله أن تقضي حاجتي وتفرج كربي، أو نقول: اللهم بجاه عبد القادر الجيلاني ونحو ذلك، فإن ذلك جائز وإنما حرم ذلك أهل البدع والزندقة فشذوا بذلك عن أهل السنة.

- ما معنى قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟: قال إمام اللغويين الذين ألفوا في لغة العرب الفراء: العبادة الطاعة مع الخضوع وبهذا فسروا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي نطيعك الطاعة التي معها الخضوع، والخضوع معناه التذلل الخاص كما قال الإمام الجكني في «زاد مسلم».

[الاستغاثة الشّرعيّة، والاستمداد، منحصر في ثلاثة أقسام من حيث المعنى]

الاستغاثة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من حضرات الأنبياء والأئمة والأولياء كما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى منحصرة في ثلاثة أقسام إمّا أن يكون واجبا , وإمّا أن يكون مندوبا, وإما أن يكون مباحا. الأول: كخطاب النّبيّ ﷺ في التشهد, عن عبد الله بن عباس ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول: "التحيات المباركات الصلوت الطيبات السلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّدا رسول الله. مسلم وأبوداود وابن خزيمة ودارقطني والحاكم في «المستدرك» والترمذي والنسائي.

قال الإمام الغزالي: وأحضر في قلبك النّبيّ ﷺ وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النّبيّ ورحمة الله وبركاته.اهـ «إحياء علوم الدين». الثاني: سؤال الشفاعة حين زيارته ﷺ "يارسول الله سمعت الله تعالى يقول ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي. اهـ «عمدة الأبرار» وهذا استغاثة في ضمن التوسل. الثالث: من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة كما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في «رسالته». وبقي واحد وهو داخل في دائرة الاستغاثة اللغوية وخارج عن دائرة الاستغاثة الشرعية وهو الشعوذة المعروف بجعل الوسائط وهو ليس من الاستغاثة المأمورة بالعمل.

[الاستغاثة والتوسّل هما متّحدان، أم لا ؟]

هذا محل بحث عند العلماء ومنهم من فرّق ومنهم لم يفرق. ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسّل أو الاستغاثة أوالتشفع. «شفاء السقام». قال الإمام ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم»: والاستغاثة: طلب الغوث، والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه، فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قبول المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بهما أحد منهم سواه ، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه – نسأل الله العافية – والمستغاث به في

الحقيقة هو الله، والنّبيّ ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث، فهو سبحانه مستغاث به، والغوث منه خلقا وإيجادا والنّبيّ ﷺ مستغاث، والغوث منه سببا وكسبا ومستغاث به.اهـ «الجوهر المنظم». وقال حسن بن علي الثقاف: الاستغاثة هي أن يطلب شخص من النّبيّ ﷺ في حياته أو بعد موته موجها الخطاب إليه أن يدعو الله تعالى به في جلب منفعة أو دفع مضرة أو نحو ذلك ، وقد ثبت أنه ﷺ هو والأنبياء والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأن الأموات يسمعون كما تقدم. ومثال الاستغاثة المشروعة أن يقول شخص وقف على قبر النّبيّ ﷺ: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يغفر لي. ودليلها أحاديث كثيرة، منها ما يثبت الاستغاثة به ﷺ في حياته، ومنها ما يثبتها بعد وفاته ﷺ فيما فعله بعض الصّحابة وأقره الباقون منهم دون نكير حتى من كبارهم ﷺ.اهـ «المنهج الصحيح شرح العقيدة الطحاوية» .

قال الإمام ابن حجر الهيتمي: ولافرق بين ذكر التوسّل والاستغاثة والتشفع والتوجه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء وفاقا للسبكي وإن منعه ابن عبد السلام لأنه ورد جواز التوسل بالأعمال مع كونها أعراضا فالذوات الفاضلة أولى ولأن عمر توسل بالعباس ﷺ في الاستسقاء ولم ينكر عليه وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو حيّ يعلم سؤال من سأله وقد صح في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النّبيّ ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فأتاه في النوم وأخبره أنهم يسقون فكان كذلك، واستحسن بعضهم أنه يضم للسلام الذي ذكره المصنف قراءة آية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ ﷺ ، ثم صلى الله عليك يا محمّد سبعين مرة، لقول بعض القدماء بلغنا أنه يناديه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك اليوم حاجة والصواب أن يقول يا رسول الله لحمة ندائه ﷺ باسمه وقول بعضهم محل الحرمة في نداء لم يقترن به صلاة وسلام مردود نقلا وبحثا ولا يرد ما مرّ في الحديث لأن ذلك مستثنى لتصريحه ﷺ بالإذن فيه .اهـ «حاشية ابن حجر للإيضاح». (سُئِلَ) عَمَّا يَقَعُ مِنْ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَا شَيْخُ فُلَانٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَشَايِخِ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَمَاذَا يُرَجِّحُ ذَلِكَ ؟ (فَأَجَابَ) بِأَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ جَائِزَةٌ وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَةَ

الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ. أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مُعْجِزَةً لَهُمْ. وَالشُّهَدَاءُ أَيْضًا أَحْيَاءٌ شُوهِدُوا نَهَارًا جِهَارًا يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ.اهـ «فتاوى الرملي». وقال الإمام الحصني مؤلف «كفاية الأخيار»: وهذه القصة ذكرها بعض الأئمة وعزاها وقال إن الإستغاثة من بعيد به كالإستغاثة به عند قبره، وساق عن أبي إسحاق الحسين قال كنت بين مدينة النّبيّ والشام فظل لنا جمل قال وكان قد بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى قال فلما استقبلت عبادان وقصدت الإستغاثة هتف بي هاتف أما تستحي من رسول الله وتستغيث بغيره قال فتحولت نحو المدينة فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا مستغيث بك قال فوالله ما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لي هذا الجمل قد وجدناه ...اهـ «دفع شبه من شبه وتمرد». وقال الإمام السبكي: وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح وهي مخلوقة فالسؤال بالنّبيّ ﷺ أولى، وفي العادة أنّ من له عند شخص قدر فتوسل به إليه في غيبته فإنه يجيب إكراما للمتوسّل به، وقد يكون ذكر المحبوب أوالمعظم سببا للإجابة،ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أوالتشفع أو التوجه، ومعناه التوجه به في الحاجة، وقد يتوسل بمن له جاء إلى من هو أعلى منه.اهـ «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي» .

[حاصل مذهب أهل السنة والجماعة في الإستغاثة]

قال الإمام الطوفي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ احتجّ بها الشيخ شمس الدين الجزري شارح «المنهاج في أصول الفقه» على ابن تيمية فيما قيل عنه انه قال: لايستغاث برسول الله ﷺ لأنّ الاستغاثة بالله عزّ وجلّ من خصائصه وحقوقه الخاصة به، فلا يكون لغيره كالعبادة. وتقرير الحجة المذكورة: أنه قال: يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ماهي وهي الاستنصار والاستصراخ ثم قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسى واستنصره واستصرخه بنص هذه الآيات وهي استغاثة مخلوق بمخلوق وقد أقر موسى عليها الإسرائيلي وقد أقر الله عزّ وجلّ موسى على ذلك ولم ينكر محمّدا ﷺ ذلك لما نزلت هذه الآيات أي فكان هذا إقرارا من الله عزّ وجلّ ورسوله على استغاثة المخلوق بالمخلوق وإذا جاز أن يستغاث بموسى فبمحمّد ﷺ

أولى لأنه أفضل بإجماع. ومما يحتج به على ذلك: حديث هاجر أم إسماعيل حيث التمست الماء لابنها فلم تجد فسمعت حسا في بطن الوادي فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث وهذا في معنى الاستغاثة منها بجبريل وقد أقرها على ذلك ولم ينكره النّبيّ ﷺ عليها لما حكاه عنها. ولأن اعتقاد التوحيد من لوازم الإسلام فإذا رأينا مسلما يستغيث بمخلوق علمنا قطعا أنه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزّ وجلّ وإنما ذلك منه طلب مساعدة أو توجه إلى الله ببركة ذلك المخلوق وإذا استصرخ الناس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التخفيف عنهم جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام وقد صنف الشيخ أبو عبد الله النعمان كتبا سماه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام»، واشتهر هذا الكتاب وأجمع أهل عصره على تلقيه منه بالقبول وإجماع أهل كلّ عصر حجة فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع. فإن قيل: الآية المذكورة في قصة موسى والإسرائيلي ليست في محل النزاع من وجهين: أحدهما: أن موسى حينئذ كان حيا ونحن إنما نمنع الاستغاثة بميت. الثاني: أن استغاثة صاحب موسى به كان في أمر يمكن موسى فعله وهو إعانته على خصمه وهو أمر معتاد ونحن إنما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختص فعله بالله عزّ وجلّ كالرحمة والمغفرة والرزق والحياة ونحو ذلك فلا يقال: يامحمّد اغفرلي أوارحمني أوارزقني أوأجبني، وفي نسخة أخرى: أحييني بدل أجبني أو أعطني مالا وولدا لأن ذلك شرك بإجماع. وأجيب عن الأول: بأن الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي فضلا عن الأفضل أولى لأنه أقرب إلى الله عزّ وجلّ من الحي لوجوه: أحدها: أنه في دار الكرامة والجزاء والحي في دار التكليف.الثاني: أن الميت تجرد عن عالم الطبيعة القاطعة عن الوصول إلى عالم الآخرة والحي متلبس بها. الثالث: أن الشهداء في حياتهم محجوبون وبعد موتهم أحياء عند ربهم يرزقون. وعن الثاني: أن ماذكر تموه أمر مجمع مجمع عليه معلوم عند صغير المسلمين فضلا عن كبيرهم أن المخلوق على الإطلاق لايطلب منه ولا ينسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهية به وقد رأينا أغمار الناس وعامتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النّبيّ ﷺ ولا يزيدون على أن يسألو الشفاعة والوسلية يارسول الله اشفع لنا يالله ببركة نبيك اغفر لنا فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلا لاحاجة بأحد من المسلمين إليه. وإذا لم يكن بد من التعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد فليكن بعبارة لا توهم نقصا في النّبيّ ﷺ ولا غضا من منصبه مثل أن

يقال: ما استأثر الله عزّ وجلّ بالقدرة عليه فلا يطلب من مخلوق على الإطلاق أو نحو هذا ولا يتعرض للنبي ﷺ بسلب الاستغاثة عنه مطلقا ولامقيدا ولايذكر إلا بالصّلاة والسلام عليه والرواية عنه ونحو ذلك. هذا حاصل ماوقع في هذه المسألة سؤالا وجوابا ذكرته بمعناه وزيادات من عندي اهـ «الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية» للطوفي.

[تفصيل أنواع الاستغاثة]

١- استغاثة الخلق بالخالق سبحانه وتعالى.
٢- استغاثة الخلق بأحد من الخلق حال حياته دون الاعتقاد فيه النفع والضر بنفسه، بل مع الاعتقاد أنهما من الله تعالى.
٣- استغاثة الخلق بأحد من الخلق بعد وفاته دون الاعتقاد فيه النفع والضر بنفسه، بل مع الاعتقاد أنهما من الله تعالى.
٤- استغاثة الخلق بأحد من الخلق حال حياته مع الاعتقاد أن النفع والضر منه.
٥- استغاثة الخلق بأحد من الخلق بعد وفاته مع الاعتقاد أن النفع والضر منه.

والمختلف فيه من هذه الأقسام هو الثالث. ومنه الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والشهداء وعباد الله الصالحين بعد وفاتهم، وهو المراد عند الإطلاق بعد أن نشأ الخلاف في جوازه بإنكار ابن تيمية جوازه. أما القسم الأول فمشروع اتفاقا، والثاني فجائز كذلك، والرابع والخامس فلم يختلف أحد من أهل القبلة في شركيتهما.

[أوّل من أنكر التوسّل والإستغاثة حقيقة]

ونقل الشيخ محمّد بن مفلح بن محمّد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى الحنبلي في كتابه الفروع منقولا عن «الفنون»: وفي «الفنون»: لايخلق القبور بالخلوق، والتزويق والتقبيل لها والطواف بها، والتوسل بهم إلى الله، قال: ولا يكفيهم ذلك حتى يقولوا: بالسر الذي بينك وبين الله. وأي شيء من الله يسمى سرا بينه وبين خلقه؟ قال: ويكره استعمال النيران والتبخير بالعود، والأبنية الشاهقة الباب، سموا ذلك مشهدا. واستشفوا بالتربة من الأسقام، وكتبوا إلى التربة الرقاع، ودسوها في الأثقاب، فهذا يقول: جمالي قد جربت، وهذا يقول: أرضي قد أجدبت، كأنهم يخاطبون حيا ويدعون إلها ؟!.اهـ، لكن أنّ ابن المفلح فقد أقرّ التوسل في ذلك الكتاب، ونقل قول إبن تيمية الحراني موقفه بقوله "قال شيخنا" ونقل بعده ماهو موافق لموقف

الشيخ ابن المفلح، مخالفا لموقف ابن تيمية. فأمّا موقف ابن المفلح فعبارته مايلي: ويجوز التوسل بصالح، وقيل: يستحب، قال أحمد في «منسكه» الذي كتبه للمروذي: إنه يتوسل بالنّبيّ ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره، وجعلها شيخنا كمسألة اليمين به، قال: والتوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته، والصّلاة والسلام عليه ﷺ وبدعائه وشفاعته، ونحوه مما هو من فعله وأفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع ، وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقال أحمد وغيره: في قوله عليه السلام: "أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق": الاستعاذة لاتكون بمخلوق، قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب. وقال شيخنا: قصده للدعاء عنده رجاء الإجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة، وقال أيضا: يحرم بلا نزاع بين الأئمة. وقد شاع عند الناس لاسيّما أهل الحديث تعظيم السلطان محمود بن سبكتكين، قال أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: هو أبو القاسم بن ناصر الدين أبي منصور،ولي خراسان أربعين سنة ثم عظمه إلى غاية إلى أن قال: وقد زرت مشهده بظاهر غزنة، وهو الذي يتقرب إليه الناس ويرجون استجابة الدعوات عنده، توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.اهـ. فالحاصل فيه: أنّ موقف الشيخ إبن المفلح بجواز التوسل المعروف عند أهل السنة والجماعة.

[أوّل من أنكر الإستغاثة جهارا]

فأوّل من أنكر الإستغاثة جهارا كزيارة قبر النّبيّ ﷺ، هو إبن تيمية الحراني الحنبلي، كما قال نفسه في الفتاوى وأقرّه في الفتاوى، مانصها:....وأما دعاؤه والاستغاثة به: فحرام.اهـ. وقال ابن تيمية في «مختصر الفتاوى المصرية»: وخصوصا إذا انضم إلى ذلك دعاؤه والاستغاثة به كان كفرا وشركا محضا.اهـ. وقال في «الفتاوى الكبرى»: زيارة الميت لدعائه وسؤاله، والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع.اهـ. ولذا يقول الإمام التقي السبكي في شفاء السقام: أنه يجوز ويحسن التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنّبيّ ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى. وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكلّ ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين. ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولاسمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلّم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار،

وابتدع مالم يسبق إليه في سائر الأعصار.اهـ، فقول ابن تيمية الحراني الحنبلي وابن عقيل الحنبلي، قولٌ شاذٌّ لايعوّل عليه، هذا موقف الحنابلة في الأمر وعليه الإعتماد في مذهبهم (عَلَيْكَ أَنْ تَسْقِيَنَا الْغَيْثَ يَارَبَّنَا يَامَعْبُودُ قَالَتْ: فَإِذَا السَّمَاءُ قَدْ تَغَيَّمَتْ وَسَكَبَتْ مَاءً كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ) أي غامت السماء؛ غَطّاها الغَيْمُ وانْصَبَّ الماء فأمطرت السماء كالعيون (مَوْلاَيَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِماً أَبَدًا - عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كلِّهِمِ) هذه الأبيات للنشاط (مَنْ) اسم استفهام مبتدأ (مِثْلُ اَحْمَدَ) خبره، وأحمد غير منصرف للعلمية ووزن الفعل (فِي الْكَوْنَيْنِ) أي الدنيا والآخرة، متعلق بنهواه (نَهْوَاهُ) أي نحبّه، أي ليس أحد مثل محمّد ﷺ في المحبة في الدنيا والآخرة، فمحبته أعلى من محبة الجنة، فمحبته ﷺ خير ما في الدنيا والآخرة (بَدْرٌ) وهو بدر مثل القمر (جَمِيعُ الْوَرَى فِي حُسْنِهِ) أي في حسنه ﷺ (تَاهُوا) أي عجبوا وتحيّروا، وليس حسنه ﷺ كحسن يوسف عليه السلام، لأنّ حسنه لم يمزج بين الجلالية والنورانية، فعشق من نظر إليه بخلاف حسنه ﷺ فإنّ حسنه ممزوج بين الجلالية والنورانية الكمالية، ولذا بلغ النّبيّ ﷺ في الحسن النهاية القصوى ويوسف بلغ شطر الحسن الموهوب للناس لابالنسبة إلى النّبيّ ﷺ، قال الأئمة في كتبهم: إنّ كلّ الأشياء خُلق من نور محمّد ﷺ كما في حديث صحيح البخاري والمصنف لعبد الرزاق وغيرهما من الصحاح، فمن المعلوم أن الإيمان بالرسل من أركان الإيمان الستة، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام، فجعل ذلك النور جزأين فالجزء الأول ليوسف عليه السلام والجزء الآخر للمخلوقين الآخرين، وبه ينتفع الإشكال الواردة، قال العلامة عبد الله بن سعيد بن محمّد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي في «شرح وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ»: قال السخاوي في كتاب «الامتنان»: وقد سئل الجلال المحلي رحمه الله تعالى عن حديث (أعطي نبيّنا جميع الحسن، ويوسف شطره)!! فقيل: كيف يكون الشيء الواحد جميعه في شيء ونصفه في آخر!؟ فقال: لم يظهر لي جوابه، وكذا قال ابن حجر رحمهم الله تعالى؛ نقله عنه الشهاب الخفاجي في «شرح الشفاء».اهـ، وإلى حسنه أشار الإمام البوصيري:

فهْوَ الذي تَمَّ معناهُ ثمَّ اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسمِ
مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنهِ فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيهِ غيرُ مُنْقَسِمِ

وكتب عليه الحضرمي: (فهو الّذي تمّ): كمل (معناه): حال باطنه، (وصورته): حال ظاهره؛ بالرفع عطف على «معناه» والنصب مفعول معه (ثمّ اصطفاه): اختاره (حبيبا بارئ): خالق (النّسم) : جمع نسمة بفتحتين: وهي الإنسان. و"ثمّ" للترتيب في الإخبار؛ دون الصفات، أوفي الاصطفاء؛ كما قال المحلّي، نظرا للوجود الخارجي، فإن اتخاذه حبيبا ومخاطبته به بعد تمام معناه وصورته: منزّه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم، وقد حكى القرطبيّ رحمه الله تعالى في (كتاب الصّلاة)، أنّه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ؛ لأنّه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ) انتهى.اهـ «منتهى السؤل» (مَنْ مِثْلُهُ) اسم استفهام انكاري، مبتدأ في محل رفع بالإبتداء، وخبر مرفوع بضم اللام ومضاف اليه ضمير أحمد (وَإِلَهُ الْعَرْشِ شَرَّفَهُ) الواو للحال، مبتدأ وخبره شرفه (بِالْخَلْقِ) متعلق بشرفه، فقد أثنى الله في قرآنه في عدة من الآيات القرآنية بخلقه ﷺ قبل الأشياء، ومن نوره ﷺ خلق الأشياء كلّها (وَالْخُلُقِ) فقد أثنى الله عزّ وجلّ على نبيه محمّد ﷺ في صفاته وأخلاقه وشمائله، وجعله الأسوة والقدوة الذي يتبع ويقتدى به في حياتنا كلّها، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، قال القاضي عياض: "وأما الأخلاق المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخُلق الواحد منها فضلا عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه جزء من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخُلق، فجميعها قد كانت خلق نبينا محمّد ﷺ".اهـ (إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ) أي كلّ من الشرف كلّه (وَالشَّمْسُ تَخْجَلُ) يقال خَجِلَ الوَلَدُ: اِضْطَرَبَ حَيَاءً، اِسْتَحْيَا، مبتدأ وخبر (مِنْ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ) متعلق بتخجل (حَارَتْ عُقُولُ الْوَرَى) أي تحيّرت عقول الورى (فِي وَصْفِ مَعْنَاهُ) متعلق بحارت، أي تحيّرت عقول الورى في الحقيقة المحمّدية، فقد أشار الله تعالى في عدة الآيات القرآنية عن الحقيقة المحمّدية المشار إليها بالنور المحمّدي كما بسطت ذلك في «تحشية تفسير الجلالين» (تَبَارَكَ اللَّهُ) أي تقدّس الله وتنزّه، فعل وفاعل (مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ) أي ما أحسن طباعه ﷺ (حَازَ الْجَمَالَ) أي جمع ﷺ الجمال كلّه (فَمَا أَبْهَى مُحَيَّاهُ) الفاء للتزيين، أي ما أحسن وجهه ﷺ (يَاعُرْبَ وَادِي النَّقَا) أي فصحاء من وادي مكة (يَاأَهْلَ كَاظِمَةٍ) اسم موضع في مكة (فِي حَيِّكُمْ) أي في قبيلتكم،

متعلق بما بعده (قَمَرٌ فِي الْقَلْبِ) أي مثل قمر في تنوير القلوب (مَأْوَاهُ) وهو ملجأ للناس في كلّ الأمور عاديّا كان أوغير عاديّ (هَذَا مَلِيحٌ) أي أحمد جميل خلقا وخلقا (وَكلّ النَّاسِ يَعْشَقُهُ) الواو للحال مبتدأ وخبر، أي يحبّه كلّ من يطلق عليهم لفظ الناس (وَسَائِرُ الْخَلْقِ فِي أَوْصَافِهِ تَاهُوا) أي تحيّروا، هل هذا بشر أم لا (صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ) أي دائما (وَمَا حَثْحَثَ) أي ماأحسن الحركة والساق (الْحَادِي) بمعنى السايق، فاعل حثحث (مَطَايَاهُ) مفعول به، والمعنى: دوام الصّلاة عليه ﷺ والمدح وزيارة الرسول ﷺ (قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَمَا زَالَ عِنْدِي) أي ذلك الغلام (حَتَّى يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَالسَّعَادَاتِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ ثُمَّ إِنَّهُ) أي الغلام (خَرَجَ) أي الغلام (يَوْمًا مَعَ ضَمْرَةَ) وهو ابن حليمة السعدية ﵂ (يَرْعَيَانِ غَنَمًا لَنَا حَوْلَ بُيُوتِنَا) قريب بيوتنا (فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ بِابْنِي ضَمْرَةَ يَعْدُو) أي يسرع (وَقَدْ عَلاَهُ) أي تغيّر لون ضمرة خوفا (صَفْرَةٌ) أي صار أصفر من الخوف (وَهُوَ يُنَادِي يَا أُمَّاه) أي يقول ضمرة (إِلْحَقِي) أي اسرعي (أَخِي محمّدا ﷺ) أي إلى أخي محمّدا ﷺ (فَمَا أَظُنُّكِ) ياأمّي، ومانافية (تَجْدِينَهُ) أي محمّدا ﷺ (إِلاَّ مَقْتُولاً أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ) هذا بيان على خلفية الإسراع (قَالَتْ حَلِيمَةُ فَأَسْرَعْنَا إِلَيْهِ) أي الغلام (فَإِذَا هُوَ شَاخِصٌ) أي وهو ناظر (بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمَّا رَآنِي تَبَسَّمَ ضَاحِكًا فَضَمَمْتُهُ إِلَى صَدْرِي وَقَبَّلْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ) فيجوز تقبيلُ الرأسِ واليدِ والجبهة وبين العينين على وجه الاحترام والإكرام؛ لِمَا ثَبَتَ مِنْ حديثِ عائشة ﵂ قالَتْ: وَكَانَ النّبيّ ﷺ إِذَا رَآهَا [أي: ابنتَه فاطمة ﵂] قَدْ أَقْبَلَتْ رَحَّبَ بِهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَا حَتَّى يُجْلِسَهَا فِي مَكَانِهِ، وَكَانَت إِذَا أَتَاهَا النّبيّ ﷺ رَحَّبَتْ بِهِ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى النّبيّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَرَحَّبَ وَقَبَّلَهَا. أخرجه البخاري في «الأدب» والترمذي وغيرهما، وهو صحيح، وعن أبي جُحَيفة ﵁ قال: لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنْ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ، تَلَقَّاهُ النّبيّ ﷺ فَعَانَقَهُ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ. رواه الطبراني وأبو داود في «الأدب» وأورده في «السلسلة الصحيحة»، وفي حديثِ أنسٍ ﵁ قال: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ. أخرجه البخاري في «الصحيح»، وثَبَتَ مِنْ حديث عائشةَ ﵂: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﵁ لَمَّا تُوُفِّيَ النّبيّ ﷺ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ. أخرجه البخاري في «الصحيح»، وقد ثَبَتَ عن السلف العدلُ بين أولادهم في القُبَل، كما ثَبَتَ عنهم تقبيلُ اليد، فعن عبد الرحمن بنِ رَزِينٍ قال: مَرَرْنَا بِالرَّبَذَةِ، فَقِيلَ لَنَا: هَاهُنَا سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ، فَأَتَيْتُهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ يَدَيهِ فَقَالَ: بَايَعْتُ بِهَاتَينِ نَبِيَّ اللهِ

ﷺ، فَأَخْرَجَ كَفًّا لَهُ ضَخْمَةً كَأَنَّهَا كَفُّ بَعِيرٍ، فَقُمْنَا إِلَيْهَا فَقَبَّلْنَاهَا. أخرجه البخاري في «الأدب» صحيحا،وفي الباب أحاديثُ وآثارٌ كثيرةٌ.

(فَقُلْتُ لَهُ) أي الغلام (حَبِيبِي) أي ياحبيبي (فَدَتْكَ نَفْسِي) فقد قال الصّحابة أمثالها للنبي ﷺ ولم ينكر عليهم، ففي «الصحيحين» عن سلمة بن الأكوع ضمن حديث طويل قوله ﷺ لرسول الله ﷺ : فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله. وفي «الصحيحين» أيضاً عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : يا عبد الله بن قيس، قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يارسول الله فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.اهـ (مَا الَّذِي أَصَابَكَ يَا بُنَيَّ) أي ماأصابك من الجراحة (فَقَالَ لَهَا) أي النّبيّ ﷺ لأمه حليمة (جَاءَنِي ثَلاثَةُ نَفَرٍ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُمْ شَقُّوا صَدْرَهُ وَأَخْرَجُوا قَلْبَهُ وَغَسَلُوهُ وَرَدُّوهُ إِلى مَكَانِهِ فَالْتَئَمَ صَدْرُهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تعالى مِنْ غَيْرِ أَلَمٍ) فقد أورد أئمة السير في كتبهم، قال الإمام الدياربكري: وفي رواية عن حليمة أنها قالت لمّا تم له ثلاث سنين قال لى يوما يا امّه ما لي لا أرى أخوىّ بالنهار قلت له يا بنىّ إنهما يرعيان غنيمات لنا في موضع كذا قال فما لي لاأخرج معهما، قلت: له تحب ذلك، قال: نعم فلما أصبح دهنته وكحلته وعلقت في عنقه خيطا فيه جزع يمانية فنزعها، ثم قال لي مهلا يا أمه فإن معي من يحفظني قالت ثم دعوت يا بنيّ فقلت لهما أوصيكما بمحمّد خيرا لا تفارقاه وليكن نصب أعينكما فخرج مع أخويه في الغنم حتى وصلا إلى مكان الرعى فبينا هو قائم معهما إذ هبط جبريل وميكائيل. وفي «المنتقى» فبينما هم يترامون بالجلة يعني البعر انتهى، ومعهما طست من ذهب فيه ماء وثلج فاستخرجاه من الغنم والصبية وأضجعاه وشقا بطنه وشرحا صدره واستخرجا منه نكتة سوداء فغسلاه بذلك الماء والثلج وحشوا بطنه نورا ومسحا عليه وعاد كما كان قالت فلمّا رأى أخواه ذلك أقبل أحدهما اسمه ضمرة يعدو وقد علاه النفس وهو يقول يا أمّه أدركي أخي محمّدا وما أراك تدركينه قالت فقلت وما ذاك قال أتاه رجلان عليهما ثياب خضر فاستخرجاه من بيننا وبين الغنم فأضجعاه وشقا بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه ونسوة من الحىّ فاذا أنا به ﷺ قائما ينظر إلى السماء كأنّ الشمس تطلع من وجهه فالتزمه أبوه والله لكأنما غمس في المسك غمسة وقال له أبوه يا بنى مالك؟، قال: خير يا أبت أتانى رجلان انقضا علىّ من السماء كما ينقض الطائر فأضجعاني وشقا بطني وحشوا بشىء كان معهما مارأيت ألين منه

ولاأطيب ريحا ومسحا على بطني فعدت كما كنت. روى أنه بقى أثر الشق ما بين مفرق صدره إلى منتهى عانته كأنه الشراك. قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره ﷺ دائما. وفي «الشفاء» ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمّته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امّته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمّته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامّته كلّها لوزنها وطارا حتى دخلا في السماء. وفي رواية قال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفا من امّته في كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق أشفقت أن يخرّ علىّ بعضهم فقالوا لو أنّ أمّته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركانى. وفي رواية قال رسول الله ﷺ: إنّ ملكين جاآنى في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشقّ أحدهما صدري ومج الآخر بمنقاره فغسله. وفي حياة الحيوان عن أبى ذرّ أنه قال يا رسول الله كيف علمت انك نبيّ وبم علمت حتى استيقنت قال يا أباذرّ أتاني ملكان فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فوزنني برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنني بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزننى بمائة فرجحتهم ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملا ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفيّ كما هو الآن ووليا عني فكأنى أعاين الامر معاينة.اهـ «تاريخ الخميس» في أحوال أنفس النفيس (مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِماً أَبَدًا * عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كلِّهِمِ) (يَا مَوْلِدًا) أي مولودا(قَدْ حَوَى عِزًّا) أي جمع العزة الدنيا والآخرة (وَإِقْبَالاً) أي عندهم (بِوَصْفِهِ) أي بذكر المولود، متعلق بما بعده (يَبْلُغُ الْمُشْتَاقُ آمَالاً) أي يبلغ المحبّ المقاصد (يَامُدَّعِي الْحُبِّ فِيهِ وَهْوَ ذُو وَلَهٍ) أي ذو ضعف (وَفِي هَوَاهُ) أي في محبّته وعشقه، متعلق بجفا (جَفَا أَهْلاً وَأَطْلَالاً) أي ترك الأهل والديار، والمراد المحبة النبوية تلوز كلّ شيئ في الدنيا والآخرة (إِنْ كُنْتَ تَعْشَقُهُ) معنى العشق: لاتفارقه أبدا (مُتْ فِي مَحَبَّتِهِ) جواب الشرط، المراد بالموت الفناء في المحبة النبوية (مُوَلَّهَ الْقَلْبِ) حال من الضمير في مت (مُشْتَاقًا) أي متحرك القلب بشدة المحبة، حال ثانية من ذلك (وَإِلاَّ لا) أي إن لم تعشق فلا معنى لمحبّته ﷺ (اَلنُّوقُ) بضم النون جمع الناقة وهي أنثى الإبل، وقال أبو عبيدة لاتسمى ناقة. ولايقال للذكر عند الأكثر، وحكى إبراهيم الحربي عن الأصمعي جوازه.اهـ «عون

المعبود» و«فتح الباري»، أي الجمل، فعلى الأول مؤنث، وعلى الثاني يذكّر (تَعْشَقُهُ) أي كلّ من رآه (وَجْدًا) أي محبة شديدة، بل على الأقلّ تعشق الرؤياه (وَتَقْصِدُهُ) أي النوق (شَوْقًا) أي محبة شديدة (وَتَطْلُبُ مِنْ رُؤْيَاهُ إِجْلاَلاً) أي تعظيما، لأنّه من أعظم العجائب بالنسبة إلى الحيوانات، وهذا الأبيات، وما بعدها على وجه التشبيب لا على التشبيه.

(أَمَا تَرَاهَا) أي النوق، والهمزة للتقرير، وما نافية (إِذَا لاَحَتْ) أي ظهرت (قِبَابُ) أي منارة مسجد القباء، أو البنيان (قُبَا) قرية قرب المدينة المنورة بني فيها أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء (تَحُطُّ) أي تنزل (عَنْهَا) أي النوق (حُدَاةُ الْعِيسِ) أي إبل بيض يخالط بياضها شقرة أو سواد خفيف (أَثْقَالاً) أي أحمالا، وكان هذا الموضع ملجأ للمسافرين في تغديتهم وسائر الحوائج للمسافرين، وهكذا كثير من المواضع في المليبار في الزمان الماضي (مُشْتَاقَةً) حال من تراها، ويصح بالمرفوع، خبر لمبتدأ محذوف، وعشقت صفة له (عَشِقَتْ) أي النوق (مَنْ لاَشَبِيهَ لَهُ) أي في الدنيا والآخرة، والمراد بهذا الكلام من التشبيب، زيارته ﷺ (يُقَطِّعُ الشَّوْقُ مِنْهَا) متعلق بيقطع، أي النوق (فِيهِ) أي فيمن لاشبيه له (أَوْصَالاً) مفعول يقطع، أي مفاصل، والمرادبه: وصاله ﷺ، ولذا يقول القطب الشعراني في كتابه «تنبيه المغترين»: ومن الأولياء من يصلّي خلف النّبيّ ﷺ بعد موته ﷺ.اهـ، أظنّ فمنهم قطب العالم سراج الأرض سيّدنا/ محمّد أبوبكر بن كنج ماحين كويا الباقوي بلدا ومرقدا رحمهما الله تعالى ونفعنا بعلومهم في الدارين، وفي مصر كثير من الأولياء بهذه الصفة كأحمد البدوي والمرسي من الأقطابين (إِيَّاكَ) احذر عن التشبيه (وَالْعَذْلَ) أي المقابلة والمقارنة (مَنْ) فاعل يشبه (فِي الْكَوْنِ) أي من في الوجود (يُشْبِهُهُ) أي هذا الغلام وهذا المولود (قَدْ فَاقَ) يقال فاق الشيء: علاه "فاق السطح" (حُسْنًا وَأَشْكَالاً وَأَمْثَالاً) وإليه أشار قطب العاشقين البوصيري في بردته: فاقَ النّبيّينَ في خلْقٍ وفي خُلُقٍ * ولمْ يدانوهُ في علمٍ ولاكَرَمِ. قال في شرحه: اعلم ايها المحب! لهذا النّبيّ الكريم الباحث عن تفوقه على سائر الانبياء في ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة من الجلال والجمال وفقك الله تعالى وإيّانا في كلّ حال أنّ نبينا عليه الصّلاة والسلام أفضل الأنبياء بالآيات والأحاديث.اهـ «عصيدة الشهدة»

(إِنْ جِئْتَ) أي ان كانت حاجتك (بَابَ النَّقَا) أي جهة النقا، والنَّقَا الكثيبُ من الرَّمْل، والمراد ههنا ما بين القرارة والمعلاة (أَوْ جِئْتَ مَرْبَعَهُ) أي القوم في النقا (فَحُطَّ) فانزل (يَا حَادِيَ الْأَظْعَانِ) أي يامسافر، والحادي: فاعل من حَدا، والحادي: الذي يسُوق الإبَل. والأظعان: جمع ظَّعِيْنَةُ، يقال: ظَعَنَ الْمُسافِرُ: سارَ، اِرْتَحَلَ (أَحْمَالاً) أي أثقالا، مفعول لحط. المعنى: فانزل يامسافر في ذلك الموضع وفيه ولد سيدنا محمّد ﷺ (ضَاعَ الزَّمَانُ) أي هلك الزمان والدهر، وهذا إعتذار من المصنف (وَلَمْ أَنْظُرْ مَنَازِلَهُ) أي إلى مكانه ﷺ وعظمته حق المعرفة (وَمَا رَأَيْتُ) ما نافية، لاأرى أيّ شخص يمكنه إخبار شكايتي للحبيب ﷺ (بِذَاكَ الشِّعْبِ أَطْلَالاً) أي من يريد إلى ذلك الموضع، وهو المدينة المنورة. والأطلال: كلّ شيئ مرتفع على الأرض ، فالمراد هنا مقبرته [القبة الخضراء] (ذَنْبِي يُقَيِّدُنِي) أي يمنعني من الزيارة، والقيد: حَبْل ونحوُه يُجعَل في رِجل الدابة وغيرِها فيمسكها، فهذا الكلام ككلام الإمام /محمّد بن محمّد بن أبي بكر بن رشيد، أبو عبد الله، مجد الدين الوتري، صاحب «الوترية» في وتريته:

أَنَـا رَجُـلٌ ثَقَّلْـتُ ظَهْـرِي بِزَلَّتِي ... فَمَـنْ زَلَّ يَـأْوِي لِلشَّـفِيعِ وَ يَلْجَـأُ
أَغِثْنِي أَجِرْنِي ضَاعَ عُمْرِي إلى مَتَى ... بِأَثْقَـالِ أَوْزَارِي أَرَانِـيَ أُرْزَأُ
إذا لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ جَنَابِكَ شَافِعٌ ... شَـقِيتُ فَمَـا لِي غَيْرَ جَاهِـكَ مَلْجَـأُ
يَسُوقُ التُّقَى سَعْيًا إِلَيْهَاَ عِصَابَةً ... وَأَمَّا أَنَـا فَالـذَّنْبُ يَمْنَعُنِي السَّـعْيَا
بِطَيْبَةَ حَـطَّ الصَّالِحُونَ رِحَالَهُمْ ... وأَصْبَحْتُ عَنْ تِلْكَ الأَمَاكِنِ أُحْجَبُ

(وَالصَّدُّ) أي إعراض النفس عن الزيارة (يُقْعِدُنِي) أي يعزني عن الزيارة، فهذا وأمثاله غاية في العشق (وَقَدْ حَمَلْتُ مِنَ الْأَوْزَارِ أَثْقَالاً) الوزر: الذنب (لَكِنَّنِي فِي غَدٍ أَرْجُوهُ يَشْفَعُ لِي) أي عند الموت وفي البرزخ وفي الحشر (وَحُسْنُ ظَنِّي بِخَيْرِ الْخَلْقِ) من حُسنِ الظنّ برسول الله أن تدعو ربَّك مع وسيلته، وتُحسنَ الظنَّ بالله بأنه سيجيبُ سؤلي، فيعطي المرغوب ويباعد عن المرهوب، فحسنُ الظنِّ بالله شرط من شروط إجابة الدعاء؛ قال رسول الله ﷺ : «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنّ الله لايستجيبُ دعاءً من قلب غافل لاهٍ». حديث حسن وصحيح؛ رواه الإمام أحمد، والترمذي (مَازَالَا) أي يكون ﷺ شافعا لي في كلّ أموري سيّما في أمور الآخرة (وَقَدْ لَجَأْنَا) أي رجعنا (إِلَى بَابِ الْكَرِيمِ) وهو ﷺ (وَمَنْ يَلْجَأْ إِلَيْهِ) أي إلى الرسول (يَرَى) جواب من (رَحْبًا وَإِقْبَالاً) أي كلمات

الترحيب من جانبه ﷺ، فانظروا وتأمّلوا إلى ترحيب ابن حجر الهيتمي من جانبه ﷺ كما تقدّم (بِحَقِّهِ يَا اِلَهِي) أي بحقّ الرسول وبركته، متعلق بمابعده، وهذا توسّل وإستغاثة من المصنّف (جُدْ لَنَاكَرَمًا) أي البركات في الدنيا والآخرة (بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ) متعلق بجد، الفرق بين العفو والصفح: فالصفح أبلغ من العفو، فإن العفو هو عدم المؤاخذة مع إمكان بقاء أثر ذلك في النفس، أما الصفح فهو التجاوز عن الخطإ مع محو أثره من النفس. قال الإمام القرطبي في التفسير: والعفو ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح إزالة أثره من النفس، صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه، وقد ضربت عنه صفحا إذا أعرضت عنه وتركته، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾. [الزُّخرف:٥] (إِكْرَامًا وَإِجْلاَلاً) أي إحسانا وإفضالا(هُوَ النَّبِيّ الَّذِي طَابَ الْوُجُودُ بِهِ) أي وهو قطب العالم ومدبّر العالم، والعلماء من ورثة الأنبياء، وعلماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فيكون علماء العاملين مدبّر العالم كالملائكة، وهم الأولياء كشيخنا قطب العالم/مولانا محمّد أبوبكر بن كنج ماحين كويا الباقوي بلدا ومرقدا رحمهما الله تعالى (وَفِيهِ) أي في النّبيّ ﷺ كالملحدين، وفي زيارته ﷺ كأهل البدع والزندقة (خَالَفْتُ لُوَّامًا وَعُذَّالاً) وهم يلومون الأنبياء سيّما أشرف الخلق ﷺ حتى قالوا الرسول ﷺ غلام الأعرابي ومتزوّج كثيرا ويعصي الله في كلّ يوم كثيرا من الذنوب. يقال: عَذَّلَ صَاحِبَهُ: بَالَغَ فِي لَوْمِهِ (صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ ثُمَّ عَلَى أَهْلِيهِ وَالصَّحْبِ آبَادًا وَآزَالاً) أي في كلّ آن ولحظة (وَسمَّاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ محمّدا) أي بإلهام من الله تعالى لأمّه ولجدّه (عَلَى وَصْفِهِ) متعلق بسماه (الْمَحْمُودِ وَهْوَ بِهِ يَدْرِي) أي وهو مستحق بذلك المقام (وَمَا) الواو مستأنف، وما للتزين (غَسَلَتِ الْأَمْلاَكُ مِنْ بَطْنِهِ أَذًى) أي طهّرت الملائكة من جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، كما ورد به بعض الروايات (وَلَكِنَّهُمْ) أي الملائكة بالتطهير(زَادُوهُ) النّبيّ (طُهْرًا عَلَى طُهْرٍ) أي تطهيرا بعد تطهير، المراد التزكية الروحانية، لينالة ﷺ قدرة التزكية ومقامها كما قال تعالى في صفته ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية (فَهُوَ أَعْظَمُ الْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا) ليس فوقه مرتبة للخلق (وَأَكْبَرُهُمْ هِمَّةً) تمييز، ولذا يقول الشاعر: وهمتُه الصغرى أجلّ من الدهر(وَفَخْرًا) أي التحدث بنعمة الله تعالى. معطوف على همة، وإليه أشار ﷺ في عدة أحاديث، بقوله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولافخر.

[هل تفاخر النّبيّ ﷺ بحسبه ونهى عنه أمّته ؟]

ما ورد من تحديث النّبيّ ﷺ عن بعض فضائله ومناقبه لا يتعارض مع نهيه ﷺ عن التفاخر بالأحساب، لأنّ معناه،أن الذي ورد ذمّه في النصوص هو ما كان على سبيل التكبّر، والتنقص للآخرين، أو أنّ قوله ﷺ "أنا النّبيّ لاكذب" كان في غزوة حنين، وفي مقام حرب، وهو مقام يحتاج إلى إظهار القوة البدنية والقلبية، ومن ذلك الفخر على العدو وهو جائز، يقول الإمام النووي رحمه الله في «شرحه على صحيح مسلم»: ومعنى قوله ﷺ: "أنا النّبيّ لا كذب" أي: أنا النّبيّ حقاً فلا أفر، ولا أزول. وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان، وأنا ابن فلان. ومثله قول سلمة: "أنا ابن الأكوع"، وقول علي ﷺ: "أنا الذي سمتني أمي حيدره"، وأشباه ذلك، وقد صرح بجوازه علماء السلف، وفيه حديث صحيح، قالوا: وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار كفعل الجاهلية والله أعلم.انتهى كلامه، أو أن هذا الكلام منه ﷺ خرج منه مخرج التحدث بنعمة الله تعالى، ولا مدخل فيه للفخر، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتحدث بنعمته عليه، فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]. قال الإمام النووي في «شرحه على صحيح مسلم»: وقوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم" لم يقله فخراً، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم، في الحديث المشهور: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وإنما قاله لوجهين: أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.اهـ (لَوْلاَهُ مَاخَلَقَ اللَّهُ مَلَكًا وَلاَ أَدَارَ فَلَكًا) قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (وَلاَ أَطْلَعَ بَدْرًا) أي ولا رأى أحد القمر، المراد به عالم الدنيا (أَسْرَى بِهِ إِلَيْهِ فِي الظَّلاَمِ لِيَخُصَّهُ بِنَيْلِ الْمَرَامِ) أي الله الذي مشى النّبيّ ﷺ إلى حضرته في الليل ليخصّصه بأمور ليس للخلق غيره وهو المناجاة مع ربّه تعالى.

[هل يطلق لفظ الإسراء على المعراج ؟]

نعم يطلق في المعنى، كما أطلق المصنف رحمه الله تعالى، لأنّ تعريف الإسراء والمعراج كما يلي: الإسراء لغة السير ليلاً، وإصطلاحاً حادثة سير الرسول ﷺ ليلا من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس غيبيّة. أما المعراج لغة فهو الآلة التي يصعد فيها أوبها من أسفل إلى أعلى، كالسلم والدرج وغيرهما، واصطلاحا حادثة صعود الرسول ﷺ من بيت المقدس إلى السموات السبع وبلوغه سدرة المنتهى

غيبيّة. وقد تمت هاتان الرحلتان في ليلة واحدة في ساعات قليلة كما نصّت الآيات والآحاديث وأقوال الأئمة الفحول، على ظهر دابة من دواب الجنة تدعى البراق، وبتوجيه مباشر من جبريل عليه السلام، وتشير المصادر الإسلامية إلى وقوعها بجسده ﷺ مع إختياره ﷺ قبل الهجرة بسنة واحدة بالدليل القاطع. فقد فصّلت أنا وسائر العلماء الفحول في كتبهم (فَسُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَخَاطَبَهُ) أي خاطب الله لنبيّه ﷺ (بِلِسَانِ أُنْسِهِ) أي بكلامه تعالى لحبيبه ﷺ غيبية، فحصل النبيّ ﷺ بعده قوى باطنيّة ليس لخلقه تعالى، ولذا أظهره الله وأعلمه سائر المغيبات التى حصلت في الدنيا والآخرة، فصار النبيّ ﷺ أفضل الخلق وأوّل الخلق كما بيّنت في «تحشية تفسير الجلالين» (عَلَى بِسَاطِ قُدْسِهِ) أي من حضرة الله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ) الفاء للسببية، أي أوحى الله إليه سرّا وعلانية، نعم أكثر الوحي من بين الناس، ولم يروا جبريل عليه السلام ، وهذا من أعظم الغيب كما قال الحافظ في «الفتح» (سَادَاتِ الدُّنْيَا ومُلُوكِ الْأُخْرَى) أي آل النّبيّ وأصحابه سادة للناس في الدنيا وملوك في الآخرة، وكلّ يشفعون للمحبّين في الآخرة لأجل السادات في الدنيا (مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِماً أَبَدًا * عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كلّهِم) هذا للأنس في الموالد (صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النُّورِ الَّذِي ظَهَرَا * لَنَا بِشَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ) أي طلع لنا في شهر ربيع الأول (اشْتَهَرَا) أي صار مولده بين الأنام معروفا ومشتهرا (أَضَاءَتِ الأرض نُورًا يَوْمَ مَوْلِدِهِ) تقدّم بيانه (وَأَصْبَحَ الْكَوْنُ) أي صار العالم (مِنْ أَنْفَاسِهِ) أي من ظهور روحه ﷺ إلى الدنيا، متعلّق بما بعده (عَطِرًا) أي كالعطور في الشرف والكرم والجمال والكمال والريح الطيّب. وَكَان النّبيّ ﷺ طَيِّبا مُطَيَّبا في حَياته وبعْد مَماتِه، فقد وردَ عن الصّحّابة الذين غسَّلُوه رضي الله عنهم مَا يدُلُّ عَلى هَذا؛ منْه مَا جَاء عن عَلي ﷺ قال: "غَسَّلْت النّبيّ ﷺ فَذهبتُ أنْظر مَا يكُون من الميّت فلمْ أجِد شيْئا، فقُلت: طِبت حيًّا وميّتًا، قَال: وَسَطعت منْه ريحٌ طَيِّبة لمْ نَجد مثْلها قَطُّ». أخرجه ابن ماجه في «سننه»، والبيهقي في «سننه»، وابن سعد في «الطبقات الكبرى»، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. وصححه الحاكم في المستدرك، وفيه أدلة اخرى فصلته في كتابي «المحبة البيضاء بجوار القبة الخضراء» (هُوَ الَّذِي نَارَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ) أي النّبيّ ﷺ الذي اضائت الدنيا وما فيها بظهور جسده ﷺ إلى عالم الدنيا من بطن أمه ﷺ (وَسِرُّهُ) أي سرّ النّبيّ ﷺ، وهذا إشارة إلى حديث الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ:

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ. رواه البخاري في الصحيح، فالمراد بالوعاء الثاني علم الأسرار والأنوار المكتومة عند علماء الأسرار والمعروفة لهم كالأقطاب السبعة[٢]، ينظر «شرح الأربعين» للحجازي. فقولُ بعض العلماء المعاصرين هذا مخصوص بأمور الفتنة فقط، قولٌ لايصح، لأنّ الوعاء الأوّل مخالف للوعاء الثاني، فإذا جاز في أمور الفتنة فأيُّ مانع أن يكون للأمور الأسرار وعلوم الأنوار الموهوبة في الباطنة، فهذا الحديث يجوّز ذلك كما يجوّز علوم الفتنة في آخر الزمان. (فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ سَرَا) أي مشى وظهر سرّه بين الأولياء والعلماء العاملين كالأئمة الأربعة[٣] (مِنْ بَطْنِ آمِنَةٍ لِلْعَالَمِينَ بَدَا) الجار والمجرور متعلق ببدا، أي ظهر للعالمين من ولادة النّبيّ ﷺ (مَوْلُودُ) فاعل بدا (حُسْنٍ) مضاف إليه أي مشتمل على الحسن والفضل (سَنَاهُ) أي شرفه وظهوره ﷺ (يُخْجِلُ الْقَمَرَا) أي يعجز القمرا في الحسن والبهجة

(جَاءَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ تَشْهَدُهُ) أي في جوانب العالم حين ولد ﷺ، وتقدّم بيانه (كَيْمَا) كلمة مركَّبة من كَيْ وما المصدريّة بمعنى فيما (تُمَتِّعَ مِنْ أَنْوَارِهِ النَّظَرَا) أي تبرّك الملائكة من أنوار النّبيّ ﷺ، حين نظروا إلى النّبيّ ﷺ بعد ولادته ﷺ تثبيتا أنّ لهذا الغلام نصرة الملائكة فوقع هذا في المواقع (طَافُوا) أي الملائكة (بِهِ) أي ﷺ(الأرض) أي بين السماء والأرض على وجه التكريم، مثل اننّا نكرم بعض الأحبّاء من خلال الطيران الجوية (وَالْأَكْوَانَ أَجْمَعَهَا) أي سائر الأكوان كالناسوتية والبيت المعمور(لِيَشْهَدَ النَّاسُ سِرًّا) متعلق بطافوا، ولذا شهد بعض علماء النصارى بنبوّته ﷺ كما تقدّم وقد بيّنته في كتابي «المحبة البيضاء» (كَانَ مُسْتَتِرَا) أي كان شرفه ﷺ غير مظهر قبل وجوده ﷺ إلى

---

(٢) أي الجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي والشاذلي والجشتي الأجميري والإمام عبد الله الحداد، وسائر الأقطابين كإبن العربي الصوفي والمرسي وابن عطاء الله وابن الفارض وشيخنا قطب العالم المدووري بلدا ومرقدا ،وأضرابهم من العلماء والأولياء الكرام .

(٣) هذا الإطلاق،إطلاق الائمة الأربعة جرى بين العلماء قبل ٥٤٥هـ، وإطلاق الأقطاب الأربعة جرى من زمن مصنف نور الأبصار الشبلنجي، وإطلاق الأقطاب الستة جرى من زمن ١٤٢٠هـ ، وإطلاق الأقطاب السبعة من زمن ١٤٤٤ هـ . قلتُ: فالائمة الأربعة فلهم المزايا العظمية بين الخلق، وسائر الأولياء كالأقطاب الأربعة، ولايجوز لأحد تفضيل الأقطاب الأربعة على الأئمة الأربعة، ولايفضّل الأقطاب الأربعة على الأئمة الأربعة إلّا جاهل في الدين .

عالم الدنيا، فلمّا عاينه ﷺ تيقّن لهم بنبوته ﷺ فمنهم ورقة بن نوفل وأضربه رحمهم الله تعالى وهو أوّل المسلمين بعد نبوته ﷺ على قول بعض الأئمة الكبار، لكن المعتمد عند الأكثرين وهو زوجته الحبيبة خديجة الكبرى ﵂ (وَأَخْبَرُوا) أي الملائكة والأنبياء قبله ﷺ يقظة ومناما (أُمَّهُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَتْ) مفعول، وما بعده بيان وصف أمّه ﷺ، أي آمنة زهراء ﵂، لا أمُّه حليمة السعدية وغيرها من المرضعة (بِفَخْرِهِ) أي بشرفه ﷺ (عَزَّ قَدْرُ الْبَيْتِ) رفع رفعة بيت الحرام بسببه ﷺ (وَافْتَخَرَا) أي اشتهر رفعة الكعبة بشرفه ﷺ، لأنّ جسد النّبيّ ﷺ أفضل من الكعبة والعرش والكرسي وما سوى الباري تعالى إجماعا كما قال الائمة في كتبهم، فقد صنّفته في الموضوع كتاب خاص المسمى ب«موضع جثمان النّبيّ أفضل» (هُوَ الَّذِي كلّ مَنْ فِي الْكَوْنِ يَعْشَقُهُ) أي كلّ من الناس والخلق كلّهم يحبّ النّبيّ ﷺ ويعشق النظر إلى وجهه ﷺ (وَيُطْرِبُ) أي يهتزَّ من فرحٍ وسرورٍ (الصَّبَّ) النزول، وهو حيّ في قلوب المؤمنين (مَعْنَاهُ) أي النّبيّ ﷺ (إِذَا ذُكِرَا) أي النّبيّ ﷺ بين الأنام أو في المجالس. وهذا إشارة إلى رؤيته ﷺ يقظة أو مناما.

[رؤيته ﷺ يقظة ومناما أمر ممكن في الخلق]

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية»: أنكر ذلك جماعة وجوزه آخرون وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لايتهم من الصالحين، بل استدل بحديث البخاري«من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» أي بعيني رأسه، وقيل بعين قلبه .واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ، لأن أمته كلّهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره في المنام. وفي شرح ابن أبي جمرة للأحاديث التي انتقاها من البخاري: ترجيح بقاء الحديث على عمومه في حياته ومماته لمن له أهلية الاتباع للسنة ولغيره. قال : ومن يدعي الخصوص بغير تخصيص منه ﷺ فقد تعسف ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدق بقول الصادق وبأنه جاهل بقدرة القادر وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة، ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه في النوم ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده، وأمّا غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلّة أو بكثرة بحسب تأهلهم وتعلقهم واتباعهم للسنة إذ الإخلال بها مانع كبير ،

وفي «صحيح مسلم» عن عمران بن حصين ﷺ، أن الملائكة كانت تسلم عليه إكراما له لصبره على ألم البواسير، فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه، فلما ترك الكي أي برئ كما في رواية صحيحة عاد سلامهم عليه لكون الكي خلاف السنة منع تسليمهم عليه مع شدة الضرورة إليه لأنه يقدح في التوكّل والتسليم والصبر. وفي رواية البيهقي: كانت الملائكة تصافحه فلما كوى تنحت عنه. وفي كتاب «المنقذ من الضلال» لحجة الإسلام الغزالي بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير الخلق حتى إنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصوات ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشادة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الناطق. وقال تلميذه أبوبكر بن العربي المالكي: ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة. وفي «المدخل» لابن الحاج المالكي رؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيق، وقلّ من يقع له ذلك إلّا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا، مع أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم. قال: وقد أنكر بعض علماء الظاهر ذلك محتجا بأن العين الفانية لا ترى العين الباقية وهو ﷺ في دار البقاء والرائي في دار الفناء. ورد بأن المؤمن إذا مات يرى الله وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كلّ يوم سبعين مرة، وأشار البيهقي إلى رده بأنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم رأى جماعة من الأنبياء ليلة المعراج. وقال البارزي: وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النّبيّ ﷺ يقظة حيّا بعد وفاته.اه، إلى أن قال: ثم رأيت ابن العربي صرّح بما ذكرناه من أنّه لا يمتنع رؤية ذات النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بروحه وجسده لأنه وسائر الأنبياء أحياء ردّت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرّف في الملكوت العلويّ والسفليّ.اه ،إلى أن قال: ولايلزم من ذلك أن الرائي صحابي لأنّ شرط الصحبة الرؤية في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت،وهي لا تفيد صحبة وإلا لثبتت لجميع أمته لأنهم عرضوا عليه في ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت به الأحاديث.اه، وقد صنّفت في هذا الموضوع كتاب خاص، مع الحكايات الكثيرة، فليراجع .

(هَذَا يَتِيمٌ كَرِيمٌ زَانَهُ شَرَفٌ) يقال: زان كلامَه: حسَّنه وجمَّله،أي حسّن شرف النّبيّ ﷺ. والمراد بالشرف: إظهار مقامه ﷺ وكمال منزلته وعظم قدره ورفع ذكره وتوقيره بين العالم حتى يقال مَن سمع إسمه ﷺ هو رجلٌ مفخّم لايأتي مثله، أومجازاته ﷺ على

إحسانه إلينا. أوحصول الثواب لنا من إظهار شرفه وكماله كما قال الإمام ابن حجر الهيتمي في «التاوى الحديثيّة» (مِنْ أَجْلِهِ) أي من سببه، متعلّق بما بعده (تُكْرَمُ الْأَيْتَامُ وَالْفُقَرَا) أي الفقراء والمساكين سيّما الأيتام، كما قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾، وقوله ﷺ: أنه قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. رواه البخاري في «صحيحه». ومعنى الكفالة: قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: "كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك".اهـ، وقد روى البخاري في« الأدب المفرد»: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ كان لا يأكل طعامًا إلّا وعلى خوانه يتيم.اهـ

(هَذَا النّبيّ الَّذِي لَوْلاَ جَلاَلَتُهُ) أي أنّه لو لم يكن مقام لهذا النّبيّ ﷺ عند الله تعالى (لَمْ يُخْلَقِ الْخَلْقُ لاَجِنًّا وَلاَ بَشَرَا) أي لم يخلق الخلق كلّه ولا البشر ولا الجنة ومافيها، والله تعالى خلق لأجله ﷺ، ومن نوره ﷺ خلق الله الخلق كما نطقت به الآيات والأحاديث الصحيحة (هَذَا النّبيّ الَّذِي) مبتدأ وخبر(مَنْ زَارَ حُجْرَتَهُ) مفعول زار، أي روضته ﷺ (نَالَ الْهَنَا) أي الفرح والسرور في العيش (وَالْمُنَا) أي ينال المقصود والمرغوب (وَالسُّولَ) وهو مفرد: طَلَب، وحاجة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (وَالْوَطَرَا) معناه: الحاجة المهمة، يقال: الوَطَرُ: الحاجةُ فيها مأْرَبٌ وهِمَّةٌ عاليةٌ (صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَاسَجَعَتْ) يقال: سجَعَتِ الحمامةُ والناقةُ سجَعَتِ سَجْعًا: ردَّدَتْ صوتَها على طريقةٍ واحدةٍ (حَمَامَةٌ) فاعل سجعت، طائر معروف (فَوْقَ غُصْنٍ) معنى الغصن: مَاتَشَعَّبَ مِنْ سَاقِ الشَّجَرَةِ دَقِيقُهُ وَغَلِيظُهُ، حال من سجعت (مَائِسٍ سَحَرَا) أي إشتدّ صوتها في السحر، وفيه تشبيب أوتنظير(قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) لعلّه عبد الْوَاحِد بن إِسْمَاعِيل بن محمّد البوشنجي،المتوفي قبل ٥٣٠هـ (كَانَ بِمِصْرَ رَجلٌ يَصْنَعُ مَوْلِدًا لِلنَّبي ﷺ كلّ عَامٍ وَكَانَ إلى جَانِبِهِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ فَقَالَتْ زَوْجَةُ الْيَهُودِيّ: مَا بَالُ جَارِنَا الْمُسْلِمِ يُنْفِقُ مَالاً كَثِيرًا فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ. فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: إِنَّهُ يَزْعَمُ أَنَّ نَبِيَّهُ وُلِدَ فِيهِ. فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَرْحَةً بِهِ وَكَرَامَةً لَهُ وَلِمَوْلِدِهِ. قَالَ: فَسَكَتَا. ثُمَّ نَامَا لَيْلَتَهُمَا فرَأَتْ إِمْرَأَةُ الْيَهُودِيّ فِي الْمَنَامِ رَجُلاً جَمِيلاً عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَتَبْجِيلٌ وَوَقَارٌ فَدَخَلَ بَيْتَ جَارِهِ الْمُسْلِمِ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يُبَجِّلُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ، فَقَالَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْجَمِيلُ الْوَجْهِ، فَقَالَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخلَ هَذَا الْمَنْزِلَ لِيُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِهِ وَيَزُورَهُمْ

لِفَرَحِهِمْ بِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: هَلْ هُوَ يُكَلِّمُنِي إِذَا كَلَّمْتُهُ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ ﷺ وَقَالَتْ يَا محمّد، فَقَالَ لَهَا: لَبَّيْكِ. فَقَالَتْ لَهُ: أَتُجِيبُ لِمِثْلِي بِالتَّلْبِيَةِ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ دِينِكَ وَمِنْ أَعْدَائِكَ. فَقَالَ لَهَا: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا أَجَبْتُ نِدَاءَكِ) ما نافية (حَتَّى عَلِمْتُ) حتى للغاية أي حتى علم الحاكي (أَنَّ اللّٰهَ تعالى قَدْ هَدَاكِ) إلى دين الإسلام (صَلَاةٌ سَلَامٌ عَلَى رَسُولٍ كَرِيمٍ مَلِحْ) المليح: صفة مشبّهة تدلّ على الثبوت، أي جميل (تَعَالَوْا بِنَا نَصْطَلِحْ) أي إئتوا إلينا ياايّها الغافلون نفعل بالخير والصلاح (فَبَابُ الرِّضَا قَدْ فُتِحْ)أي باب رضا الله قد فتح إلينا بسببه ﷺ (وَدَاوُو االْفُؤَادَ) أي عالجوا الضمائر(الَّذِي) أي الداء الذي(بِسَيْفِ الْجَفَا) أي جفاء القلب عن الشريعة، متعلق بجرح (قَدْ جُرِحْ) قد للتحقيق. المراد: قد ملئت القلب من الذنوب

(أَيَا مُدَّعِي حُبِّنَا) بقبول النصيحة (دَعِ الرُّوحَ) أي اترك المحبة الشهوانية وكن كالميّت عند الغاسل في قبول النصيحة (ثُمَّ انْطَرِحْ) أي ثم كن كالمطروح في القبر. المراد بهذا الكلام: التشبيب الشعريّ من المدح (تَعَلَّقْ) اي تمسّك يا من يقبل النصيحة (بِأَهْلِ الْهَوَى) أي بمن يلازم حبّ النّبيّ ﷺ (وَقُلْ لِلْعَذُولِ) أي للحاسد (اسْتَرِحْ) عن اللوم (وَلِي قَلْبٌ مِنْ حُبِّكُمْ) على محبّتكم (عَلَى بَابِكُمْ مَا بَرِحْ) أي ما انتقل. أنا واقف في بابك في كلّ وقت وحين لأجل محبّتك (أَلَا يَا نَبِيَّ الْهُدَى أَغِثْ مَنْ) مفعول أغث (بِذِكْرِكَ يَصِحْ) من صاح يصيح، متعلق بيصح، أي يرفع صوته بالإستغاثة لأجل محبّتك. والمراد بهذه الأبيات إظهار محبّة النّبيّ ﷺ فوق كلّ شيئ.

(أَلَا يَارَسُولَ الْكَرِيمِ عَلَيْكَ صَلَاةٌ تَصِحْ) أي تقبل (وَشَوْقِي لَكُمْ مَاانْقَضَى) أي ماانصرم (وَحُبِّي لَكُمْ مَا بَرِحْ) أي مازال من صميم قلبي (وَكَمْ) أي كثير(لَاَمَنِي لَائِمٌ) لأجل محبتك (وَمَا بِسُلُوِّي) أي بنسياني (فَرِحْ) أي اللائم (أَمَا تَرْحَمُوا) يارسول الله (بَاكِيًا) مفعول ترحموا (إِذَا ضَحِكَ الْمُنْشَرِحْ) أي صاحب الفرح بوصول إليك يارسول الله للزيارة (فَيَا سَعْدَ مَنْ حَبَّكُمْ) أي من محبّتك (فَفِي الْعَاقِبَهْ) أي في الآخرة (قَدْ رَبِحْ) أي نال نعمة عظيمة (تَرَنَّمْ) أي رجع صوتك (بِذِكْرِ النَّبِيِّ) أي شمائله ﷺ (وَغَرِّدْ) أي حسن صوتك مع الجهر(بِهِ) أي بذكر النّبيّ ﷺ (ثُمَّ صِحْ) أي ارفع صوتك بحيث لايضرّ في الشرع (أَلَا يَا نَبِيَّ الْهُدَى أَغِثْ مَنْ بِذِكْرِكْ يُلِحْ) أي يقبل عليه ملازما (وَصَلِّ عَلَى الْمُصْطَفِي خِتَامِي وَمَنْ بِهْ) والضمير عائد إلى الموصول(فُتِحْ) أي ابتدأ الاكلام .

(فَقَالَتْ) أي زوجة اليهوديّ (إِنَّكَ لَنَبِيٌّ كَرِيمٌ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. تَعِسَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَكَ) معنى تعس: خسر وهلك، ومنه حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إنْ أُعطِي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرضَ. رواه البخاري، ومنه قول الإمام الأكبر محي الدين بن العربي: معبودكم تحت قدمي (خَابَ مَنْ جَهِلَ قَدْرَكَ) أي هلك (أُمْدُدْ يَدَكَ) يارسول الله (فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ محمّد رَسُولُ اللَّهِ) هذا إقرار وجهر بكلمة الشهادة بعد إقرار(ثُمَّ عَاهَدَتِ) أي زوجة اليهوديّ (اللَّهَ فِي سِرِّهَا) أي في سرّ زوجة اليهوديّ (أَنَّهَا إِذَا أَصْبَحَتْ تَتَصَدَّقُ بِجَمِيعِ مَا تَمْلِكُهُ وَتَصْنَعُ مَوْلِدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرْحَةً بِإِسْلاَمِهَا) أي زوجة اليهوديّ (وَشُكْرًا لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ فِي مَنَامِهَا)أي ذلك الرجل (فَلَمَّا أَصْبَحَتْ رَأَتْ زَوْجَهَا قَدْ هَيَّأَ) أي زوج اليهودية (الْوَلِيمَةَ) أي الطعام (وَهُوَ فِي هِمَّةٍ عَظِيمَةٍ فَتَعَجَّبَتْ) أي زوجة اليهودي (مِنْ أَمْرِهِ) أي من أمر زوج اليهودية (وَقَالَتْ لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ فِي هِمَّةٍ صَالِحَةٍ، فَقَالَ لَهَا) هذه الهمة العالية (مِنْ أَجْلِ الَّذِي) وهو الرسول (أَسْلَمْتِ عَلَى يَدَيْهِ ﷺ الْبَارِحَةَ، فَقَالَتْ لَهُ: مَنْ كَشَفَ لَكَ عَنْ هَذَا السِّرِّ الْمَصُونِ وَمَنْ أَطْلَعَكَ عَلَيْهِ) أي السرّ المكتوم (فَقَالَ لَهَا) أي الذي أعلمني ذلك هو (الَّذِي أَسْلَمْتُ بَعْدَكِ عَلَى يَدَيْهِ ﷺ) أي في حضرته ﷺ (وَزَادَهُ فَضْلاً وَشَرَفًا لَدَيْهِ كلّمَا عَرَّفَ) أي علم الناس (بِاللَّهِ وَدَعَا إِلَيْهِ فَهُوَ الْمُشَفَّعُ غَدًا فِيمَنْ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ) ﷺ (صَلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ * عَلَى الْمُصْطَفي الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ) للأنس في مجالس الذكر.

[تنبيه] يسنّ التجمّل يوم مولده ﷺ كماتقدّم البيان، ثم ذكر الناظم سبعة أبيات من بحر الطويل فقال (حَبِيبٌ) وهو حبيب الله تعالى (يُغَارُ الْبَدْرُ) أي يغيب القمر(مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ) متعلّق بيغار(تَحَيَّرَتِ الأَفْكَارُ) أي العقول (فِي وَصْفِ مَعْنَاهُ) أي في ذكر حقيقته ﷺ المحمّدية.

(حَبِيبٌ) وهو حبيب الذي (تَجَلَّى) أي ظهر وتنزّل (لِلْقُلُوبِ مُخَاطِبًا) كالمخاطب، وهو حيّ في قلوبنا (فَهَامُوا) أي عشقوا (بِهِ) أي النبّيّ ﷺ (سُكْرًا) أي حال كونهم سكارى (وَفِي حُسْنِهِ تَاهُوا) أي تحيّروا (مَلِيحٌ) وهو جميل (حَوَى) أي جمع الحبيب (كلّ الصِّفَاتِ لِحُسْنِهِ) أي الحبيب (فَرُحْتُ) أي حصل لي النشاط والفرح والسرور (وَرَاحَ الْقَلْبُ) أي حصل للقلب الراحة والأنس (مِنْ بَعْضِ أَسْرَاهُ) أي من بعض أسراره ﷺ (رَضِيتُ بِهِ) أي بالمليح (مَوْلًى) أي سيّدا (عَلَى كلّ حَالَةٍ) أي في كلّ حالة سواء في شدّة أم لا، كما في

الحديث النبوي: يرويه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري ﵁ أنّ النبّيّ ﷺ قال: مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمحمّد رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. رواه أصحاب السنن (فقُل) أي أيها العاشق الكريم لرسول الله ﷺ (لِبَعِيدِ الدَّارِ) من المدينة المنورة، والمراد لمن يريد زيارة النبّيّ ﷺ (دَعْنِي) أي أتركني (وَإِيَّاهُ) المليح وهو الرسول ﷺ لأجتمع معه في زمن يوفّقني الله (يُوَاصِلُنِي) أي يقاربني اليه ﷺ (طَوْرًا وَطَوْرًا) أي مرّة بعد مرة (يَصُدُّنِي) أي ومن يمنعني عن الزيارة في ذلك الزمان (وَهَا) حرف تنبيه (أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي) أي النبّيّ ﷺ (هُوَ يَهْوَاهُ) أي يعشقني، لأنّي في محبّته وفي عشقه (فَلَوْلَاهُ) الفاء للسببية، وهذا إشارة الحديث المشهور عن الحاكم (مَاطَابَ الْهَوَى) ما نافية ومابعده فعل وفاعل، أي ماصفي الحبّ (لِمُتَيَّمٍ) أي لعاشق شأنه حبّ الحبيب ﷺ (وَلاَ اسْتَعْذَبَ) أي وجد العذب أي الحلو (الطَّرْفُ) العين (الْمُدَامِعُ) أي ماء العين (لَوْلاَهُ) أي المليح والحبيب ﷺ (وَلَوْلاَهُ مَاحَنَّ) أي لايقرب (الْحُدَاةُ) أي السائقون للإبل (لِحَاجِرٍ) أي في أرض مرتفعة (وَلاَاسْتَنْشَقَ) أي شمّ (الْعُشَّاقُ يَوْمًا) أي وقتا (خُزَامَاهُ) أي رائحته ﷺ الطيّبة (صَلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ) أي من سائر الأنبياء (محمّد نِ الدَّاعِي إِلَى سُبْلِ أَهْدَاهُ) وهو الإسلام.

(الدعاء)

(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي الْأَوَّلِينْ) أي للأولين (وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي الْآخِرِينْ) للآخرين والمراد جميع الخلق (وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي النَّبِيِّينْ. وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي الْمُرْسَلِينْ. وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي كلّ وَقْتٍ وَحِينْ. وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا محمّد فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى) المراد به الملائكة المقرّبون (إِلَى يَوْمِ الدِّينْ.جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ) أي يستحقّ (شَفَاعَتَهُ وَيَرْتَجِي) من الرجاء (بِهِ مِنَ اللَّهِ رَحْمَتَهُ وَرَأْفَتَهُ) أي الرقة (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اَللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّالِكِينَ لِنَهْجِهِ الْقَوِيمِ. اِجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أُمَّتِهِ) المراد الصلحاء (وَاسْتُرْنَا بِذَيْلِ حُرْمَتِهِ، وَاسْتَعْمِلْ أَلْسِنَتَنَا فِي مَدْحِهِ وَنُصْرَتِهِ، وَأَحْيِنَا مُسْتَمْسِكِينَ بِطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَأَمِتْنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَجَمَاعَتِهِ. اَللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا مَعَهُ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا. وَأَنْزِلْنَا مَعَهُ فِي قُصُورِهَا) أي الجنّة (فَإِنَّهُ) النبّيّ ﷺ (أَوَّلُ مَنْ يَنْزِلُهَا، وَارْحَمْنَا بِهِ يَوْمَ يَسْتَشْفِعُ) المراد الشفاعة العظمى (بِهِ الْخَلاَئِقُ فَتَرْحَمُهَا. اَللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ حَضَرْنَا قِرَاءَةَ مَوْلِدِ نَبِيِّكَ الْكَرِيمْ فَأَفِضْ عَلَيْنَا بِبَرَكَتِهِ لِبَاسَ الْعِزِّ

وَالتَّكْرِيمْ وأَسْكِنَّا) أي أدخلنا (بِجِوَارِهِ) أي في حضرته (فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَنَعِّمْنَا فِي الْجَنَّةِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ) أي دائما (اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِجَاهِ هَذَا النَّبِيِّ الْمُصطَفي، وَآلِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَا. كُنْ لَنَا مُعِينًا وَمُسْعِفًا) أي من يقضي الحاجة (وَبَوِّأْنَا) أي أعطنا (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) أي قصورا كثيرة (وَارْزُقْنَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ قَبُولاً وَعِزًّا وَشَرَفًا) المراد المقام والدرجة (اَللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ الْمُخْتَارِ، وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ كَفِّرْ عَنَّا الذُّنُوبَ وَالْأَوْزَارَ) أي الذنوب (وَاحْرُسْنَا) أي احفظنا (مِنْ جَمِيعِ الْمَخَاوِفِ وَالْأَخْطَارِ) أي المخاوف (وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي دَارِ الْقَرَارِ. وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ يَسِيرِ أَعْمَالِنَا فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ) أي ظاهرا وباطنا (وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ وَاغْفِرْلَنَا بِمَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْغَفَّارُ، يَاغَفَّارُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. والحمد لله رب العالمين) وبه ختام الشرح.

[ختام هذا الكتاب ختام المسك]

وكلّ ما أوردته في هذه الرسالة من الأخبار والآثار نقلته من الكتب الصحيحة المعتمدة. و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۞ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴾[سبأ:١-٢].

وصلَّى الله على سيدنا محمّد، وعلى آله و أصحبه وأتباعه وسلَّم إلى يوم البعث والنشور، وسلام على الأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء ومحبّيهم إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من إملاء هذه الرسالة: يوم الأحد قبيل وقت العصر من رجب:١٤٤٤/٢٠من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين، وهذا الكتاب دافع عن الفيروس الكرونا والقانون المضرّ على المسلمين الهنوديّين. انتهى الجمع والترتيب الأستاذ/ محمّد عبد المجيد بن محمّد الباقوي الكامل الثقافي المدكودي المليباري الهندي عفا عنهما الباري.

تمّت بعون الملك الوهاب

١٤٤٤/٧/٢٠ هـ الموافق : ٢٠٢٣/٢/١٢ م (يوم الأحد).

تمّت

ويليه شرح لطيف على الأبيات للمصنّف، المسمى «بهجة السلامة»،المقروئة قُبيل المولد النبوي في الديار المليبارية، المعروفة عندنا «سلام بيت».

شرح لطيف على الأبيات السّلاميّة المعروفة عندنا «سلام بيت»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله، حمداً على قدر حبه لرسوله الأمين، حمداً يوازي عطاءه للمؤمنين. والصّلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، خاتم النّبيّين، وإمام المرسلين، وقائد الغُر المُحجَّلين؛ سيدنا محمّد ﷺ ، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فهذا شرح لطيف على الأبياتية (سلام بيت) للمصنف رحمه الله تعالى ونفعنابه في الدارين .

(اَلسَّلاَمُ) معنى السلام بمعنى الأمان والإعظام وطيب التحية اللائقة بذلك المقام، وجمع بين الصّلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (عَلَيْكَ) يارسول الله (زَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ) أي يا خير الأنبياء (اَلسَّلاَمُ عَلَيْك أَتْقَى الْأَتْقِيَاءِ) أي يا أعظم الخلق (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَصْفي الأَصْفِيَاءِ) أي يا أخلص المخلصين في عمله لله تعالى (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَزْكَى الْأَزْكِيَاءِ) أي ياأصلح المصلحين (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ) أي من ربّه تعالى (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ دَامَ بِلَا انْقِضَاءِ) أي إستمرّ بلا إنقطاع (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَحْمَدْ يَاحَبِيبِي) أي يا محبوبي (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ طَهَ يَاطَبِيبِي) أي يا شفائي من كلّ داء، الجسمانيّة والروحانية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَحْمَدْ يَا محمّد) فهو ﷺ خير من حمد (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ طَهَ يَامُمَجَّدْ) أي يا معظم خلق الله تعالى (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا كَهْفًا وَمَقْصَدْ) أي يامن يرجع إليه في كلّ خير، والحامي لمن ينتمي إليه (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حُسْنًا تَفَرَّدْ) أي يا من حسّنه فوق كلّ حسن (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَامَاحِي الذُّنُوبِ) أي يا من تمحى بسببه ذنوب أمّته ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. [النساء:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا جَالِي الْكُرُوبِ) أي يا من ينكشف به كلّ كرب وكلّ شدة في الدنيا والآخرة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَاخَيْرَ الْأَنَامِ) من الخلق

كلّهم (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَدْرَ التَّمَامِ) أي ياقمر في ليلة التمام (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الظَّلاَمِ) لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾. ينظر التفاسير، وفيها مايدلّ على النور المحمّدي (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا كلّ الْمَرَامِ) أي يا كلّ مقصود في كلّ أمور في الدنيا والآخرة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ذَا الْمُعْجِزَاتِ * السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا هَادِي الْهُدَاةِ) أي يا دالّ المؤمنين للطاعة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ذُخْرَ الْعُصَاةِ) أي يا ملجأ العصاة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حَسَنَ الصِّفَاتِ) أي يا صاحب الأدلة الباهرة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَبَّ السَّمَاحِ) أي يا صاحب الكرم والجود (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْمِلَاحِ) أي يا أجمل من كلّ جميل (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا دَاعِي الْفَلَاحِ) أي يا طالب الفلاح للأمة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الصَّبَاحِ) أي يامن أشرق نوره ﷺ على المؤمنين (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَاحَيَّ الْفَلَاحِ) أي يا من أحيى الفلاح للأمة (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رُكْنَ الصَّلاَحِ) أي ياأصل كلّ صلاح (السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَجَائِرْ) أي ياخير المجيرين للعصاة من العذاب (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَاضَوْءَ الْبَصَائِرْ) أي يا من نوّر قلوب المؤمنين بالصفات العلية (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عَالِي الْمَفَاخِرْ) عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر». رواه أصحاب الصحاح (اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ الذَّخَائِرْ) ذخَر الشَّيءَ: خبَّأه واحتفظ به لوقت الحاجة إليه (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْمُقَدَّمِ لِلْإِمَامَة) الذي قدّمه ﷺ الله في الإمامة في ليلة الإسراء للأنبياء كلّهم (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْمُشَفَّعِ فِي الْقِيَامَة) يشير المؤلف إلى الشفاعة العظمى (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْمُظَلَّلِ بِالْغَمَامَة) قال الإمام أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي في كتابه «أعلام النبوة» مستفادا من سيرة الإمام ابن اسحاق وابن هشام: وكانت خديجة بنت خويلد ذات شرف ويسار وكان لها متاجر ومضاربات فلمّا عرفت أمانة رسول الله ﷺ وصدق لهجته أبضعته مالا يتّجر به إلى الشام مضاربا وأنفذت معه مولاها ميسرة ليخدمه في طريقه فنزل ذات يوم تحت صومعة راهب فرأى الراهب من ظهور كرامة الله تعالى له ما علم أنه لا يكون إلّا لنبي فقال لميسرة: من هذا؟

فقال: رجل من قريش من أهل الحرم فقال: إنه نبي فكان ميسرة يراه إذا ركب تظله غمامة تقيه حرّ الشمس فلمّا قدم على خديجة قصّ ميسرة عليها حديث الراهب وما شاهده من ظل الغمامة وما تضاعف من ربح التجارة فتنبهت به على عظم شأنه وشواهد برهانه فرغبت خديجة في نكاحه. اهـ «أعلام النبوة» (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْمُتَوَّجِ بِالْكَرَامَة) المُتوَّج: اسم المفعول من تَوَّجَ بمعنى أَلْبَسهُ التَّاجَ، أي جعله الله موصوفا بأكمل العزّ والشرف والوقار بالأكمل (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْخُلاَصَةِ مِنْ تِهَامَة) أي هو الذي خلّصه الله تعالى من تهامة ، أي من مكة من شرورهم (اَلسَّلاَمُ عَلَى الْمُبَشَّرِ بِالسَّلاَمَة) أي وهو الذي بشّر للناس أبواب السلامة في الدنيا والآخرة بأكمل الوجوه ليس بعده تبشير (اَلسَّلاَمُ عَلَى محمّدنِ الرَّسُولِ * اَلسَّلاَمُ عَلَى النّبيّ أَبِي البَتُولِ) أي فاطمة الزهراء ﷺ. والبتول: أصل البتل القطع وسميت البتول قيل: لانقطاعها عن نساء زمانها فضْلا ودِينا وحَسَبا. وقيل: لانقطاعها عن الدُّنيَا إلى اللّه تعالى. وقيل: المُنْقَطِعة عن الرجال لا شهوةَ لها فيهم، قال الإمام القسطلاني في المواهب: وروى مرفوعا: «إنما سميت فاطمة، لأن الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة» أخرجه الحافظ الدمشقى. وروى الغسانى والخطيب مرفوعا: «لأن الله فطمها ومحبيها عن النار». وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله، قاله ابن الأثير.اهـ

(اَلسَّلاَمُ عَلَى الْخَلِيفَةِ) أي خليفة رسول الله ﷺ في حياته ﷺ وبعد وفاته ﷺ (مِنْكَ) أي من رسول الله ﷺ أي نيابة عنك يارسول الله ﷺ (فِينَا) أي في الصّحابة وبعده إلى يوم القيمة (أَبِي بَكْرٍ مُبِيدِ الْجَاحِدِينَ) أي مهلك المانعين بقبض الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ. فإن قيل: كيف قاتل أبو بكر مانعي الزكاة مع أن النّبيّ عليه الصّلاة والسلام قال: «نهيت عن قتل المصلين»: فأبو بكرﷺ قد قاتل مانعي الزكاة بإجماع من الصّحابة رضي الله عنهم والإجماع حقّ مقطوع به في دين الله عزّ وجلّ، وأصل عظيم من أصول الدين، ومصدر من مصادر الشريعة. قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: الإجماع حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليها، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ.ينظر كتب الاصول، وهذه الفرقة في الحقيقة المنافقون وفي لغتنا الزنادقة، وهذه الفرق مقطوع به بالجهاد في الدولة الإسلامية (كَذَاكَ عُمَرْ وَلِيُّ الصَّالِحِينَا) أي أمير المؤمنين (وَذِي النُّورَيْنِ رَأْسِ النَّاسِكِينَا) سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، صحابى جليل، وثالث

الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، يكنى بذا النورين، فما سبب هذا اللقب؟ يكنى ذا النورين لأنه تزوّج اثنتين من بنات نبي الإسلام محمّد ﷺ، حيث تزوّج من رقيّة ثم بعد وفاتها تزوج من أم كلثوم.

وكان النبيّ محمّد ﷺ قد زوّج رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۞ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية فارقا ابنتي محمّد ﷺ، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما. حينما سمع عثمان بخبر طلاق رقية بادر إلى خطبة رقية من رسول الله فزوّجها منه، وزفّتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، فكان يقال لها حين زفت إليه: "أحسن زوجين رآهما إنسان، ورقية وزوجها عثمان"، وعاشا معا حتى ماتت ابنة خاتم المرسلين رقية. وبعد وفاة زوجته الأولى وحبيبته رقية، حزن عثمان بن عفان كثيراً وحزن أكثر لأنّ نسبه برسول الله قد انقطع وانقطعت معه المصاهرة التى اعتبرها فضلاً من الله عزّ وجلّ عليه، وأخذ يبكى حتى علم رسول الله ﷺ بما يؤلمه، فأخبره أن سيدنا جبريل عليه السلام حمل له رسالة ربه بتزويجه من أم كلثوم لتكمل وصل بن عفان ببيت النّبيّ ﷺ ، وتكمل ما قطعته أختها رقية بتقديم العون لزوجها ووالدها في نصرة الإسلام ونشر الدعوة (كَذَاكَ عَلِيٌّ السَّامِي) أي العالي (يَقِينًا) أي جزما (وَآلِكَ كلِّهِمْ وَالتَّابِعِينَا) من هم آل البيت: ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في تحديد آل بيت النّبيّ ﷺ أقوالا، فمنهم من قال: أن أهل بيت النّبيّ هم أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو المطلب ومواليهم ، ومنهم من قال أن أزواجه ليسوا من أهل بيته ، وقال البعض أنهم قريش ، ومنهم من قال أن آل محمّد هم الأتقياء من أمته ، وقال البعض أنهم أمة محمّد ﷺ جميعاً. ينظر «إعانة الطالبين» و«الشرواني على التحفة».

[ومن هم التابعون ؟ ومن هم أتباع التابعين ؟]

التابعون هم الذين جاءوا بعد عصر النبوة، فلم يلقوا رسول الله ﷺ، وإنما صحبوا أصحاب النّبيّ ﷺ . وأتباع التابعين هم الذين لم يلقوا أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما رأوا التابعين، وصحبوهم ،قال الحافظ ابن حجرفي «نخبة الفكر»: "التَّابِعِيّ: هُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ"انتهى. وقال الحافظ ابن كثير: قال الخطيب البغدادي: التابعي: من

صحب الصحابي. وفي كلام الحاكم ما يقتضي إطلاق التابعي على من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصحبه" انتهى.

قال الإمام العراقي في «ألفيته»: "والتَّابِعِي اللاَّقِي لِمَنْ قَدْ صَحِبَا". وأتباع التابعين: هم الذين لقوا التابعين، ولم يدركوا الصّحابة رضي الله عنهم. والتابعون مثل: سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير والحسن البصري ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ونافع مولى ابن عمر . وأتباع التابعين مثل: الثوري ومالك وربيعة وابن هرمز والحسن بن صالح وعبد الله بن الحسن وابن أبي ليلى وابن شبرمة والأوزاعي.

وقد روى البخاري، ومسلم عن ابن مسعود ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».اهـ. قال الإمام النووي رحمه الله: " الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ ﷺ : الصّحابة ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ. انتهى من «شرح النووي على مسلم»، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : قَوْلُهُ (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) أَيِ الْقَرْنُ الَّذِي بَعْدَهُمْ ، وَهُمُ التَّابِعُونَ، (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وَهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ. انتهى وقال القاري: " قَالَ السُّيُوطِيُّ : وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ-يعني القرن- لَا يَنْضَبِطُ بِمُدَّةٍ، فَقَرْنُهُ ﷺ هُمُ الصّحابة، وَكَانَتْ مُدَّتُهُمْ مِنَ الْمَبْعَثِ إلى آخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصّحابة مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَرْنُ التَّابِعِينَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ إلى نَحْوِ سَبْعِينَ ، وَقَرْنُ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِنْ ثَمَّ إلى نَحْوِ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ ظُهُورًا فَاشِيًا، وَأَطْلَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ أَلْسِنَتَهَا، وَرَفَعَتِ الْفَلَاسِفَةُ رُءُوسَهَا، وَامْتُحِنَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ تَغَيُّرًاشَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ فِي نَقْصٍ إلى الْآنَ ، وَظَهَرَ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ ﷺ : (ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ). انتهى من «مرقاة المفاتيح» .

(السَّلَامُ عَلَى صِحَابِكَ) صِحاب: جمع صاحِب، والمراد أصحاب الرسول ﷺ فالصحابي هو كلّ من اجتمع مع النبيّ ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك، ولو لم يره، فعدم الرؤية قد يكون لعارض كالعمى مثلا،كما هو حال بعض الصّحابة كابن أم مكتوم ونحوه،ولو لم تطل الصحبة، وبالتالي، فالتعريف المذكور صحيح، ومن تحقق فيه فهو صحابي. والجمع: صَحَابَةٌ. (أَجْمَعِينَا وتَابِعِهِمْ وَتَابِعْ تَابِعِينَا) أي إلى يوم القيمة. وبه نختم هذا الشرح . وصلى الله على سيدنا محمّد سيد المرسلين، وآله وصحبه وأمّته الغرّ المحجلين، وكافة من دعا لنا بخير يارب العالمين.

وكان الفراغ من إملاء هذه الرسالة: يوم الأحد قبيل وقت العصر من رجب: ١٤٤٤/٢٢من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين، وهذا الكتاب دافع عن الفيروس الكرونا والقانون المضرّ على المسلمين الهنوديّين. انتهى الجمع والترتيب الأستاذ/ محمّد عبد المجيد بن محمّد الباقوي الكامل الثقافي المدكودي المليباري الهندي عفا عنهما الباري. تمت بعون الملك الوهاب

١٤٤٤/٧/٢٢ هـ الموافق: ٢٠٢٣/٢/١٤ م (يوم الثلاثاء).





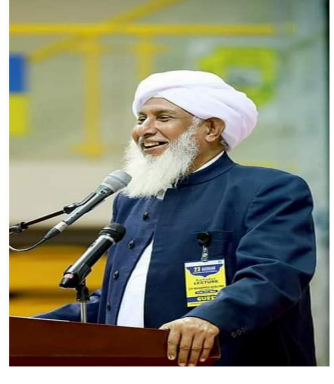
الإهداء الخاصّ

إلى تذكار الشيخ العلامة الفقيه المشهور في المليبار

الشيخ محمّد الباقوي الكرومبيل ابن جوكوتي

إنتقل إلى ربّه: الربيع الثاني ٢٥ - ١٤٤٤هـ الموافق: نومبر ٢٠-٢٠٢٢ م

(صباح يوم الأحد)



جعلت الشّرحين هديّة وزيادة في شرفه وفي فضله وفي عيشه في العالم البرزخيّة وفي سفره إلى الجنّة وأدخله في جنة الفردوس بغير حساب مع الأبرار.

١٤٤٤/٧/٢٢ هـ الموافق: ٢٠٢٣/٢/١٤ م (يوم الثلاثاء).

قائمة الكتب للأستاذ: محمّد عبد المجيد بن محمّد الباقوي الكامل الثقافي المذكودي المليباري الهندي

(هذه الكتب تباع من مكتبة الأمين : رقم الهاتف المحرك : 803 417 9400)

١- تحشية تفسير الجلالين ١-٢	٢- مَنَارُ الْهُدَى فِي بيان أُصوُلِ كلامِ الْبَارِي (سند القراءة والإجازة العالية عن القراء)	٣- مظهر أسرار اللاهوت بشهود مدرس البيت المعمور
٤- ينابيع الكسوة تبجيلا وتشريفا لبيت الله الكعبة	٥- زهرة النضرفي نبوة الخضر عليه السلام	٦- عصمة الأنبياء بين الأدلة القطعية
٧- كيف كانت عمامة النّبيّ صلى الله عليه وسلم	٨- حلاوة المحبّة البيضاء بجوار القبّة الخضراء	٩- موضع جثمان النّبيّ أفضل بإجماع المسلمين
١٠- تَصْوِيبُ الصّحابة فِي تَدْرِيجِ الصُّعُوبَةِ	١١- امواج البحور الزاخرة على من شتم خال المؤمنين (في مناقب معاوية بن أبي سفيان ﵁)	١٢- تحفة القاري بختم صحيح البخاري
١٣- تَثْبِيتُ الْقَارِي فِي مِيزَةِ جاَمِعِ التُّرْمُذِي- ترمذي	١٤- وصول التهاني باثبات التهنئة في الأعياد	١٥- إزالة الشكوك عن التهاني المشكوكة
١٦- اظهار الكرامات بالسكينة والدبوس	١٧- الآداب المرضية للنوم والإستيقاظ	١٨- الأدلة الباهرة على مولد خير البرية
١٩- الأدلة القاطعة في وصول إهداء القرآن إلى الاموات بالبراهين	٢٠-الأزهار الخالدية على الأذكار الشاذلية	٢١- الإسراء والمعراج

القطعية		
٢٢- جامع الأمهات في فضائل المذاهب الأربعة	٢٣- الإمام ابوحنيفة النعمان الكوفي - أحد الائمّة الأربعة	٢٤- الحياة العلمية في المدينة المنورة- حياة الإمام مالك رضي الله عنه
٢٥- الإمام الشافعي ومناقبه	٢٦- النجمة الساطعة في المناقب الأحمدية - الإمام أحمد	٢٧- الضوء الزاهر في مناقب قطب الأقطاب الشيخ عبد القادر الجيلاني
٢٨- كتاب الضوء اللامع في مناقب الشيخ الرفاعي	٢٩- الشيخ البدوي - أحد الأقطاب الأربعة	٣٠- إبراز الأصفياء في إرشاد الألباء (مناقب القطب الدسوقي)
٣١- زنبيل الأرواح متطاوعة لقطب الأقطاب	٣٢- الطريقة والولاية بتوضيح الغوثية والقطبية	٣٣- رحال الغرب إلى رجال المغرب (عن سبعة رجال في المغرب)
٣٤- كشف البينات في تطورات غسل الأموات	٣٥- الجفر والجامعة عند أهل السنة والجماعة	٣٦- الدرة المضية -١ (في المواعظ)
٣٧- الدرر البهية - ٢ (في المواعظ)	٣٨- القرة النيرة-٣ (في المواعظ)	٣٩- الدرر والجواهر من كلام سيد الأبرار
٤٠- الرسالة المدنية عن المسائل المهمة	٤١- الرسائل الهادية إلى المسائل الهامة	٤٢-٤٤- الرسائل الهندية ١-٣
٤٥- الروض المجود في تحرير مسئلة وحدة الوجود	٤٦- تزيين الأراكن في ضوء ليس في الإمكان أبدع مما كان	٤٧- الروض النضير في منظور الخنثى الظهير
٤٨- الزجاجة المفقودة في أقوال المسلسلة والإجازة	٤٩- السنة النبوية في ختم خطبة الجمعة	٥٠- الصور الفوتوغرافية إحتفاظ الصور المرآتية
٥١- الضوابطُ الشرعيةُ لعَلاقَةِ الخَاطِبِ	٥٣- الطعن في أحاديث إهداء الثواب للأموات من	٥٤- العتاقة الكبرى في اثبات العتاقة الصغرى

بالمَخْطُوبةِ	سلالة الجهلة	
٥٥- انتظار الأموات على هدايا الأحياء	٥٦- الرسائل المحمّدية في سماع الأموات	٥٧- إطعام الطعام عن الأموات
٥٨- تذكير الأنام في تلقين الأموات	٥٩- مرقاة الأنوار إلى حلية الأبرار (الدروس في شهر ربيع الأول، وعن الموالد الشريفة كالنعمة الكبرى لابن حجر الهيتمي)	٦٠- العطور الحسنية في الدروس الرمضانية
٦١- النفحات الخيرية بالفضائل الرمضانية	٦٢- الفروق بين الألفاظ الإصطلاحية الفقهية	٦٣- الفوائد الردودية بتعلّم القواعد الفنونية
٦٤- الفوائد المضية في مصطلحات الرموز الشافعية	٦٥- الفوائد المكية من الدرر المدنية وهو التكلّم عن تبرئة الإمام ابن العربي عن المفتريات العديدة	٦٦- القران كلام الله تعالى غير مخلوق - القائل به غير أهل السنة
٦٧- إزالة الشبهات على الأوهام الغزالية (الجواب للمعارضين في علم الحديث للغزالي)	٦٨- الكشف لا يستلزم الإجتهاد عند أهل السنة والجماعة	٦٩- المحقق الصمداني في مناقب القطب الشعراني
٧٠- المُذَكِّرةُ الإعْلَامِيَّةُ بِالْإِتِّحَافَاتِ الْقُدسِيَّةِ	٧١- المطهّر الكحوليّ بين القديم والحديث	٧٢-٧٣- تحفة الواعظين -١-٢
٧٤- - تعالوا إلى كلمة الفقهاء - دراسة شاملة للاصطلاحات الفقهية وخدمة الفقهاء الشافعية	٧٥- توضيح مقاصد النكاح بتبعيد أضرار النكاح	٧٦- رسالة معنى لا إله إلا الله للعلامة للزركشي رحمه الله تعالى
٧٧- رموز الصّلاة منهية الكتابة	٧٨- سيد الإستغفار سبب حسن الخاتمة	٧٩- صيانة أهل التوحيد عن وسوسة أهل الطغيان

٨٠- فضل العمل في فضائل الأعمال	٨١- فيضان الباقيات إلى باني الباقيات	٨٢- لغة خطبة الجمعة في العربية
٨٣- مجموعة الرسائل المجيدية	٨٤- معاملة اهل البدع في الفقه الإسلامي	٨٥- يامفرّج الكروب فرّج كرب المسلمين بالهند
٨٧- سلطان الهند ملجئنا (مناقب الشيخ الأجميري)	٨٨- المدد يا اهل البدر (مناقب البدريّين)	٨٩- تاريخ الإسلام في الهند (رسالة إلى الشيخ السيد محمّد علوي المالكي المكي، وفيه البيان عن جامعة المركز والمنظمات الإسلامية في كيرالا)
٩٠- مفتاح المدد – شرح مولد بدر المشهور في المليبار	٩١- الصّلاة التفريجية في ضوء الوضاعة الشرعية	٩٢- أشرف الألوان في تقريب مولد شرّف الأنام
٩٣-شرح لطيف على الأبيات السلامية للمصنّف، المسمى "بهجة السلامة"، المقروئة قُبيل المولد النبوي في الديار المليبارية، المعروفة عندنا "سَلاَمْ بَيْتْ".		

Article
ലേഖനം



ഗ്രന്ഥപ്പുരയുടെ കാവൽക്കാരൻ

മികച്ച എഴുത്തും തുളഞ്ഞ ബുദ്ധിശക്തിയും കൊണ്ട് പരിമിതിയെ അതിജയിച്ച, മർകസ് കുതുബ്ഖാനയുടെ താക്കോൽ സൂക്ഷിപ്പുകാരനാണ് മജീദ് സഖാഫി.

മുബശ്ശിർ സുറൈജി കൈപ്രം

വൈകല്യം ബാധിച്ചവർക്കായുള്ള വേദിയെ അഭിമുഖീകരിച്ച് സംസാരിക്കവെ ഇരുകാലുകളും നഷ്ടമായ മുസ്തഫ എന്ന വിദ്യാർഥി ഒരു തുണ്ട് കടലാസിൽ ചെറുകവിതയെഴുതി എ പി ജെ അബ്ദുൽ കലാമിന് സമ്മാനിച്ചു.

'എനിക്ക് കാലുകളില്ല,
എന്റെ മനസു പറയുന്നു
കരയരുത്.
കാരണം, രാജാക്കന്മാരുടെ മുന്നിൽ പോലും
എനിക്കു മുട്ടുകുത്തേണ്ടി വരില്ല.'

മുടിക്കോട് മജീദ് ഉസ്താദിനെയോർക്കുമ്പോൾ, ഇല്ലായ്മയെ ഇന്ധനമായി ആഖ്യാനിച്ച മുസ്തഫയെയാണ് ഓർമ വന്നത്. പറയാൻ വാക്കുകളും ആശയങ്ങളും എമ്പാടുമുണ്ടായിട്ടും പറയാനാവാത്തതിന്റെ നിസഹായത എത്രമേൽ ദയനീയമായിരിക്കും. പ്രതിസന്ധികളെ തരണം ചെയ്ത് ആത്മവിശ്വാസം കൊണ്ട് ജീവിതം പുഷ്കലമാക്കിയ സാത്വികരുടെ ജീവിത കഥകളോടൊപ്പം ചേർത്തുവെക്കാൻ പാകത്തിലാണ് ഉസ്താദ് മുടിക്കോട് അബ്ദുൽ മജീദ് സഖാഫിയുടെ ജീവിതം.

മർകസ് കുതുബ്ഖാനയുടെ ഇടത്തെ മൂലയിലിരുന്നു അധികമൊന്നും സംസാരിക്കാതെ തന്റേതായ ലോകം പണിയുകയാണ് ഉസ്താദ്. വിക്കിന്റെ പ്രയാസം കാരണം ഒരു കാൽകുലേറ്റർ അടുത്ത് വെച്ചിരിക്കും. ഒന്നുമുണ്ടായിട്ടല്ല. കിതാബുകൾ തേടി വരുന്ന പരശ്ശതം മുതഅല്ലിമുകൾക്കും മറ്റു അന്വേഷകർക്കും അതിന്റെ സ്ഥാനം സാംഖ്യയികമായി പറഞ്ഞുകൊടുക്കാനാണത്. അതിന്റെ സൂത്രവാക്യം മറ്റാർക്കുമറിയാനിടയില്ല.

എന്തൊക്കെയോ കൂട്ടിക്കുറച്ച് ഗുണിച്ച ശേഷം വരുന്ന മൂന്നക്കം ആയിരിക്കും നമ്മളന്വേഷിക്കുന്ന കിതാബിന്റെ സ്ഥാനം. അത്രമേൽ കൃത്യതയാണുസ്താദിന്.

ഏതു കിതാബ് ചോദിച്ചാലും ഉസ്താദിനറിയും. അതിന്റെ സ്ഥാനം മാത്രമല്ല. ഓരോന്നിന്റെയും ഉള്ളടക്കത്തെപ്പറ്റിയും ഈ കാവൽക്കാരനറിയും. ചിലതൊക്കെ നോക്കി അതിലെ ഭാഗങ്ങൾ ക്രമപ്പെടുത്തുകയും ചെയ്തിട്ടുണ്ട്. അതുകൊണ്ട് തന്നെ വിക്ക് തന്നെ തളർത്തിയെന്നതിനെക്കാൾ വളർത്തിയെന്നു പറയുന്നതാണ് ഉസ്താദിനിഷ്ടം. തന്റെ തന്നെ നിർബന്ധത്തിലാണ് ദർസീ മേഖലയിലേക്ക് കാലെടുത്തുവെക്കുന്നത്. നിലവിൽ വ്യത്യസ്ത വിഷയങ്ങളിലായി മുപ്പത്തിനാലോളം അറബി ഗ്രന്ഥങ്ങൾ ഉസ്താദിന്റെ പേരിലുണ്ട്.

1970ൽ മലപ്പുറം ജില്ലയിലെ മതാരി മഞ്ഞളാംതൊടി തറവാട്ടിൽ മുഹമ്മദ് കുഞ്ഞി, പാത്തു എന്നിവരുടെ മകനായാണ് ജനനം. കടമ്പോട് എൽപി സ്കൂളിലും തുടർന്ന് പന്തല്ലൂർ യുപി സ്കൂളിലും പ്രാഥമിക പഠനം പൂർത്തിയാക്കി. പതിമൂന്നാം വയസിലാണ് പള്ളിദർസിലേക്ക് പോയത്. തികച്ചും കർഷക കുടുംബത്തിൽ പിറന്ന ഉസ്താദിന്റെ സ്വതന്ത്രമായ തിരഞ്ഞെടുപ്പ് കൂടിയായിരുന്നു ദർസ് പഠനം.

ഏഴാം ക്ലാസ് കഴിഞ്ഞപ്പോഴാണ് വീട്ടിലൊരു ചർച്ച നടക്കുന്നത്. മജീദിനെ ജോലിക്കയക്കാനുള്ള തയാറെടുപ്പാണ്. കന്നുകാലികളെ നോ

Article
ലേഖനം

കലൊണ് അന്നത്തെ പ്രധാന ജോലി. പക്ഷേ ഉമ്മക്ക് അത് ഒട്ടും ഇഷ്ടമില്ലായിരുന്നു. ഉസ്താദ് അതിനു തയാറായില്ല. കാരണം ദർസ് എന്നത് പണ്ടു മുതൽക്കേ മനസിൽ താലോലിച്ച ആഗ്രഹമായിരുന്നു.

നാട്ടുകാരനായ എംപി മുഹമ്മദ് മുസ്‌ലിയാർ മുടിക്കോട് ഉസ്താദിന്റെ ദർസിലേക്കായിരുന്നു ആദ്യം ചെന്നത്. മൂന്നു വർഷക്കാലം അവിടെ പഠിക്കുകയും ശേഷം ഓമച്ചപ്പുഴയിൽ വൈലത്തൂർ ബാവ ഉസ്താദിന്റെ തർബിയത്തിലായി അഞ്ചു വർഷം കഴിഞ്ഞു. പിന്നീട് 1991ൽ വെല്ലൂർ ബാഖിയാത്തിലേക്ക് ഉപരിപഠത്തിനു പോയി. മൗലവി ഫാളിൽ ബാഖവി ബിരുദം കരസ്ഥമാക്കിയ ശേഷം 1994ലാണ് മർകസ് തഖസ്വുസിലേക്ക് വരുന്നത്.

ഓർമയിലെ ബാഖിയാത് കാലം

ബാഖിയാത് ജീവിതം സമ്പന്നമായിരുന്നു. അത്ര ഒരുക്കങ്ങളൊന്നുമില്ലാതെയായിരുന്നു ബാഖിയാത്തിലെത്തിയത്. കമാലുദ്ദീൻ ഹസ്റത് പ്രിൻസിപ്പളായ കാലമായിരുന്നു അത്.

ഏതു കിതാബ് ചോദിച്ചാലും ഉസ്താദിനറിയും. അതിന്റെ സ്ഥാനം മാത്രമല്ല. ഓരോന്നിന്റെയും ഉള്ളടക്കത്തെപ്പറ്റിയും ഈ കാവൽക്കാരനറിയും. ചിലതൊക്കെ നോക്കി അതിലെ ഭാഗങ്ങൾ ക്രമപ്പെടുത്തുകയും ചെയ്തിട്ടുണ്ട്. അതുകൊണ്ട് തന്നെ വിക്ക് തന്നെ തളർത്തിയെന്നതിനെക്കാൾ വളർത്തിയെന്നു പറയുന്നതാണ് ഉസ്താദിനിഷ്ടം.

നേരത്തെ ഫോം പൂരിപ്പിക്കാതെയെത്തിയതിനാൽ അവിടെ വെച്ചാണ് കാര്യങ്ങളെല്ലാം ചെയ്തത്. ആകാംക്ഷയോടെ ഇന്റർവ്യൂ റിസൽട്ട് കാത്തിരിക്കെ ഒരു നോട്ടീസ് തൂങ്ങി. ആദ്യത്തെ പേര് എന്റേതായിരുന്നു. തുടർന്നങ്ങോട്ട് അറിവനുഭവങ്ങളുടെ പുതിയ ലോകമായിരുന്നു. ഒറ്റപ്പെട്ട ദിവസങ്ങൾ ഒഴിച്ചുനിർത്തിയാൽ എല്ലാ ദിവസവും നമസ്കാര ശേഷം ബാനി ഹസ്റതിനെ സിയാറത്ത് ചെയ്യുമായിരുന്നു. പി എസ് പി ഹസ്റത്, ശബീർ അലി ഹസ്റത്, ഹനീഫ ഹസ്റത്, കൊളപ്പുറം മൂസക്കുട്ടി ഹസ്റത് തുടങ്ങിയ ഗുരുശ്രേഷ്ഠരുടെ ശിക്ഷണത്തിലാണ് വളർന്നത്.

ബാഖിയാത്തിലെ പഠനശേഷം മർഹൂം വൈലത്തൂർ തങ്ങളുടെ നിർദേശപ്രകാരമാണ് മർകസിലെത്തുന്നത്. എപി ഉസ്താദിന്റെ തഫ്സീർ ക്ലാസും നെല്ലിക്കുത്ത് ഉസ്താദ്, ചെറുശ്ശോല ഉസ്താദ് തുടങ്ങിയ പണ്ഡിതരുടെ ക്ലാസുകളും പുതിയ ലോകം തുറന്നു കൊടുത്തു. സമ്പന്നമായ മർകസ് പഠനകാലം ഇപ്പോൾ ഓർമകളായി മാറി.

ആശ്വാസം പകർന്ന നിമിഷങ്ങൾ

ജീവിതത്തിലെ ഏറ്റവും നിർണായക ഘട്ടത്തിലായിരുന്നു സി.എം വലിയുല്ലയെ കണ്ടത്. 1986ൽ കരിങ്ങനാട് ഓതിപ്പഠിക്കുമ്പോഴായിരുന്നു ആ സന്ധിക്കൽ. അനുഭവിക്കുന്ന പ്രതിസന്ധികളെല്ലാം കെട്ടഴിച്ചു. മുമ്പെല്ലാം ഈ സങ്കടം മനസിൽ തികട്ടിവരുമായിരുന്നു. പക്ഷേ എല്ലാം കടിച്ചിറക്കി ആത്മവിശ്വാസം വീണ്ടെടുക്കുകയായിരുന്നു ചെയ്യാറ്.

നിയാന്ത്രണാധീതമായപ്പോൾ ആ വാക്കുകൾ പുറത്തുചാടി. 'സംസാരശേഷിയില്ലാതെ ഞാൻ ഓതി പഠിച്ചിട്ടെന്താ കാര്യം!' ഉള്ളുപൊള്ളുന്ന വേദന കേട്ട അവിടുന്ന് എന്നെ കെട്ടിപ്പിടിച്ചു. ഒന്ന് ചിരിച്ചു. ശേഷം സമാശ്വസിപ്പിച്ചു. 'നിങ്ങൾ പോയി പഠിക്ക്. സനദ് വാങ്ങ്. ജോലി ഞാനേറ്റു.'

ആ ഏറ്റെടുത്തത് ഇത്രമേൽ സമ്പന്നമാവുമെന്ന് ഉസ്താദ് പോലും നിനച്ചിട്ടില്ല. സമയങ്ങളധികവും മഹാന്മാരുടെ ഗ്രന്ഥങ്ങൾക്ക് കാവലിരിക്കാനും ഗ്രന്ഥങ്ങളെഴുതാനും കിട്ടിയത് വലിയ സൗഭാഗ്യമായിട്ടാണ് കരുതുന്നത്. 1994 ഡിസംബർ അവസാനമാണ് മർകസ് കുതുബ്ഖാനയിലേക്ക് വരുന്നത്. സമ്പന്നമായ 25 വർഷക്കാലം. അറിവിന്റെ ആഴവും ബലവും കൂട്ടാനുപകരിച്ചു. പുതിയ അന്വേഷണങ്ങൾക്കും വഴിവെച്ചിട്ടുണ്ടെന്ന ആത്മനിർവൃതിയിലാണ് മജീദ് ഉസ്താദ്.

എഴുത്തിന്റെ പ്രചോദനം

ഓമച്ചപ്പുഴയിലെ ദർസീ ജീവിതമായിരുന്നു തനിക്ക് പുതിയ തുറവി നൽകിയതെന്നാണ് ഉസ്താദ് പറയുന്നത്. ഫത്ഹുൽ മുഈൻ ഓതുന്ന കാലത്ത് വൈലത്തൂർ ഉസ്താദാണ് രചന മേഖലയിലേക്ക് വഴിതെളിച്ചത്. ഫത്ഹുൽ മുഈൻ ഓതുന്ന കാലമായിരുന്നു അത്. നിലവിൽ മുപ്പത്തിനാല് അറബിഗ്രന്ഥങ്ങളുടെ രചന പൂർത്തിയാക്കിയിട്ടുണ്ട്.

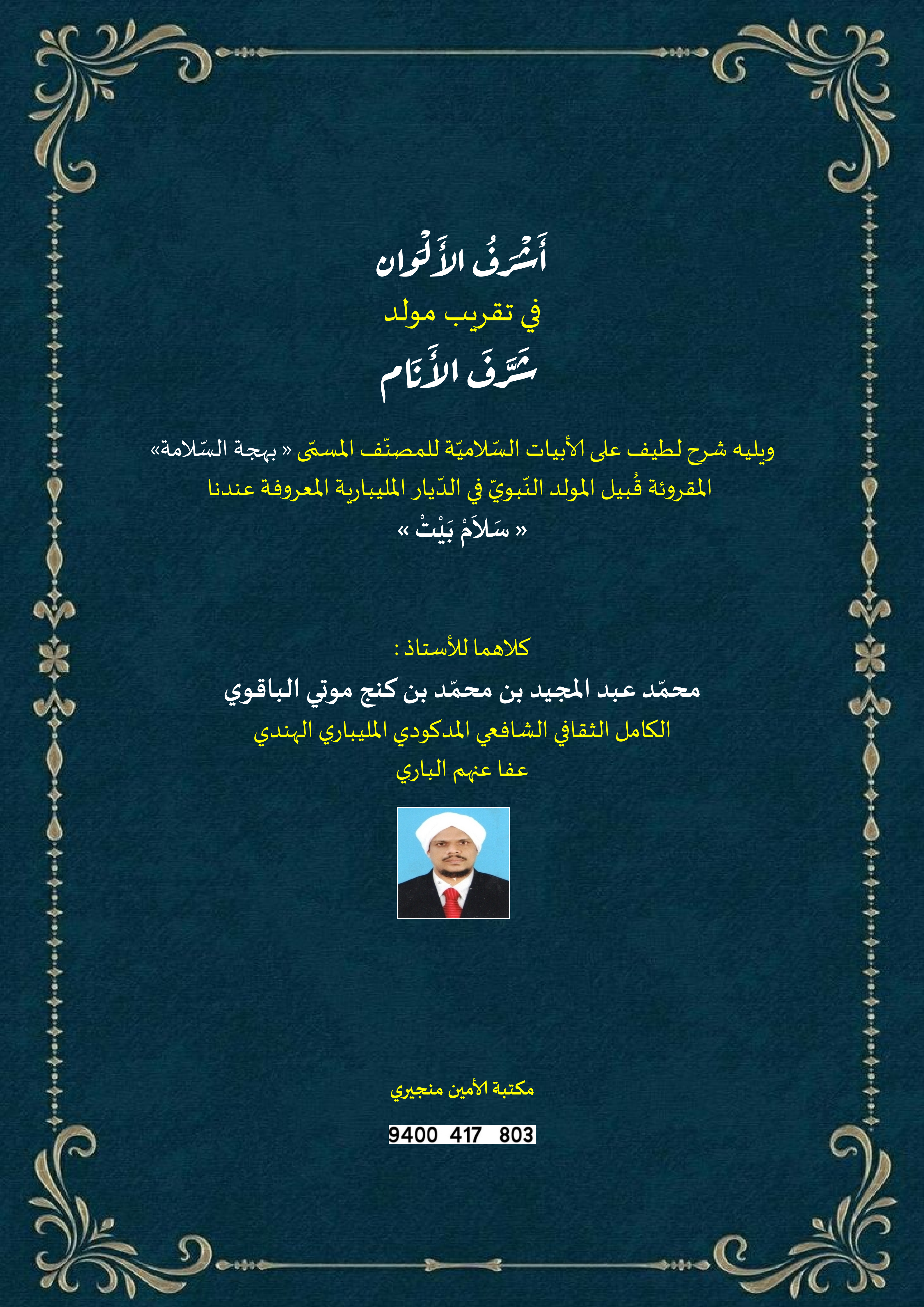
പലയിടങ്ങളിലായി ചിതറിക്കിടക്കുന്നവയെ ഒന്നിപ്പിക്കുകയും സങ്കീർണമായ ചോദ്യങ്ങൾക്ക് ഉദ്ധരണി സഹിതം മറുപടി പറയുകയും ചെയ്യുന്ന ഗ്രന്ഥങ്ങൾക്ക് പുറമെ മനാഖിബുകളും ഗ്രന്ഥങ്ങളുടെ കൂട്ടത്തിലുണ്ട്. ആദ്യ രചന ക്യാപിറ്റൽ ബുക്സാണ് പ്രസിദ്ധീകരിച്ചത്.

തഫ്സീറുൽ ജലാലൈനിക്ക് എഴുതിയ തഹ്ഖീഖു തഫ്സീറിൽ ജലാലൈനി ശ്രദ്ധേയമായ രചനകളിലൊന്നാണ്. ഒപ്പം തഹ്ഖീഖു ഫത്ഹിൽ മുഈൻ, സ്വിയാനത്തു അഹ്ലി തൗഹീദി അൻ വസ്വസത്തി അഹ്ലിത്വിഗ്‌യാൻ, തആലൗ ഇലാ കലിമതിൽ ഫുഖഹാഇ, അള്ളൗഉൽ സാഹിർ (മനാഖിബു അബ്ദിൽ ഖാദിർ ജീലാനി), രിസാലത്തുള്ളൗഇല്ലാമിഅ (മനാഖിബു അഹ്മദിൽ കബീർ രിഫാഈ), ഇബ്റാസുൽ അസ്ഫിയാ ഫീ ഇർഷാദിൽ ഔലിയാ (മനാഖിബു ദസൂഖി), ഖിതാമുൽ അഇമ്മത്തിൽ ഖുറശിയ്യ (മനാഖിബു ശാഫിഈ (റ), അൽ ബിഷാറത്തു സ്സനിയ്യ (മനാഖിബു അഹ്മദിൽ ബദവി), തുടങ്ങിയവ മനാഖിബുകളിൽ പ്രധാനപ്പെട്ടതാണ്.

നമ്മൾ ഇവിടെ ജീവിച്ചിരുന്നെന്ന് തെളിയിക്കാൻ ഇനിയുമൊരു പാട് രചനകൾ നടത്താനാണ് ഉസ്താദിന്റെ തീരുമാനം. പർവത സമാനരായ ഉലമാഇന്റെ വഴിയിൽ, ദീനിന് സേവനം ചെയ്യുകയെന്നതിൽ കവിഞ്ഞ് ലക്ഷ്യങ്ങളൊന്നുമില്ലത്രെ. ജീവിതത്തിലെ മിക്ക സമയവും ഗ്രന്ഥപാരായണത്തിലായി കഴിയുമ്പോൾ നാളെ ആഖിറത്തിൽ നമ്മുടെ സംരക്ഷണത്തിനായി അവയെല്ലാം എത്തുമെന്ന പ്രതീക്ഷയാണ് ഉസ്താദിന് പ്രചോദനമാവുന്നത്.

നമ്മൾ പ്രയാസമെന്ന് കരുതുന്ന പലതും നമ്മുടെ ഗുണമായിരിക്കുമെന്ന ഖുർആനിക പ്രഖ്യാപനത്തിന്റെ ആവർത്തനമാണ് മുടിക്കോട് മജീദ് ഉസ്താദ്. ഏതോ വയൽവരമ്പിൽ വിയർപ്പൊഴുക്കേണ്ട സാഹചര്യത്തിൽ നിന്നും ഒരു വലിയ ഗ്രന്ഥപ്പുരയുടെ താക്കോൽ സ്ഥാനത്തെത്തി. അതും താൻ നന്നായി ഇഷ്ടപ്പെടുന്ന തന്റെ ഉസ്താദിന്റെ സവിധത്തിൽ •

المحتويات



أَشْرَفُ الأَلْوان
في تقريب مولد
شَرَفَ الأَنَام
ويليه شرح لطيف على الأبيات السّلاميّة للمصنّف المسمّى « بهجة السّلامة»
المقروئة قُبيل المولد النّبويّ في الدّيار المليبارية المعروفة عندنا
« سَلاَمْ بَيْتْ »
كلاهما للأستاذ :
محمّد عبد المجيد بن محمّد بن كنج موتي الباقوي
الكامل الثقافي الشافعي المدكودي المليباري الهندي
عفا عنهم الباري
مكتبة الأمين منجيري
9400 417 803